

نحن والغرب الجزء الثاني

قضايا شائكة على أعتاب السياسة والأخلاق
والنضال ضد الاحتلال

من خطب سماحة المرجع الديني

الشيخ محمد اليعقوبي



نحن والغرب / الجزء الثاني

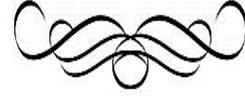
قضايا شائكة على أعتاب السياسة والأخلاق
والنضال ضد الاحتلال

دار الصادقين
للطباعة والنشر والتوزيع
النجف الاشرف / شارع الرسول ﷺ
٠٧٨٠٨٢٨٩٣٦٤
الطبعة الأولى
١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م





الفصل الأول



مناوشات حضارية بين الغرب والأمة الإسلامية



الغرب والإمام المهدي عجل الله فرجه (١)

استعداد البشرية لتقبل المنقذ:

يعيش العالم اليوم أزمة خانقة تتجلى في الرعب والقلق والخوف الذي يستولي عليه من المستقبل، وتراه يبحث عن السعادة فلا يجدها رغم أن شعوباً عديدة في بلاد الغرب تتمتع برفاهية مادية عالية إلا أن أعلى مستويات الجريمة والانتحار والأمراض الصحية والاجتماعية الفتاكة تتواجد فيها، وهذا كله نتيجة طبيعية للابتعاد عن المنهج الإلهي والإعراض عن الالتزام بشريعة الله تبارك وتعالى وهي سنة إلهية جارية في مخلوقاته قال تعالى ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ (طه: ١٢٤) أي ضيقة خانقة وقال ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (الزخرف: ٣٦) فأى حياة بائسة سيفرضها هذا الشيطان على قرينه.

وهذه الحالة من البؤس والتعاسة التي جعلت البشرية تتوقع اليوم أكثر من ذي قبل ظهور المصلح العظيم الذي يتكفل بإقامة دولة الحق؛ لأن جميع الديانات السماوية تُبشر بمثل هذا اليوم، إلا أن أتباع كل ديانة يقولون أنه منهم ونسمع اليوم أن العالم المسيحي يبشر اليوم بقرب ظهور المنقذ وتُباع الآن في أوروبا بطاقات المراهنة على ذلك.

لكن اعتقادهم ناشئ من عنجهيتهم واستكبارهم واستعلائهم على الآخرين، وإلا فإن كتبهم صريحة في أنه من ذرية نبي آخر الزمان ومن ولد

(١) كلمة ألقيت بالنيابة في الحفل الذي أقامته كلية التربية للبنات في جامعة الكوفة بمناسبة

ذكرى مولد الإمام المهدي عجل الله فرجه في النصف من شعبان عام ١٤٢٤ المصادف ١٢/١٠/٢٠٠٣.

إسماعيل الذبيح وليس من إسرائيل يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، وما مجيء أساطيلهم وعدتهم وعددهم إلا لمواجهة هذا الرجل الذي سينطلق من هذه الأرض المباركة ليفتح العالم، وهم لا يعلمون انه ربما كان الآن يعيش بين ظهرانيهم ومطلع على أساليب عملهم ومكامن القوة عندهم وليعرف أصحابه السبيل إلى تعطيل كل هذه القوة بأيسر السبل.

اطروحة في خروج الإمام المهدي عليه السلام من الغرب:

وقد قدم أحد الأخوة أطروحة لدعم هذه الفكرة فإن بعض الروايات تقول إنه حين الظهور تشرق الشمس من الغرب وقد وصفت روايات أخرى الإمام عليه السلام بأنه كالشمس التي جللها السحاب، فما المانع أن يكون شروق الشمس بمعنى ظهور الإمام عليه السلام وبزوغ نوره من الغرب أي أن قدومه يكون من هناك.

ويؤيد هذه الفكرة أن للإمام عليه السلام شبيهاً بعدد من الأنبياء ومنهم موسى الكليم عليه السلام، ومن وجوه تشابهه معه أن فرعون الذي علا في البلاد واستكبر وأخذ يذبح أبناء بني إسرائيل ويستحيي نساءهم خوفاً من الوليد المنتظر الذي تناقلت الأخبار أن نهاية ملكه على يديه، وإذا به نفسه يتولى رعاية هذا المولود وخدمته ليتحقق بالإرادة الإلهية ما كان يخشاه، فربما كانت القوى المستكبرة في الغرب كفرعون هي التي تتولى رعاية الإمام وأصحابه فيتنعمون بخيراتها.

شاهدان على كيفية انهيار القوى المستكبرة:

وأذكر شاهدين على كيفية انهيار هذه القوى المستكبرة التي تحاول أن تظهر عظمتها وجبروتها، وبأيسر السبل عندما يأذن الله تبارك وتعالى.

الأول: ما رأيانه من تفكك الاتحاد السوفيتي وذوبانه من دون تعرضه لأي هجوم خارجي بعد أن كان قوة عظمى كما يصفونها تقف في مقابل حلف شمال الأطلسي كله، لكن هذه القوة تلاشت بفعل ضعفها الحقيقي وكمون عوامل الفناء فيها بسبب ابتعادها بل محاربتها للشريعة الإلهية، واندثرت معها كل الأفكار التي كانت تبشر بها وتخدع الناس بالسعادة التي توفرها لها.

الثاني: مشكلة الصفرين التي أرعبت العالم المتقدم في التكنولوجيا حتى استعد لحرب النجوم لكن غفلة بسيطة كادت تؤدي بكل مشاريعه، وذلك حينما كان يؤرخ للسنين وينظم برامجه على ذكر أول مرتبتين فيشير للسنة ١٩٩٨ بـ ٩٨ ولم يصح إلا على خطر مرعب في نهاية عام ١٩٩٩ حيث إن انقلاب (٩٩) إلى الصفرين يعني العودة إلى سنة ١٩٠٠ وليس الانتقال إلى عام ٢٠٠٠، فارتبكت الحسابات المصرفية ومواعيد الرحلات وغيرها، والأخطر من ذلك نظام الأسلحة الاستراتيجية والعبارة للقارات وحبست الدول أنفاسها وحشدت قواتها ومعداتها خشية وقوع الكارثة في ساعة الصفر من ليلة ١/١/٢٠٠٠، وبذلت المليارات من أجل تجنبها، وشاء الله تبارك وتعالى أن يدفع عنها البلاء الذي كاد أن يدمرها بسبب غفلة بسيطة، فكانت موعظة إلهية لعلها تتخلى عن جبروتها وطغيانها المصطنع ولكنها لم تستفد من هذا الدرس ولا غيره كما هو شأن

المستكبرين.

وترى شعوب الغرب نفسها الآن تتدمر وتخرج في مظاهرات للاعتراض على سياسات حكّامها، هذا وهم متنعمون فيما توفره لهم حكوماتهم وغارقون في الماديات واللهو والمتعة التي تقسي القلب وتمنع من التوصل إلى حقائق الأمور، فكيف لو التفتوا إلى حقيقة حالهم في الحاضر والمستقبل خصوصاً بعد الموت وفي الآخرة إذا بعثوا للحساب ونشرت أعمالهم.

وهاهم مثقفوهم ومفكروهم ينادون بأن الحل الوحيد لهذا الضياع وعلاج الأمراض الفتاكة كالأيدز هو العودة إلى القيم الروحية والالتزام بها وتربية الناس على الأخلاق الفاضلة.

هذه كلها إرهاصات ومقدمات الظهور الميمون المبارك لإقامة دولة العدل، وما علينا إلا التمسك بديننا القويم وتجسيد مبادئه الإلهية الكفيلة بتوفير السعادة للإنسان في الدارين حتى يقتنع الآخرون بأن الحل الوحيد لعلاج البشرية هو الإسلام، وإذا أساء بعض من أنتسب إليه وحسب عليه فالذنب ذنبه وليس ذنب الشريعة الإلهية.

الدين الإسلامي طريق السلام والسعادة^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم أيها الحضور ورحمة الله وبركاته..

قناعة الشعوب بخصائص الإسلام:

الدين الإسلامي هو المحرك الرئيسي للشعوب في هذه المنطقة الحساسة من العالم، لعدة أمور أشير إليها باختصار:

١- قناعتها بأن الدين هو النظام القادر على توفير السعادة للإنسان في الدنيا، لأنه من وضع الله تبارك وتعالى خالق الإنسان والعارف بما يصلحه ويقوم انحرافه ويعالج أمراضه، كما أن أي جهاز إذا أريد وضع نظام لعمله بالشكل الصحيح أو إصلاحه إذا أصيب بخلل يكون بالرجوع إلى الجهة المصنعة له، وهذه معادلة بسيطة لا تحتاج إلى استدلال.

وقد وجدت هذه الشعوب في الشريعة الإسلامية ما ينظم لهم كل تفاصيل حياتهم الفردية والاجتماعية حتى آداب الجلوس على مائدة الطعام، والتخلي والاتصال الجنسي بين الزوجين وهم ينقلون عن أئمتهم عليهم السلام (ما من واقعة إلا والله فيها حكم).

٢- فشل النظم التي وضعها البشر لتنظيم حياتهم، وقد رأينا بأم

(١) الكلمة التي أعدت ليلقيها ممثل آية الله الشيخ محمد اليعقوبي في المؤتمر الثالث لمنظمة المؤتمر العالمي للأديان من أجل السلام الذي افتتح في عمان يوم ٢٠٠٤/٣/١٠ ولم يتيسر له السفر لإجراءات إدارية وفنية.

أعيننا كيف انهارت الشيوعية في معق لها وذاب الاتحاد السوفيتي العملاق والرأسمالية سائرة بنفس الطريق؛ لأن الأمراض الاجتماعية والنفسية والاقتصادية تنخر بجسدها وبدأت الشعوب في الغرب تتملل من النظم المتحكمة فيها، وعبرت عن ذلك من خلال المؤتمرات والتظاهرات كالذي شاهدناه ضد العولمة في سياتل ودافوس وقد وصل الأمر إلى قتل المتظاهرين كما حصل في إيطاليا. وهذا الفشل متوقع لهذه النظم لأنها من صنع البشر العاجز القاصر الذي يجهل نفسه فكيف يعرف غيره بحيث يؤلف كتاب (الإنسان ذلك المجهول).

٣- إن أئمة الإسلام وعلماء الدين الإسلامي اتصفوا بالنزاهة والاستقامة والترفع عن الدنيا ونكران الذات، وهي صفات رفعتهم في عيون الناس وجعلتهم منقادين لهم ويمنحونهم مطلق الثقة ويأخذون بأقوالهم، فأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو رئيس دولة مترامية الأطراف يقول على منبر الكوفة بعد أن نقل العاصمة الإسلامية إليها من المدينة المنورة (لو خرجت منكم بغير القطيفة التي جئكم بها من المدينة لكنت خائناً).

٤- إن الناس يؤمنون بوجود حياة ثانية يلاقي فيها كل إنسان جزاء ما فعل في هذه الحياة الدنيا فيثاب على العمل الحسن بالجنة، ويعاقب على الفعل السيئ بالنار، وقد اخبر بصحة ذلك رجال ثقات مصدقون لا يشك أحد في نزاهتهم وهم الأنبياء وقد بلغ عددهم مئة وأربعة وعشرين

ألف نبي على مدى آلاف السنين فلم يبق احتمال لكذب هذه الحقيقة، والالتزام بالدين يضمن لهم الفوز بالجنة والنجاة من عذاب الله تعالى في تلك الدار الخالدة الباقية فلا يجوز التفريط فيها.

٥- إن الدين الإسلامي لا يمثل للمسلمين طقوساً عبادية

يؤديها الفرد في الأمكنة الخاصة المعدة لها فقط، بل يجد المسلمون في الإسلام حضارتهم وثقافتهم وتأريخهم وأعرافهم وتقاليدهم، لذا فإن المسلم يعتز به ولا يفرط فيه ويدافع عنه ويتمسك به كما تتمسك الشعوب بهذه المعالم في حياتها وتضحى من أجلها.

لهذه الأمور وغيرها كان للدين تأثير قوي في نفوس الشعوب وتوجيه مشاعرهم وتحديد مواقفهم، وقد التفت العالم كله إلى ذلك من خلال وسائل الإعلام المختلفة وشاهد تفاعل هذه الشعوب مع الشعائر الدينية كالحج إلى مكة المكرمة وزيارة الأربعين لمقر الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، واستجابتها لداعي الدين.

وإن كانت الحالة ليست جديدة بالنسبة لنا فتاريخ شعوب المنطقة حافل بالشواهد على هذا التأثير وكانت ثورات التحرير الحقيقية التي شهدتها القرن الماضي في بلدان هذه المنطقة تستمد قوتها من هذا الدين العظيم وكان أكثر قادتها من علماء الدين كابن باديس في الجزائر وعمر المختار في ليبيا وعبد الرحمن الكواكبي في سوريا ومراجع الدين الشيعة في العراق وإيران.

تأثير الدين في الحياة:

ولأن الدين يمتلك هذا التأثير القوي في القلوب فإنه يمكن أن يوظف لتحقيق الكثير من الانجازات لمصلحة الشعوب مما لا يمكن تحقيقه بالوسائل الأخرى، وكمثال على ذلك فإن مليارات الدولارات أنفقت لتغطية إعلانات محاربة التدخين وتأسيس المراكز والجمعيات التي تعالج هذه الظاهرة فلم تفلح في عملها، لكن اقل من نصف سطر قالته المرجعية الدينية حسم الأمر حينما أبرمت الحكومة البريطانية في نهاية القرن التاسع عشر عقداً مع شاه إيران القاجاري اشترت بموجبه امتياز شراء وتصدير وتصنيع التبوغ في إيران لمدة خمسين عاماً، فأحس المخلصون بخطورة هذه الاتفاقية على اقتصاد وسياسة إيران وانه باب يجر التبعية والفساد على شعب إيران، وأقنعوا المرجع الأعلى السيد محمد حسن الشيرازي وكان مقره مدينة سامراء في العراق بضرورة التصدي للأمر، فكتب في ورقة صغيرة (شارب الدخان محارب لإمام الزمان) فامتنع الشعب الإيراني كله عن التدخين، حتى أن زوجة الشاه نفسه كسرت الغليون الخاص به طاعة للمرجعية الدينية وفشلت الخطة البريطانية.

وقد جربنا نحن الشعب العراقي قوة تأثير الدين في حياة الأمة عامي

١٩٩٨ - ١٩٩٩ حينما أقام السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر قده

صلاة الجمعة المباركة في العراق واشترك فيها مئات الآلاف كيف قلّصت

الجريمة والفساد والانحراف بنسبة ٩٠٪ حسب اعتراف المسؤولين رغم

الفقر والحرمان والتسلط والفساد الإداري الذي كان متفشياً.

الإنسان والكون في نظر الإسلام:

ولأن الدين يركز المبادئ الإنسانية العليا ويعمل على ترسيخها في قلوب البشر، فهو أنجح أسلوب لأداء هذا الدور في إنقاذ البشرية من المشاكل والاضطرابات والرعب الذي يحدق به، وقد التفت الغربيون إلى ذلك واعترفوا بفشلهم في القضاء على مرض الآيدز، وقالوا إن الأسلوب الناجح في المعالجة هي التربية الروحية والأخلاقية ومراعاة القيم السماوية في العلاقات الإنسانية، وهو رأي صحيح وكان يجب عليهم الالتفات إليه من أول الأمر من جهتين:

الأولى: ما قلناه من أن الإنسان من صنع الله تبارك وتعالى فلا أحد يستطيع وصف العلاج الناجح الكامل لمشاكله وأمراضه إلا الصانع نفسه.

الثانية: إن السنن والقوانين المتحكمة في الإنسان والكون مترابطة لان المتصرف فيها واحد، فأى خلل أو انحراف وعصيان لله تبارك وتعالى يفعله الإنسان يؤدي إلى اضطراب في الطبيعة بكل أجزائها.

وقد لا تستطيع فهم هذا الترابط الجدلي إلا أنني أذكر لكم شاهداً على ذلك فقد شهد وسط أوروبا خصوصاً بأفاريا في ألمانيا في صيف إحدى السنين القريبة فيضانات ضخمة لم تشهدها منذ (١٥٠) عاماً تسببت في قتل العشرات وجرح غيرهم وتدمير الكثير وقد قيل في سببها أن عدم توقيع الولايات المتحدة لمعاهدة كيوتو للمحافظة على البيئة التي تقتضي عدم تشغيل المعامل في آن واحد مما أدى إلى احتباس حراري وارتفاع درجة الحرارة الذي سبب ذوبان أكبر للجليد فحصل الفيضان.

فإذن عصيان هذا المبدأ الإنساني المنسجم مع التعاليم والقيم

السماوية أدى إلى كوارث طبيعية والعكس بالعكس فإن الالتزام بالتعاليم السماوية والمبادئ الإنسانية العليا يؤدي إلى أن تعيش البشرية كلها في محبة وسلام وسعادة وخير وفير، قال الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم [وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ] (الأعراف: ٩٦).

الإسلام والمثل العليا:

والدين حافل بهذه المثل العليا بل يجعلها الهدف الرئيسي من بعثة النبي محمد ﷺ برسالة الإسلام وهي تكميل أخلاق البشر قال ﷺ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). فهو يدعو إلى السلام قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ] (البقرة: ٢٠٨) وتحيته هي السلام، ومن آدابه التي حث عليها إفشاء السلام في المجتمع ويأمر بالعدل والإحسان [إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] (النحل: ٩٠) حتى إلى غير المسلمين ما داموا لا يعتدون قال تعالى [لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ] (الممتحنة: ٨).

18

ويدعو إلى الحوار مع الديانات الأخرى [قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ] (آل عمران: ٦٤) وينظم أسلوب الحوار مع الآخرين [وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] (العنكبوت: ٤٦)

وقال تعالى [ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالْتِمَاسِ هِيَ أَحْسَنُ] (النحل: ١٢٥) ويعطي الحرية كاملة للإنسان كي يعتنق العقيدة التي يقتنع بها قال تعالى [لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ] (البقرة: ٢٥٦)، بل إنه يأمر بتوفير الأمن وسائر الظروف المناسبة لأي أحد يبحث عن الحقيقة ويترك له حرية اتخاذ القرار [وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ] (التوبة: ٦) ويعتبر إرسال النبي ﷺ رحمة بالناس من أجل إنقاذهم وإسعادهم قال تعالى [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ] (الأنبياء: ١٠٧)، ولم يقل للمسلمين فقط؛ لأنه رحمة لجميع المخلوقات، ولا أريد أن أطيل عليكم بكثرة الشواهد وان كان هذا الحديث نافعا وشيقاً ومثيراً.

أيها الإخوة والأخوات:

إنكم حين أسستم (منظمة المؤتمر العالمي للأديان من أجل السلام) اضطلعتم بمسؤولية كبيرة، لكنها سامية ومثيرة للإعجاب والاحترام والشكر والثناء، وأنتم مدعوون لتفعيل دورها في تأسيس هذه المبادئ العظيمة ونشر ثقافة المحبة والسلام والتآلف واحترام الآخرين، لا ثقافة التطرف والتعصب والاحتراب الذي أهلك الحرث والنسل.

ونحن في العراق الجريح نئن من المظالم والاعتداء، وعدم إعطائنا ابسط حقوقنا بذرائع شتى، فندعوكم إلى مساعدتنا وإعطائنا الدور المناسب فإننا شعب ذو حضارة عريقة ويمتلك كل مقومات الازدهار والرقى، وأول خطوة في ذلك أن تفهموا مطالبنا بوضوح وتعاملوا معها بإنصاف تطبيقاً لقوله تعالى [وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ] (الأعراف: ٨٥).



دروس وعبر في اليوم العالمي لمكافحة الأيدز^(١)

جعل المجتمع الدولي هذا اليوم -الأول من كانون الأول- يوماً عالمياً لمكافحة مرض نقص المناعة المكتسبة المعروف اختصاراً بالأيدز، وجعل يوم عالمي لقضايا البشرية المهمة كالمراة والأم والبيئة والعمال والقدس والتوبة حالة ايجابية في حياة الأمم؛ لأن مثل هذه القضايا تتطلب تخصيص يوم لها في السنة على الأقل يستوقف العلماء والمفكرين والمتخصصين والمسؤولين عن هذه القضية أو تلك لإجراء مراجعة لها، ابتداءً من تشخيص المشكلة وتحليل أسبابها إلى كيفية علاجها والآليات التنفيذية للحل وإجراء التحليلات والإحصائيات والدراسات لكل هذه المراحل.

الأيدز والاحصائيات المرعبة:

ومرض الأيدز من المشاكل الكبيرة التي تعاني منها البشرية وتسبب لها التعاسة والشقاء والفناء، فيوجد في العالم اليوم -عام ٢٠٠٤- أكثر من (٣٠) مليون إصابة بهذا المرض الذي يفتك بحياة (٨-١٠) آلاف إنسان يومياً أي أكثر من ثلاثة ملايين سنوياً، فهو السبب رقم واحد في قائمة

(١) كلمة ارتجلها سماحة آية الله الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) في وفد حزب الفضيلة الإسلامي من محافظة ميسان الذي زاره يوم الأول من كانون الأول عام ٢٠٠٤ أعيد تنقيحها وكتابتها، وألقاها سماحته من خلال قناة النعيم الفضائية في نفس المناسبة عام

أسباب الموت يتقدم على ضحايا الحروب والمجاعات وحوادث السيارات والطائرات وغيرها، وقد وقفت الدول المتقدمة فضلاً عن كونها عاجزة عن مواجهة هذا المرض واعترفوا بفشلهم في القضاء عليه بل الحد منه.

دروس وعبر من مرض الأيدز:

إننا في هذا اليوم نريد أن نتوقف عند عدة دروس وعبر مستفادة من ابتلاء البشرية بهذا المرض الفتاك:

كمثل العنكبوت:

١- إن الغرب مهما بالغ في تفوقه في العلوم والتكنولوجيا والطب حتى صنع هالة مقدسة حوله ويسعى لإلزام العالم كله باتباعه، يبقى عاجزاً أمام فيروس لا يرى بالعين المجردة فلا يستطيع القضاء عليه بل ولا الحد من انتشاره، ووقفَ هذا الفايروس الضئيل كالمارد يحطم جبروتهم وطغيانهم مصداقاً قوله تعالى [مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ] (العنكبوت: ٤١)، وقوله تعالى [يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ] (الحج: ٧٣) فلا ينبغي للمؤمنين أن يغتروا بهم ولا أن يتخذوهم أولياء أو يذوبوا في حضارتهم الزائفة.

سنن الله تعالى في الذين استكبروا:

٢- إن السنن الإلهية جارية في هؤلاء الأقسام الذين استكبروا عن المنهج الإلهي القويم وعصوا شريعة الله تبارك وتعالى، فلا بد أن يتعرضوا لما جرى على الأمم السابقة لهم وقد مرت بهم مرحلتان^(١) وهما:

الأولى: مرحلة الأخذ بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ويعودون إلى الله تبارك وتعالى وقد مروا بويلات وكوارث أحدها الحرب العالمية الثانية التي قتلت (٤١) مليوناً من البشر من الحلفاء غير دول المحور. فإذا لم ينفع البلاء في استغفارهم وتوبتهم.

جاءت الثانية وهي مرحلة الاستدراج وإغداق النعم والإغراق في الترف واللهو والملذات التي تسبب الغفلة وقسوة القلوب، وقد وصف الله تبارك وتعالى هذه الحالة عندهم بقوله [حَتَّىٰ عَفَوا] أي تعافوا وأصبحوا في سعة من الحال وعافية وهي المرحلة التي عاشها الغرب خلال العقود الماضية فراحوا يتفننون في اختراع المتع والملاهي والملذات، ويعقدون المباريات والمهرجانات والاحتفالات الصاخبة لها، وقبل أن يملوا حالة اوجدوا غيرها وامتلات جيوبهم وبطونهم من خيرات الأرض حتى راحوا يحرقون الفواكه ويرمون اللحوم في البحر ليحافظوا على أسعار السوق في حين يتضور ملايين البشر جوعاً حتى الموت.

وحينئذٍ تأتي مرحلة الأخذ والفناء والقضاء عليهم وها هو ذا مرض

(١) راجع بحث (الجاهلية الحديثة وأسلوب مواجهتها) في الجزء الأول من خطاب المرحلة.

الأيدز احد النذر لفنائهم. وتتوالى عليهم الأزمات الخانقة^(١) التي تهدد أسس حضارتهم وتنسف أبنيتهم من القواعد.

وقد وردت الإشارة إلى هذه السنن في مواضع عديدة من القرآن الكريم ومنها قوله تعالى: [وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ، ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ] (الأعراف : ٩٤-٩٥) فقله تعالى: [إِلَّا أَخَذْنَا ..] يشير إلى المرحلة الأولى وقوله تعالى: [ثُمَّ بَدَّلْنَا ..] إلى الثانية وقوله تعالى: [فَأَخَذْنَاهُمْ ..] إلى المرحلة الثالثة ما لم يتداركوا أمرهم ويرجعوا إلى الله تعالى.

كذبة حقوق الإنسان التي يتشدد بها تجار الحروب:

٣- إن الغرب يتشدد كثيراً بحماية حقوق الإنسان ونشر المنظمات الإنسانية في العالم، بينما يدير وجهه عن تقديم الدعم المناسب لمواجهة هذا المرض بحرب عالمية واسعة للقضاء عليه، وقد اعترف الأمين العام للأمم المتحدة بتنصل الولايات المتحدة الأمريكية ودول الغرب الأخرى عن تعهداتها بتمويل هذا المشروع الإنساني والتخفيف عن آلام المصابين رغم أنها أنفقت أضعاف هذا المبلغ لتمويل حملتها ضد ما يسمونه بالإرهاب وأمثالها من الحروب التي يصطنعونها ويخلقون المبررات لها

(١) وآخرها -اليوم عام ٢٠١١- الأزمة المالية التي أنهكتهم ودفعت شعوبهم إلى التظاهر والاحتجاج والمطالبة بنظام اقتصادي جديد للعالم وخرج عشرات الآلاف في ألف مدينة من شرق الأرض وغربها يوم ١٥/١٠ من هذا العام لرفض النظام القائم.

رغم أن ضحايا الإرهاب المزعوم لا يتجاوز عشر معشار ضحايا الأيدز، فهم إذن لا يهتمون بالمبادئ الإنسانية ولا حل مشاكل البشر ورفع معاناتهم وإنما يحكمهم الربح والخسارة المادية ومواجهتهم لمرض الأيدز لا تدرّ عليهم أرباحاً ولا مكاسب.

دور الدين في حفظ المجتمع المؤمن:

٤- إن أكثر الدول ابتلاءً بهذا المرض والتي تتواجد فيها أكثر الإصابات هي تلك الواقعة في وسط وجنوب إفريقيا تليها أمريكا اللاتينية ثم الولايات المتحدة وأوروبا، وأقل الشعوب تعرضاً للإصابة هم المسلمون وتكاد تكون بلادهم خالية منه إلى وقت قريب حين انساق البعض منهم وراء شهواته وتقليد الغرب في نمط حياته، حيث نقلت الأنباء خبر موت (٥٨٨) بمرض الأيدز في المملكة العربية السعودية (النشرات الإخبارية ليوم ٢٠٠٤/١١/٣٠)، وهذا يكشف عن دور الدين خصوصاً الإسلام في حماية المجتمعات المؤمنة به والمحافظة على تقاليده الموروثة من الانحراف والشذوذ وما يؤدي إليه من أخطار، وهذا يبرز أثر القيم الروحية في توفير حياة سعيدة مطمئنة للإنسان عكس ما يتصور البعيدون عن الله تعالى من أن السعادة تتحقق بإشباع الغرائز والشهوات.

لماذا يعادون الإسلام؟

والمتنفذون المهيمنون على المصالح والشركات في الغرب يعادون الإسلام والمسلمين لأنهم يعرفون هذه الحقيقة ويدركون سرّ قوة المسلمين

بتمسكهم بالإسلام؛ لذا فإنهم لا يتوانون عن الكيد لهم وبث الفتن وإشاعة الفساد والانحراف والتشكيك في العقائد قال تعالى: [وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ اتِّبَعَتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ] (البقرة: ١٢٠) ولا يتورعون للوصول إلى أهدافهم الشيطانية عن سلوك أي سبيل، ومنها ما حصل في العراق في ظل الحصار أيام النظام المقبور عندما أرسلت إحدى دول أوروبا الغربية شحنة من الحقن التي تعطى للنساء عند وضع الحمل إذا كانت فصيلة الدم بين والدي الطفل مختلفة وكانت ملوثة بمرض الأيدز.

وهذه الأخبار تدق ناقوس الخطر أمام المسلمين وتلفت نظرهم إلى شكل من أشكال العدوان الذي يمارسه الغرب المستكبر ضدهم، فهو -أي الغرب- لا يفتقر عن الكيد لهم -أي المسلمين- والتخطيط للقضاء عليهم وكسر شوكتهم وتجريدهم من عقائدهم وأخلاقهم بنشر وسائل الدمار والفساد والفسق والفجور فيهم ليستعبدهم ويسلب ثرواتهم.

تباشير العجز البشري للرجوع إلى الدين:

٥- إن عجز الغرب عن مواجهة هذا المرض الفتاك قد يكون له علاقة بالظهور المبارك الميمون للمهدي المنتظر عليه السلام، من حيث أن الأخبار دلت على نزول السيد المسيح عليه السلام لتأييد الإمام عليه السلام، ولما كانت معجزته الرئيسية شفاء المرضى من الأمراض المستعصية وإحياء الموتى، فستكون معالجته عليه السلام لمرضى الأيدز بل لمواته حجة بالغة على اتباعه للتصديق به

وبدعوته المباركة.

وهذه مجرد أطروحة قابلة للنقاش، وإلا فإن الرحمة الكبيرة التي يحملها الإمام عليه السلام للبشر جميعاً من أتباعه ومن غيرهم لا تسمح بان يترك البشرية معذبة وتعيش الشقاء، بل يتدخل لإنقاذها ولكن ماذا يفعل لها إذا اختارت الشقاء بنفسها كما قال تعالى [أَفَأَنْتَ تُنْفِذُ مَنْ فِي النَّارِ] (الزمر: ١٩).

التشريعات الإسلامية لحفظ شهوات الإنسان:

٦- مصداقية الأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام مما يكشف عن جانب من استحقاقهم لإمامة الأمة والتبليغ عن الله تعالى، ولنحلل بهذه المناسبة حديثاً مروياً عنهم (سلام الله عليهم) فقد روى الشيخ الصدوق (رضي الله عنه) في الخصال وفي ثواب الأعمال والمحاسن للبرقي عن الإمام الصادق عليه السلام والحديث وارد في الآثار المترتبة على ارتكاب فاحشة الزنا، ومن المعلوم أن السبب الرئيسي للأيذز هي الممارسات الجنسية غير المشروعة، قال عليه السلام: (للزاني ست خصال، ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة: أما التي في الدنيا فيذهب بنور الوجه ويورث الفقر ويعجل الفناء وأما التي في الآخرة هو سخط الرب وسوء الحساب والخلود في النار)^(١)، وحين تطبق هذه الخصال على نتائج وأعراض مرض الأيدز سيكون المطابقة بدرجة دقيقة.

(١) الخصال: ٣٣١/١، باب الستة، الحديث ٣، المحاسن: ١٩٢/١ الحديث ٣٢٦.

في معنى أن الزنا يذهب بنور الوجه:

أما ذهاب نور الوجه فمن عدة جهات^(١):

أ- إن المصاب بالأيدز يكون شاحب الوجه وبسبب ضعف الجهاز المناعي عنده فانه يكون عرضة للإصابة بكافة الأمراض مما يجعل بدنه سقيماً عليلاً.

ب- إن من لوازم الوقاية من الأيدز عزل المصاب به اجتماعياً مما يجعله كئيباً شاحباً ذليلاً ومعذباً؛ لأن من طبع الإنسان الأنس بالآخرين لذا جعلوا من وسائل التعذيب في السجون الزنزانة الانفرادية.

ج- إن التكاليف الباهظة لمعالجة المرض تستنفد كل ما عند المصاب من أموال مضافاً إلى عزله عن القيام بالأعمال بشكل طبيعي مما يجعله ذليلاً يطلب مساعدة الآخرين ويستجدي عطفهم.

د- إن البعيدين عن طاعة الله تبارك وتعالى يعيشون خواءً روحياً والروح -كالجسد- تحتاج إلى غذائها فالنقص فيه يجعله في هزيمة نفسية وتمزق داخلي عبر عنها الله تبارك وتعالى بقوله [وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً] (طه: ١٢٤).

هـ- إن المصاب بهذا المرض يكون خائفاً قلقاً لخطورة مرضه وانتهائه بصاحبه إلى الوفاة غالباً فيبقى هذا الهاجس يرعبه ويجعله شاحباً خائفاً.

(١) تجد تفاصيل هذه الفقرات في كتاب عن الايدز للمهندس علي جمعة، طبع ضمن سلسلة (نحو مجتمع نظيف).

في معنى أن الزنا يورث الفقر:

وأما أنه يورث الفقر فمن عدة جهات:

أ- إن المرض أكثر ما يصيب الشباب الذين يتراوح أعمارهم (١٥-٤٥) سنة وهي الشريحة التي تبني البلد وتثري المجتمع بالعطاء والإنتاج، والمرض يقعدهم عن العمل فيفتقرون في أنفسهم ويعطلون نشاط الأمة.

ب- كلفة المعالجة الباهظة التي تستنفد كل الإمكانيات المادية، فإن الوصفة الطبية للعلاج غالية الثمن وتتطلب مواظبة يومية على مدى سنين فإذا ضربت كل ذلك في عدد المصابين بالمرض حصلت على أرقام مرعبة من المبالغ.

ج- عزوف أصحاب الأموال عن الاستثمار في المناطق الموبوءة بالمرض وفرارهم منها.

وهذه المعاني والتداعيات الاجتماعية تفسر أيضاً ما ورد من النصوص الشريفة في أن الأمم العاصية تحبس عنهم السماء قطرها والأرض بركاتها. ومصدقاً لقوله تعالى [وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ] (النحل: ١١٢).

في معنى أن الزنا يعجل الفناء:

وأما تعجيل الفناء فمن أكثر من جهة:

أ- إن النتيجة الحتمية للمصاب بهذا المرض هو الموت في فترة

تتراوح بين عدة أشهر إلى عدة سنوات.

ب- إن أكثر ما يصيب المرض هي الفئة العمرية (١٥-٤٥) سنة وهو عمر الإنجاب الطبيعي، فموتهم يعني حرمان الأمة منهم ومن العدد المحتمل الذي يفترض أنهم ينجبونه حتى يقطع دابرهم ويهلك نسلهم وعن مثل هذا قال تعالى في قوم لوط [قَالُوا بَلْ جِنَّاتِكُمْ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ، وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ، فَاسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ، وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ] (الحجر: ٦٣-٦٦) وهي حالة ليست خاصة بقوم بل تشمل كل الأمم المعرضة عن الشريعة الإلهية [وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ] (هود: ٨٣).

ج- إن مرض الأيدز معدي فهو ينشر سبب الموت بسرعة.

د- إن المصاب بالأيدز يعيش حالة من الحقد على الآخرين والحسد لهم ويعاني من عقدة الحقد تجاههم خصوصاً عند شعوره بالنهاية فيندفع للانتقام من الآخرين ويسبب الموت والفناء لهم أيضاً.

التفسيرات الحديثة تؤيد عظمة الدين الإسلامي:

إن مثل هذه الدراسة الاجتماعية والتفسير الإنساني (الأنثروبولوجي) لنصوص المعصومين عليهم السلام تبين عظمتهم عليهم السلام وصدق دعوى اصطفائهم من الخالق المدبر، وتساعد بشكل كبير على إقناع غير المنتمين إلى مدرستهم بالرجوع إليهم، وهو الأسلوب الذي ينفعا في الحوار الحضاري القائم اليوم. كما أنها تقدم رؤية دقيقة وفلسفة لمشاكل البشرية وآثارها

وتداعياتها وكيفية معالجتها، فهذا النموذج الذي قدمناه للتفسير يعتبر دعوة للمفكرين والكتاب والعلماء لإثراء الفكر الإنساني بهذه المعارف والعلوم المأخوذة من النبع الصافي.

من هذا كله يتحصل أن البشرية إذا أرادت أن تعيش بسعادة وسلام وطمأنينة فعليها العودة إلى الله تبارك وتعالى والالتزام بشريعته [وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ] (الأعراف: ٩٦) وهنا يأتي العتاب بل الإنذار من الله تبارك وتعالى [أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ، أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ، أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ] (الأعراف: ٩٧، ٩٨، ٩٩) وسلسلة الآيات طويلة تبدأ من الآية ٩٣ من سورة الأعراف وما بعدها وهي جديرة بالتأمل والتدبر وكسائر آيات القرآن ليصحح الإنسان من غفلته فلا تفوتنكم.

أسأل الله تعالى أن يوقظنا من نومة الغافلين وأن يهدينا الصراط المستقيم ويجعلنا من المتمسكين بحبله المتين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

كيف نفهم الإساءة إلى أشرف الخلق محمد ﷺ (١)

عولمة الإساءة الى رموز الآخر:

قامت صحيفة دانمركية بنشر رسوم كاريكاتورية تسيء إلى شخصية خاتم الأنبياء وسيد الرسل وأشرف الخلق أجمعين محمد ﷺ ثم تلتها صحف ومجلات أخرى في دول أوروبية عديدة، وأعلنت شركة أمريكية أنها ستطبعها على قمصان للبيع.

ومما أدى إلى تفاقم المشكلة عنجھية رئيس وزراء الدنمارك ورفضه الاعتذار معتبراً ذلك من حرية التعبير عن الرأي، هذا الصنم المقدس لديهم الذي يريدون أن يؤلھونه ليكون سلاحاً لتحطيم كل المقدسات والقيم الإنسانية العليا التي اتفق عليها البشر، كجزء من حركة (العولمة) التي تعني عندهم تعويم كل الثوابت الأخلاقية والدينية والاجتماعية وتذويبها وتحطيمها، وجعل الشعوب جميعاً خالية من المحتوى والانتماء ليسهل تطويعها وقيادتها بالاتجاه الذي يريدون، ثم أقاموا ما يسمونه بمؤسسات المجتمع المدني تحت واجهات متعددة لتقود الشعوب بهذا الاتجاه.

إذا طعنك عدوك في الخلف فاعلم أنك في الأمام:

ومن قبل هم أسأؤوا إلى القرآن الكريم والكعبة الشريفة والى الشعائر

(١) تقرير بتصرف لحديث سماحة الشيخ مع وفد مصلي الجمعة في ناحية الحر بكر بلاء يوم

١٥ محرم ١٤٢٧ المصادف ٢٠٠٦/٢/١٤، ولحديث سماحته مع وفد ناحية الإمام في قضاء

المحاويل في محافظة بابل يوم ١٩ محرم ١٤٢٧.

الإسلامية المباركة، واليوم يشوهون صورة النبي الكريم محمد ﷺ الذي بشرت به دياناتهم وورد ذكره في كتبهم بكل ثناء وتبجيل فما الذي دفعهم إلى ذلك؟

١- قلقهم من انتشار الإسلام الذي بدأ يغزوهم في عقر دارهم وتشير الإحصائيات إلى تصاعد نسبة الغربيين -خصوصاً من النساء- الذين يعتنقون الإسلام حين وجدوا فيه الحياة الحرة الكريمة السعيدة فاعتقدوا أن تشويه صورة نبي الإسلام ينفر شعوبهم من الإيمان به والالتحاق بمسيرته.

٢- ضعف الحكومات الإسلامية واستسلامها أمام مشاريع الغرب مما جعلهم لا يكثرثون لمشاعرهم ولا يعبأون بهم ولا يقيمون لهم وزناً، حتى أن الرئيس الأفغاني (المسلم!) وقف في ذروة الأزمة إلى جنب رئيس الوزراء الدنماركي يبرر العملية بحرية الرأي التي يتمتع بها الغرب ونحن لا نفهمها! ثم تتم بكلمات خجولة طالباً مراعاة حرمة الرموز الدينية، وهؤلاء المهزومون الضائعون هم الذين جرأوا علينا عتاة الغرب وشذاذ الآفاق.

ومما يُذكر في المناسبة أن رئيس تحرير صحيفة أمريكية كان متحمساً لليهود والدفاع عنهم على عكس الموقف من المسلمين فقيل له هل أنت يهودي أو أصلك يهودي أو صحيفتك يمولها اليهود؟ قال: لا قيل له فلماذا هذا الحماس والاندفاع لنصرتهم دون المسلمين الأحق بالنصرة؟ قال: لأنني إن أحسنتُ للمسلمين لم يشكرني ولا واحد منهم عبر الهاتف أو البريد الإلكتروني أو أي شيء، وإن أسأت لهم لم يعترض عليّ أحد بينما إن أحسنت إلى اليهود بكلمة أشاد بعملية الآلاف، وإن أسأت اعترض علي مثلهم فمصلحتي مع هؤلاء.

هذا هو حال حكام المسلمين اليوم ماتت مشاعرهم وذهبت نخوتهم وغيرتهم وأعماهم حب الدنيا والتشبث بالسلطة.

٣- لقد أساء المسلمون؟! قبل غيرهم إلى نبي الإسلام محمد ﷺ حين شوّهوا تعاليمه وعرضوا الإسلام بهذه الصورة البائسة فيقتلون الأبرياء من النساء والأطفال ويفجّرون أماكن العبادة ويخربون الديار لا لشيء سوى الحقد على البشرية والفرار من الذات المتمزقة، يفعلون كل ذلك باسم الإسلام وتحت شعارات الإسلام.

وهم بذلك يقدمون أئمن هدية وأمضى سلاح إلى العدو مجاناً، لذا سوف لا يجد الأعداء صعوبة في تشويه صورة نبي الإسلام الذي لم تتعرف شعوبهم عليه ﷺ إلا من خلال أفعال المنتسبين إليه صدقاً أو كذباً، فأى جريمة يرتكبها هؤلاء الحمقى والجهلة والمتحجرون في حق النبي الكريم ﷺ؟

٤- إن الصهيونية العالمية تسعى لدقّ إسفين بين الشرق المسلم والغرب المسيحي لإضعافهما وإشغالهما بهذه المواجهة حتى تتفرغ لإنجاز مشروعها في السيطرة على مقدرات العالم وهي تحرك عملاءها في كلا المعسكرين لإشعال هذه المواجهة.

إن الصحيفة نفسها تلقت عام ٢٠٠٣ رسوماً تسيء إلى السيد المسيح ﷺ لكن رئيس التحرير رفض نشرها وكتب رسالة إلى الرسام يذكر فيها أن هذه الرسوم تستفزّ مشاعر الكثيرين فما عدا مما بدا؟!!

مشروع الصهيونية العالمية:

إن مشروع الصهيونية العالمية ستراتيجي طويل ولا يُستبعد أن يكون أحد أهدافهم من دقّ الإسفين التمهيد لمنع الغرب المسيحيين من الالتحاق بحركة الإمام المهدي الموعود (عجل الله تعالى فرجه الشريف) بحسب ما دلت عليه الأخبار الشريفة.

وقد تنادى لدعم هذه الحركة رموز الاستكبار العالمي فالرئيس الأمريكي بوش يبدي أثناء لقاءه بالملك الأردني المسلم امتعاضه من ردود فعل العالم الإسلامي ويدعو حكوماته إلى وقف هذه الحركة، وشركة أمريكية تطبع الصورة على قمصان للبيع! ووزير إيطالي ينشر هذه القمصان؟ والاتحاد الأوروبي يهدد الدول التي تقاطع البضائع الدنماركية ويعتبر نفسه هو المستهدف؟ والبرلمان الأوروبي ينعقد ويعلن تضامنه مع الدنمارك؟ والمنسق الأعلى للسياسة الأوروبية يصل إلى القاهرة يلتقي بشيخ الأزهر لمعالجة الأزمة لكنه لا يعتذر عن الإساءة! هذا غير قيام الصحف والمجلات في عدة دول في أوروبا وغيرها بنشر تلك الصورة المسيئة! فهل يعقل إن هذه الحملة الهوجاء هي لمجرد حرية التعبير عن الرأي؟.

واجباتنا كأمة حضارية:

وفي ضوء الالتفات لهذه الأمور نستطيع تحديد واجبنا بعدة خطوات:

- 1- أن يعي المسلمون إن سلوكهم وتصرفهم ينعكس سلباً أو إيجاباً على الإسلام نفسه لعدم إمكان التفكيك بين النظرية والتطبيق فإن أي أيديولوجية إنما يتم التعرف عليها من خلال معتنقيها، فعلى المسلمين

أن يكونوا دقيقين في عرض صورة الإسلام النقية كما أوصانا الإمام الصادق عليه السلام: (كونوا لنا دعاة صامتين) (كونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيئاً) خصوصاً وإن تطور تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات اختزلت العالم كله في قرية واحدة بل في غرفة واحدة وتفاصيل هذه الفكرة في بحث (الأسوة الحسنة).

٢- أن تأخذ الشعوب الإسلامية زمام المبادرة من حكوماتها وأن تفرض إرادتها على هؤلاء المهزومين، وقد أثمرت حركتهم عن الانصياع تدريجياً لمطالبهم، واضطر بعض المسؤولين في الحكومات للخروج مع التظاهرات تحت الضغط الشعبي، وتحركت القيادات الأوربية لتطبيع الوضع من جديد وقدمت الدول الإسلامية مشروع قرار إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة وقّعتة (٥٧) دولة يدعو إلى سن قانون يمنع الإساءة إلى المعتقدات والرموز الدينية.

٣- أن يتوحد المسلمون ويلتفتوا إلى قواسمهم المشتركة وهي عظيمة وإحداها حب نبيهم، وكم كان جميلاً حين هبّ العراقيون في جميع مدنهم للانتصار لنبيهم الكريم صلى الله عليه وآله وخلفوا وراء ظهورهم الخلافات والتقسيمات التي حاول أن يزرعها الطائفيون والمصلحيون والمتحجرون وبقية قائمة الأعداء الطويلة.

٤- أن يشخص المسلمون أعداءهم بدقة ولا يكونوا كالثور في حلبة مصارعة الثيران كل همه على الخرقه الحمراء ولا يلتفت إلى خصمه الحقيقي وهو الرجل الذي يطعنه بالخناجر حتى يقتله، فليس أعداؤهم

المسيحيين حتى يقوم البعض في لبنان والعراق بتفجير الكنائس وحرقتها والاعتداء على الأبرياء وإنما أعداءهم أولئك المستكبرون الذين يريدون الاستئثار بخيرات الشعوب واستعبادهم والويل لمن لا يقدم فروض الطاعة لهم، قَبَّحهم الله.

٥- الاستمرار في حوار الحضارات وعرض المعادل الموضوعي الذي يقدمه الإسلام.

وتوجد عدة إصدارات تثري هذه النقاط وتشبعها بحثاً منها (نحن والغرب) و(الأسوة الحسنة للقادة والمصلحين) و(المعادل الموضوعي بين النموذج الإسلامي والغربي) و(نظرة في فلسفة الأحداث) و(سلسلة خطاب المرحلة).

٦- الضغط على المعتدين بالمنطقة التي تؤلمهم وتسبب لهم الصداع وباللغة التي يفهمونها، ومنها مقاطعة بضائعهم لذا رأينا ثورته حين طبقت الشعوب هذا السلاح الماضي ومنها فضح جرائمه إعلامياً وتنفير الشعوب منه. ومنها الدعوة لإقامة معرض لكشف زيف محرقة اليهود المدعاة من قبل النازيين.

جعلنا الله وإياكم في زمرة الصالحين محمد وآله الطيبين الطاهرين وممن ينصرهم بنفسه ولسانه ويده وفكره وسلوكه والحمد لله رب العالمين وصلى اله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

الرد العملي على الإساءة لرسول الله ﷺ (١)

الإساءة لرموز الإسلام تشعرننا بالفخر:

لازلنا نعيش تداعيات ما قيل من إنتاج فيلم يسيء إلى رسول الله ﷺ في السينما الأمريكية بإخراج وتمويل يهوديين وقد نشرت بعض المواقع دقائق منه قبل عرضه، مما استفزّ مشاعر المسلمين فخرجوا في تظاهرات واحتجاجات في بلدان إسلامية عديدة، وهاجم بعض المتظاهرين عدة مقرات لسفارات ومؤسسات غربية.

ولم تكن هذه الإساءة هي الأولى فقد دعا بعضهم إلى حرق المصحف الشريف علناً وآخرون رسموا صوراً كاريكاتورية مسيئة، وآخر يؤلف كتاباً شيطانياً أو يؤدون حركات عبثية للسخرية من عبادات المسلمين وشعائرهم. وهكذا.

ومن وجهة نظري فإن هذه الأفعال تشعرننا بالزهو والفخر والانتصار لأن صدورها منهم تعني إفلاسهم وهزيمتهم وتدل على اعترافهم بانتصار الإسلام وتقدمه وغزوه لهم وفشل كل مشاريعهم للقضاء على حركته المباركة وإيقاف مدّها إلى عقر دورهم فلجأوا إلى هذه الأساليب للتضليل وللتشويه، ولو كان الإسلام هزلياً مهزوماً ضعيفاً لما خافوا منه وقلقوا وقاموا

(١) من حديث سماحة الشيخ يعقوبي (دام ظله) مع عدة وفود منها مدرسة أشبال المنتظر في الناصرية، ومجموعة الطلبة المتفوقين في الدراسة الإعدادية في المشخاب يوم الأربعاء ٢/ذ.ق/١٤٣٣ المصادف ٢٠١٢/٩/١٩ وقام فتيان المدرسة بعدة فعاليات قرآنية وأناشيد.

بهذه الأفعال البائسة.

لا نقف عند الردود العاطفية:

لكننا يجب أن لا نقف عند ردود الأفعال العاطفية المؤقتة فإنها لا تستطيع مقاومة مشاريع أعداء الإسلام المتنوعة من إفساد أخلاقي وتخريب ثقافي وتمزيق لحمة المجتمع وحصار اقتصادي و تجفيف الأنهار وتلويث المياه ونشر الأمراض الخطيرة من خلال أدوية فاسدة، ولا تنتهي عند الاحتلالات العسكرية والهيمنة على القرار السياسي وغيرها مما يخفى على كثيرين حيث يضع المستكبرون لكل بلد وشعب السيناريو المناسب له من وجهة نظرهم.

مشروع (هارب HAARP)

وألفت نظركم إلى واحد من مشاريعهم التخريبية كُشف عنه خلال هذه الأيام فقد كشفت دائرة الأنواء والرصد الزلزالي انها تملك أدلة على أن التغيير الحاصل بالجو في العراق بفعل فاعل وليس أمراً مناخياً طبيعياً وانهم وبعد جهود مضية على مدى خمس سنوات استطاعوا الحصول على أدلة تثبت تورط الولايات المتحدة بالتحكم في المناخ العراقي. وانهم قد رصدوا وجود طاقة صناعية تم توجيهها عبر مركز ابحاث الترددات العليا للشفق القطبي الشمالي، بما يعرف بمشروع (هارب HAARP) باعتباره المركز الوحيد القادر على افتعال زلازل وفيضانات وأعاصير ورفع وخفض درجات الحرارة التي تبدو طبيعية، وتوقع خبراء الأرصاد أن ترتفع درجات

حرارة العراق في السنوات الثلاثة المقبلة إلى سبعين درجة مئوية مما سيجعل الحياة فيه شديدة الصعوبة.

وبذلك انضم العراق إلى الدول التي يتحكم بمناخها مشروع هارب الذي تديره الولايات المتحدة الأمريكية وقد كشف الموقع الاخباري النيوزلاندي (ناتشر نيوز) عن دراسة تشير إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية هي التي تسببت في الزلزال الذي ضرب اليابان في ١١/ آذار/ ٢٠١١.

وسواءً ثبت وجود مثل هذه القدرة عندهم أو لم يثبت، فإن المهم هو معرفة توجهاتهم الأخلاقية وأنماط سلوكهم العدواني.

تعقيم النسل لإبادة الشعوب الإسلامية:

والمثال الآخر توجه الحكومة الأمريكية لقطع نسل ملايين الناس بإحداث العقم لدى نسائهم وهو نموذج للإبادة البشرية التي تقوم بها الدول المستكبرة المستمدة من ثقافة الصهاينة في احتلال أرض الغير واستبدال شعب بشعب وثقافة وتاريخ بثقافة وتاريخ غيرهما.

فهذه التصرفات والخطط الهدامة متوقعة منهم وهم ماضون فيها (لَا يَرْجُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا لَأْ ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ) (التوبة/١٠) وإلا بماذا يستحلون الإساءة إلى رسول الله ﷺ المبعوث رحمة للعالمين، والذي كان مصدر خير لجميع البشر إلى يوم القيامة وهم يعترفون بذلك حتى جعله أحد مفكريهم على رأس أعظم مئة شخصية صنعت التاريخ والحضارة الإنسانية.

وبماذا جاء رسول الله ﷺ؟ جاء مبلِّغاً لرسالات ربه مكتملاً لرسالات الأنبياء السابقين يأمر بالعدل والإحسان ورفض الظلم والبغي والفحشاء والمنكر، فيجب على كل إنسان أن يحبه ويحترمه ويعظمه حتى لو كان من غير دين، كما نحترم نحن العلماء الذين قدّموا خدمات للبشرية رغم اختلافنا في الدين وندرس نظرياتهم ونشيد بانجازاتهم العلمية.

فسلوكمهم هذا يعني انهم لا يحترمون الإنسانية والعقل والأخلاق الفاضلة والمبادئ السامية.

فهم بذلك يسيئون إلى أنفسهم ويفضحونها وليس إلى رسول الله ﷺ الذي هو أعزّ وأكرم وأعلى من أن تناله حماقاتهم (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) (الحجر/ ٩٥) (يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (التوبة/ ٣٢).

الإساءة إلى التشيع:

وإلى جانب هذه الحملة المسعورة التي تستهدف الإسلام، توجد حملة تضاهيها تستهدف التشيع بالتشويه والتسقيط والاجتثاث والاستئصال بالقتل والإبادة، أو التخلي عن الهوية بالترويع والإرهاب، وجرائمهم التي يندى لها جبين الإنسانية في العراق وأفغانستان وباكستان وغيرها مما لا حصر له. وهو أيضاً دليل هزيمتهم أمام تقدّم التشيع وانتشار تعاليم أهل البيت عليه، فيحاولون إطفاء نور الله بهذه الأساليب الوضيعة.

الإساءة الأشد إيالما:

إن الكثير من هؤلاء الذين يتظاهرون ويحتجون بحماس في شوارع المدن الإسلامية في باكستان وافغانستان وغيرهما هم الذين يقتلون الأبرياء ويفجّرونهم في المدارس والأسواق والمساجد والأماكن العامة باسم الإسلام واسم رسول الله ﷺ فهم أشد إساءة لرسول الله ﷺ من صنّاع الفلم والرسوم والروايات الشيطانية، لأن رسول الله ﷺ كان يغفر لمن يسيء إلى شخصه المبارك بقول أو فعل لكنه كان لا يسكت على أي ظلم يوجّه إلى الإنسان خصوصاً إذا بلغ الدماء.

كان أمير المؤمنين عليه السلام ربيب رسول الله ﷺ يخطب في مسجد الكوفة، فقال كلاماً أذهل الجالسين، فقال رجل من الخوارج (قاتله الله كافراً ما أفقهه) فوثب إليه القوم ليقتلوه، فقال عليه السلام: (رويداً إنما هو سبٌّ بسبٍّ أو عفوٌّ عن ذنب) ^(١) ولا مجال لأي عقوبة أخرى، ولما لم يكن من أخلاق أمير المؤمنين عليه السلام مقابلة السيئة بمثله فقد عفا عنه وهو رئيس الدولة الإسلامية.

لكن امرأة أته يوماً تشتكي والي البصرة فحرّر كتاباً على الفور يعزل فيه ذلك الوالي.

من أهداف الاستكبار العالمي:

وليعلم هؤلاء المحتجون أن من أهداف الاستكبار في إثارة هذه الأفعال المسيئة إنما هو ليستفزوا مشاعر المسلمين ويدفعوهم فالرد على

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٤٢٠.

هؤلاء الأعداء الذي يريدون منا التخلّي عن هويتنا (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ
وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبْعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ
أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)
(البقرة/١٢٠) أو اجتثاث وجودنا واستئصاله، هو بمزيد من الالتزام بديننا
وقرآنا وتعاليم أهل بيت النبوة (صلوات الله عليهم أجمعين) والأخذ
بسيرتهم وهديتهم خصوصاً منكم معاشر الشباب والفتيان الذين تتلون
القرآن وتتشدون الأناشيد في حب الله ورسوله ﷺ وأهل البيت عليهم السلام
وتتعهدون بالثبات والنصرة وأنتم في عمر الزهور والغرائز المتدفقة، وبذلك
تشعرونهم باليأس والإحباط والفشل لأن كل هدفهم سلخنا من مبادئنا
ومعتقداتنا.

الرد على المسيئين يكون بالنجاح والإبداع:

وأن تردّوا بمزيد من النجاح والتفوق والإبداع والانجاز في كل
الميادين التي تتواجدون فيها، فحينما أسمع من بعض الوفود الحاضرة أن
عدد من أعفوا بكل الدروس في المرحلتين الرابعة والخامسة الاعدادية في
مدينة المشخاب وحدها هو (١٦٠) طالباً وطالبة، وان عدد من نجحوا
بمعدل يفوق ٩٠٪ في الامتحانات العامة للدراسة الإعدادية في المدينة من
الدور الأول هم (٢٥) طالباً وطالبة فهذا نموذج لما أقصده من الرد العملي
وإدخال اليأس على الأعداء.

اغتيال العلماء العراقيين بدم بارد:

ربما سمعتم بما حصل قبل اسبوعين حينما قام مسلحون مجهولون باغتيال عالم نووي عراقي^(١) مقيم في بريطانيا منذ أكثر من ٣٠ عاماً حينما كان في زيارة إلى فرنسا فقتلوه وزوجته وامرأة مسنة معهما وجرحت ابنة له مع اختها، وحصل كل ذلك بدم بارد ولم يهتم الإعلام بالحدث ولا تحرك ملف التحقيق لكشف ملابس الحادث.

الرد بالالتزام بتعاليم الدين:

وأن تردّوا بتوسيع قاعدة الالتزام بالدين والرجوع إلى الله تبارك وتعالى فتحثون الذي لا يصلي على المحافظة عليها، وتقنعون غير المحجبة بالالتزام بالحجاب العفيف لأنه رمز جمالها وكمالها، وتدعون إلى التحابب والألفة وحل المشاكل بالحوار ونحوها واذكروا لهم قوله تعالى (يوم ندعو كل أناس بإمامهم) فمع أي إمام يجبون أن يحشروا، ولاشك انهم لا يستبدلون برسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليّ عليه السلام وفاطمة الزهراء والحسن والحسين والأئمة المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين) أحداً غيرهم، إذن فليأخذوا بسيرتهم وتعاليمهم.

(١) وقع الحادث يوم ٢٠١٢/٩/٥ في منطقة (شيفالين) شرق فرنسا، والمستهدف اسمه (سعد الحلبي) وهو عالم نووي عامل في مختبر نووي سري للغاية في بريطانيا، وكان معروفاً بكرهه للأمريكيين، هرب من العراق عام ١٩٧٨، وقد ذاع صيته أخيراً بعد نجاحه في إنتاج مسرّع جسيمات عملاق يستطيع صنع مواد مشعة. وقد عمل في مختبر (روثر فورديلبتون) للأبحاث الذي حظي بشهرة عالمية في ثمانينات القرن الماضي.

أكثرنا من النسل:

وان تردوا على خطتهم الشيطانية في استئصال وجود المسلمين بزيادة الانجاب وتكثير النسل لإدخال السرور على رسول الله ﷺ ولزيادة النسمات التي تشهد لله تعالى بالوحدانية ولرسول الله ﷺ بالرسالة ولأمير المؤمنين بالولاية، فقد روي عنه قوله ﷺ: (اطلبوا الولد فإنني مكاثركم الأمم غداً)^(١) وعنه ﷺ: قال (تزوجوا فإنني مكاثركم الأمم غداً في القيامة حتى ان السقط يجيء محنطاً على باب الجنة فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: لا حتى يدخل أبواي الجنة قبلي)^(٢)، مع الاهتمام بتربيتهم تربية صالحة وجعلهم عناصر مثمرة مباركة.

وقد قلت في أكثر من مناسبة أن عدد الأطفال المطلوب لكل زوجين هو أربعة على الأقل للمحافظة على الوجود، ولتكثير النسل، فإذا قصر المسلمون في تحقيق الهدف وهو تكثير النسل، فقد خالفوا وصية رسول الله وأعانوا أعدائهم على أنفسهم.

إن مقولة (تحديد النسل) و (تقليل الإنجاب) هي من الثقافة المدمرة التي دسها الأعداء في عقول المسلمين، وأكثر الأسباب التي تُقال في تبريرها ليست مقبولة كصعوبة المعيشة وزيادة تكاليف الحياة، لأن الله تعالى هو الرازق لعباده ولتذكر الوالدان اللذان يقولان مثل هذا الكلام انهما كانا حَمَلين في بطن الأم ويأتيهما رزقهما رغداً هنيئاً سائغاً، فلا يعول

(١) وسائل الشيعة، كتاب النكاح، أبواب مقدماته، باب ١ ح ٢.

(٢) وسائل الشيعة، كتاب النكاح، أبواب مقدماته، باب ٢ ح ٤.

الفرد على نفسه ويغفل عن لطف الله تعالى، روي عن رسول الله قوله
(اتخذوا الأهل فإنهم أرزق لكم).

حاجة البشرية إلى علي بن أبي طالب: صوت العدالة الإنسانية^(١)

من الذي يقف وراء صراع الحضارات:

تبلورت فكرة (صراع الحضارات) لدى الحكومات الغربية المستكبرة منذ اضمحلال الاتحاد السوفيتي وظهور علامات التفكك فيه باعتباره القوة المقابلة لهم، ولما كانت إيديولوجيتهم مبتنية على وجود أو إيجاد عدو حقيقي أو وهمي لإقناع شعوبهم بسياساتهم العدوانية والمخالفة لأبسط حقوق الإنسان واستمرارهم في ابتلاع خيرات الشعوب والتمدد والإثراء على حساب حرمان الآخرين والتي تبدو مبررة ظاهراً لمواجهة هذا العدو المفتعل فتساق أممهم وراءهم وتنخدع بأباطيلهم.

وكانت الجهة الجديدة التي أوهموا شعوبهم أنه عدوهم هو الإسلام، فضخموا من خطورته وبالغوا في التحذير منه ووجوب مواجهته، وتنفخ في ذلك كله الصهيونية العالمية التي لا تريد للعالمين المسيحي والإسلامي أن يقتربا؛ لأن في ذلك تهديداً لوجودهم، فكان همهم في خلق العداوة بينهم لتفريقهم عن بعضهم ولأنهم الوحيدون الذين يكونون عداوة ذاتية متأصلة للإسلام والمسلمين، وإلا فإنه لا توجد عداوة ولا منافرة ذاتية بين المسلمين والمسيحيين أي بما هم مسلمون ومسيحيون كما أخبر الله تبارك وتعالى [لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ

(١) مقدمة كتبها سماحة آية الله الشيخ محمد اليعقوبي لكتاب (علي بن أبي طالب: صوت

العدالة الإنسانية) لمؤلفه (جورج جرداق) والمعاد طبعه حديثاً باللغة الإنكليزية.

أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ
وَرَهْبَانًا وَآنَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ] (المائدة: ٨٢).

صناعة التبعية والاستغلال:

ولكن مما يؤسف له غفلة كلا الطائفتين عن هذه الحقيقة فضاوعوا في النزاعات، ولكنني أرى بوادر الوعي لدى العالمين الإسلامي والمسيحي لهذه المؤامرة الصهيونية فأدر كما معاً أن تقارب الحضارتين ممكن والالتقاء قريب، وأن هذا الصراع لا مسوغ له وتوجد دلائل على هذا الوعي كنتائج استطلاع الرأي الأوربي الأخير الذي كشف عن أن أكثرهم أجاب بأن الكيان الصهيوني هو مصدر القلق والإرهاب الأول في العالم، مضافاً إلى تصويت أكثر من ولاية في بلجيكا وكندا لمصلحة قطع العلاقات مع هذا الكيان.

وقد حاول المستكبرون فرض هيمنتهم على العالم وبالذات على الشرق المسلم لما يتمتع به من خيرات هائلة ومواقع استراتيجية تمثل عصباً أساسياً لمصالحهم وقد جعلوا لذلك مصطلح العولمة الذي يريدون به جعل العالم كله يفكر ويسير ويتحرك ويعيش كما يريدون هم، وهو منطق المستكبرين دائماً كما ينقل القرآن الكريم عن فرعون [مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى] (غافر: ٢٩) [أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ] (الزخرف: ٥١) وليس لأحد أن يخالفهم ويخرج عن دائرة نفوذهم ومصالحهم وإلا فالويل كل الويل له، ووظفوا لذلك آلة عسكرية ضخمة تطال أي متمرد عنهم، ومؤسسات اقتصادية تبتلع أي بلد وتغرقه في

ديون وتضخمات لا ينجوا منها ليقى يدور في فلکهم ولا تكون إرادته مستقلة عن إرادتهم، وسوقوا إلينا ثقافتهم الهزيلة وصنعوا لها رموزاً تافهة لنقتدي بها ونتأثر بها فكراً وسلوكاً ونظاماً، بعد أن صنعوا لأنفسهم هالة من الإعجاب والانبهار لتفوقهم العلمي والتكنولوجي، فحاولوا أن يكون هذا منطلقاً للتبعية الفكرية والأخلاقية والاجتماعية، ويجردونا عما نمتلك من قوة في هذه الجوانب يحسدوننا عليها ولا يرضون منا إلا بتركها.

التواجه الحضاري:

من هنا وجب على مفكرينا عدة خطوات:

١- انفتاح الحضارتين على بعضهما والتعرف على حقيقة كل منهما من حيث المقومات والأهداف والآليات وغيرها فإنها خطوة كبيرة ومقدمة مهمة للالتقاء.

٢- عرض النماذج الكاملة من رموزنا ودراسة سيرتهم وتحليلها وبيان نقاط العظمة فيها وهم أكثر بفضل الله تبارك وتعالى، وأولهم أكمل الخلق جميعاً محمد رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب أخو رسول الله ﷺ ونفسه، والأئمة الطاهرون وأصحابهم البررة؛ لأن من طبع الناس التأثير بالرموز الكبيرة الشهيرة والاقتراء بها، وقد نبه القرآن الكريم إلى أهمية هذا الأسلوب في التربية وهو الاقتراء بالنماذج الكاملة قال تعالى [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ] (الأحزاب: ٢١) فإذا لم نوفر للناس مثل هذه الأسوة فإنهم سينساقون وراء قدوات تافهة كالرياضيين والفنانين ونحوهم.

٣- أن نجيد لغة الخطاب والحوار مع الطرف الآخر، ونفهم المداخل المناسبة لعقله وقلبه ونفسه، فلا يناسب أن اشرح للأوروبي الغارق في الماديات بان سبب ثورة الإمام الحسين عليه السلام على يزيد بأنه كان يشرب الخمر وينكح المحارم ويضرب بالطنبور ومثل الحسين عليه السلام لا يباع مثله؛ لأن المخاطب لا يرى في ذلك أي مشكلة؛ لأنه يرى أن غايته في الحياة هو التمتع بهذه الأمور: الجنس والخمر والموسيقى فلا يوجد مبرر لخروج الحسين عليه السلام، لكن إذا عرضت يزيد كقاتل للنفس المحترمة بغير حق، ومصادر للحريات ويسرق الأموال العامة لينفقها على ملذاته الشخصية، ويثري بغير حق، وتسلب بالقهر على رقاب الأمة من دون الرجوع إلى الشعب وممثليه، فيكون المبرر للثورة عليه واضحاً ومثيراً للإعجاب.

هذه الأفكار التي عرضتها جمعها الأستاذ جورج جرداق في كتابه (صوت العدالة الإنسانية)، فهو مسيحي تعرف على عظيم من عظماء الإسلام، صنعته يد الرسالة فكان معجزتها كالقرآن لذا كان (القرآن مع علي وعلي مع القرآن)، وعاش في ظلال شخصيته المباركة واستلهم منها الكثير وقدمه لنا ببيان رشيق وفكر ينسجم مع ذوق الجيل وأفكاره، رغم أنه كتب قبل ما يقرب من خمسين عاماً (١٩٥٦) فتحدث فيه عن حقوق الإنسان كالحرية والعدالة والثورة ضد الظالم والعقوبة والجمال والمبادئ، وقدمه لنا بدراسة تحليلية خرجت عن المألوف في تراجم الرجال وسيرهم نموذجاً صالحاً لتأسي به البشرية وتستضيء بنوره حتى تتحقق إنسانيتها الكاملة وتسود العدالة ويسعد الناس وما ذلك على الله ببعيد.

رسالة إلى رئيس الجمهورية الفرنسية (السيد جاك شيراك) قبل توقيعه على قرار منع الحجاب في المدارس الرسمية

أنهت أمس الحادي عشر من كانون الأول ٢٠٠٣ (١٦ شوال ١٤٢٤) اللجنة الحكومية الخاصة بدراسة ظاهرة الحجاب الإسلامي في المدارس الفرنسية وقدمت توصية بمنع الرموز الدينية ومنها الحجاب الإسلامي في المدارس ومن باب التضييل وذر الرماد في العيون تضمنت التوصيات منع القبعات اليهودية والصلبان الكبيرة للمسيحيين وأوصت بجعل يوم عيد المسلمين واليهود عطلة رسمية وعدم الاقتصار على التعطيل في عيد المسيحيين.

ونحن إذ نعبر عن أسفنا لمثل هذه التوصيات نأمل عدم توقيع رئيس الجمهورية الفرنسية عليها حتى لا تكتسب صفة القرار للنقاط التالية:

١- إن مثل هذه القرارات منافية لحقوق الإنسان والتي تتضمن حرية التعبير عن المعتقد والقيام بما يتطلبه معتقده ما دام غير مضر بالمصالح الوطنية، وإن دول الغرب ومنها فرنسا تتبجح وتفتخر على الكثير من دول العالم بمراعاتها لحقوق الإنسان، فتأتي مثل هذه القرارات لتكشف زيف هذه الادعاءات وتُظهر الصورة الحقيقية للنظم الغربية التي تضع تحت أقدامها كل الشرائع الإنسانية والسماوية إذا اقتضت النظرة الضيقة للمصالح ذلك.

٢- إن الحجاب الإسلامي ليس فقط رمزاً دينياً كالصليب والقبعة اليهودية حتى تُقرن جميعاً بقرار رغم أنه أجاز الصلبان الصغيرة وبعض

الرموز اليهودية، فإن الحجاب شعار لنظام كامل في الحياة تختطه المرأة المسلمة؛ لأن الحجاب يعني انتهاج السلوك النظيف والعياف الخالي من الخيانة والرافض للخطيئة والذي يمتنع عن الفساد، والانحراف عن الأخلاق الإسلامية العليا ولا يعني حمل الصليب أو لبس القبعة شيئاً من ذلك.

نحن نعتقد أن ارتداء الحجاب هو العلامة الفارقة للمرأة الملتزمة بالشريعة عمّن سواها، فإذا كانت محجبة فهذا يعني أنها ملتزمة بكل تفاصيل الشريعة الأخرى فهذه المقايسة باطلة.

٣- إن الحجاب جزء مهم وضروري من كيان المرأة المسلمة ولا تتخلى عنه مهما كان الثمن حتى لو كلفها حياتها، فمثل هذا القرار سيدفع النساء المسلمات إلى ترك الدراسة وعدم التخلي عن الحجاب وفي ذلك حرمان لهنّ من حق أساسي في الحياة وهو التعليم.

٤- إن مريم المقدسة والدة السيد المسيح عليها السلام كانت امرأة عفيفة طاهرة متعبدة لله تبارك وتعالى ولم تكن خالعة للحجاب ومبذولة للنظر للرجال، فهي أول من ترفض هذا القرار لأنها تريد للنساء أن يقتدين بها، فأناشدكم بالله تعالى أن لا تدخلوا الأذى على الروح المقدسة لها بمثل هذه القرارات.

٥- إن العلمانية المتبعة كنظام حكم في الدول الغربية والتي تذرعوها بها لمثل هذه التصرفات حيث عدّوها منافية للعلمانية تعني فصل الدين عن السياسة، ولا تعني بأي حال من الأحوال مناهضة الدين ومعاداته فهذا تطبيق سيئ للعلمانية التي يريدون إقناع الشعوب المتدينة بها.

٦- إن الغرب قد التفت أخيراً إلى أن العلاج الوحيد لأمراضه الجسدية كالإيدز والاجتماعية كالانتحار والجريمة هو بتعزيز القيم الروحية وبناء الأخلاق السامية والحجاب جزء من هذه التربية.

أكرر أمني بأن لا تقرر الحكومة الفرنسية هذه التوصيات ولتترك الناس أحراراً في التعبير عن معتقداتهم الدينية خصوصاً وأن فرنسا ترتبط في أذهان الشعوب بتاريخ حضاري حافل وأوضح معالمه الثورة الفرنسية الكبرى فلا تعملوا على زعزعة هذه النظرة.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على عباده الذين اصطفى.

محمد اليعقوبي

١٧ شوال ١٤٢٤

ليعتبر الغرب من الاضطرابات في فرنسا^(١)

دعا سماحة الشيخ الغرب إلى أخذ الدروس والعبر من الاضطرابات التي تشهدها فرنسا منذ أكثر من ثلاثة أسابيع واضطرت الحكومة إلى إعلان حالة الطوارئ مما أقلق الشعب الفرنسي وأشعره بأنها حالة حرب.

إن هذه الحوادث كشفت عن التناقضات الكبيرة في المجتمع الغربي والفوارق الطبقية وعدم المساواة، وعدم مصداقية القادة السياسيين في العمل لمصلحة شعوبهم وإسعادهم وارتكابهم قرارات خاطئة بلا مبرر، كمنع الحجاب في المدارس الرسمية، فكل هذه العوامل ساهمت في اختزان حالة الغضب والامتعاض لدى الشعب الفرنسي وما إن وجد فرصة للانطلاق حتى انفجر كالبركان وأمتد إلى عدة دول أوربية كألمانيا وبلجيكا وهولندا وبريطانيا.

وقد أبدى مثقفو الغرب ومفكروهم قلقهم من فشل الحكومات في إيجاد الحلول لهذه المشاكل الاجتماعية واكتفائهم بالحل الأمني والعسكري دون النظر إلى جوهر المشكلة، وأن ذلك يهدد مستقبل الحضارة الغربية في حين اعترفوا بحسب ما نقلته الصحف الغربية - إن المستقبل هو للمسلمين الذين ينعمون بروابط اجتماعية قوية وأخلاق فاضلة ومثُل إنسانية عليا والحمد لله على هدايته لدينه.

(١) نشر في العدد (٣٤) من الصادقين على صفحتها الأولى الصادرة بتاريخ ٢٨ شوال ١٤٢٦

تهنئة العالم المسيحي

بذكرى عيد ميلاد السيد المسيح عليه السلام (١)

هنا سماحة الشيخ المسيحيين في العالم بحلول ذكرى ميلاد السيد المسيح عليه السلام وكتب الرسالة التالية إلى بابا الفاتيكان.

بسم الله الرحمن الرحيم

قداسة البابا بوب بندكت زعيم الفاتيكان..

أهنتكم بذكرى ميلاد السيد المسيح النبي الكريم والرسول العظيم وكلمة الله التي ألقاها إلى مريم المقدسة وروح منه ليهب للبشرية الرحمة والسلام والمحبة والتسامح ونبذ الدنيا التافهة التي تزرع البغضاء والشحناء وتصنع الحروب والجرائم وتفرق بين البشر.

لقد كان السيد المسيح عليه السلام من أولي العزم من أصحاب الرسالات الإلهية الذين أمر الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وآله أن يسير على هداهم ويلتزم بطريقتهم المثلى فقال الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل).

إننا نحن المسلمين نعرف عظمة السيد المسيح بما عرفه لنا القرآن الكريم النازل من الله تبارك وتعالى في آيات عديدة، ونحترم أتباعه ونحبهم لأنه أقرب الناس إلينا كما جاء في القرآن الكريم [وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا

(١) نشرت على الصفحة الأولى من العدد (٣٥) من صحيفة الصادقين الصادر بتاريخ ١٩ ذي

وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ. وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ. وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ. فَأَتَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ]، وهذه الآيات جزء من سورة طويلة اسمها (المائدة) لأنها خلّدت معجزة السيد المسيح بنزول مائدة من السماء عليه وعلى الحواريين. لقد عاش المسلمون والمسيحيون على هذه الأرض الطيبة متآلفين متحابين وساهموا معاً في تشييد الحضارة الإنسانية.

نأمل من قداستكم أن توجّهوا أتباعكم ومريديكم إلى الالتزام بتعاليم السيد المسيح ﷺ الذي لا يرضى بالظلم والعدوان والانحراف الذي يمارسه الكثير من قادة الدول المسيحية، وقد وقف علماء الإسلام في وجه مثل هذا الانحراف وقدموا على هذا الطريق القرابين والشهداء من مرجعيات دينية وعلماء ومفكرين ومثقفين وغيرهم.

يتمنى علماء الإسلام والحوزة العلمية لقداستكم طول العمر بالصحة والعافية لتقودوا أمتكم لهذه المبادئ السامية، ونشكر مواقفكم النبيلة تجاه قضايانا ومشاكلنا وأزماتنا، ونأمل منكم أن تكونوا معنا ومع كل المخلصين الأتقياء من بني البشر لنسير يداً بيد نحو تحقيق المثل الإنسانية العليا التي ضحّى من أجلها الأنبياء والرسل الكرام نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد (صلوات الله عليهم أجمعين).

ونصلّي وندعو لكي يأتي اليوم الذي يتآلف فيه الناس جميعاً وتسودهم العدالة والمحبة ليرضى الله عنهم ويدخلهم جناته الواسعة، وانتم

في موقفكم الشريف لكم الدور العظيم في ذلك فأسأل الله تعالى أن يسدد
خطاكم ويجري الخير على أيديكم للناس وتقبلوا تهنتي وشكري ودعائي
لكم ولكل لعاملين من أجل الخير والمحبة والسلام.

محمد اليعقوبي / النجف الأشرف

١٣ ذق ١٤٢٦ - ١٦/١٢/٢٠٠٥م

النموذج الأمريكي آخر ما تقدمه البشرية قبل يوم الظهور^(١)

ورد في كتاب (نحن والغرب لسماحة الشيخ يعقوبي) أن الإدارة الأمريكية هي مصداق للأعور الدجال وان النموذج الأمريكي هو آخر ما تجربته البشرية وبفشله وعجزه عن تحقيق السعادة للبشرية ستعود هذه البشرية المتعبة إلى الإسلام.

وجاء فيه أن ذلك يوجب على علماء ومفكري الإسلام مسؤولية مزدوجة أي باتجاهين:

الأول: عرض الصورة المشرقة للإسلام على مستوى النظرية أي الأفكار والتعاليم والمعتقدات وعلى مستوى التطبيق والممارسة.

الثاني: كشف زيف ونقاط ضعف الحضارة المادية من حيث الأسس والمرتكزات وفشل نموذجها الأرقى وهو النظام الأمريكي.

وقد سئل سماحته عن منشأ هذا الكلام فقال انه ليس رجما بالغيب ولكنه أولا أطروحة عملية أي استفدنا منها هذين التكيلفين الرئيسيين وهما صحيحان أكيداً، وقد بدأت البشرية تستغيث من تفرعن الإدارة الأمريكية وسوء أفعالها وصرح بوش في البرازيل وهي من الدول التي تعتبر صديقة حليفة للولايات المتحدة انه شخص غير مرحب به في هذا البلد، فما هو موقعه إذن في الدول الأخرى؟!!

(١) نشر في الصفحة الرابعة من العدد (٣٦) من صحيفة الصادقين الصادر بتاريخ ٨ ذي

ثانياً أنهم يقولون عن نموذجهم أنه الآخر والخاتم ووضعوا نظرية
(نهاية التاريخ) لإثبات ذلك فنحن نلزمهم بما ألزموا أنفسهم.

اعتراف الغرب بعظمة التشريع الإسلامي^(١)

كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ:

نشرت بعض مواقع التواصل الاجتماعي يوم ٢٠١٤/٢/٧ صورة لجدارية ضخمة تزيّن المدخل الرئيسي لكلية القانون في جامعة هارفارد الأمريكية، على حائط مخصّص لأهم العبارات التي قيلت عن العدالة عبر الأزمان، وقد كُتِبَ على هذه الجدارية باللغة الإنجليزية وبخط كبير ترجمة قوله تعالى في الآية ١٣٥ من سورة النساء (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُوا أَوْ تَعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) ووضعوا شرحاً للآية ومعناها ولمحة صغيرة عن السورة التي وردت فيها فكُتِبَ عن الآية أنها (تؤكد على أهمية الصدق في الشهادة) وكُتِبَ عن سورة النساء (أنها تتعامل بشكل رئيسي مع التزامات ومسؤوليات المرأة في المجتمع الإسلامي، وتشرح أيضاً أصول الميراث وقانون الأسرة).

منهج العدل لكل الحياة:

وقد أحسن هؤلاء الاختيار لأنّ الآية تؤسس قاعدة مهمة في قانون

60

(١) من حديث سماحة المرجع اليعقوبي (رحمه الله) مع حشد من طلبة كلية القانون في جامعة

البصرة وعدد من منظمات المجتمع المدني من بغداد وكربلاء وذي قار يوم السبت

٢٠١٤/٢/١٥ المصادف ١٤٣٥/٢/١٥.

تطبيق العدالة في جميع المجالات وبناء الدولة العادلة والمجتمع الصالح، إذ تبدأ بتوجيه الأمر إلى جميع الناس وتخصّ الذين آمنوا بالذكر تشريفاً لهم أو لأنّهم هم المتوقع منهم الالتزام بالأوامر الإلهية أكثر من غيرهم، تأمرهم أن يكونوا قوامين بالعدل، فاستعمل صيغة المبالغة (قوام) لتدل على حالة دائمة وصفة راسخة لدى الإنسان، وليست وضعاً طارئاً، وبذلك يكون إقامة العدل منهجاً ثابتاً في حياة الإنسان.

ومعنى القيام هنا تحمّل المسؤولية والنهوض بها والالتزام بمتطلباتها فلا يقبل بترك تحمّل الشهادة وعدم الإدلاء بها، وبنفس الوقت يعني القيام الاستقامة ولذا سُمّيت الزاوية القائمة والمستقيمة لعدم وجود أي انحراف فيها عن المحور، فالمطلوب أنّ الشهادة خالصة لله تعالى لا تتأثر بأي ضغط للمصالح أو الميول أو الأهواء فعليكم أن تراقبوا الله تعالى فقط في شهادتكم من دون انحراف فيها إلى اليمين ولا إلى الشمال حتى بمقدار شعرة، مهما كانت الجهة اليمنى أو اليسرى حتى على نفسه أي كانت على خلاف مصلحة نفسه أو والديه أو الأقربين، أو كان المشهود له غنياً أو فقيراً فلا قيمة لهذه الاعتبارات ولا يجوز أن تكون محل اهتمام بنحو يوجب الانحراف والميل نحو الغني ضد الفقير.

61 وإنّما ذكر الغنى والقراة باعتبارهما أوضح سببين للمجاملة والمداهنة والانحراف عن الحق، وإلا فإنّ القيام بالحق مطلوب في مقابل كل المؤثرات التي تضغط على الإنسان، فعليه أن يؤدي تكليفه، أما ما هو الواقع وكيف تكون النتائج فييد الله تعالى (فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا) وبكل المخلوقات وهو مدبّر الأمور.

ثم تشير الآية إلى العنوان الكلي الجامع لأسباب عدم القيام بالشهادة لله تعالى وهو إتباع الهوى فينهى عنه (فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ) ويحذّرهم أن إتباع الهوى يؤدي بهم إلى العدول عن الحق (أَنْ تَعْدِلُوا) ويمكن أن يكون معناها أنكم إذا أردتم أن تعدلوا وتقيموا الشهادة بالحق فطريق ذلك أن لا تتبعوا الهوى، ونصل بذلك إلى نتيجة أن إتباع الهوى هو الأصل في حصول الظلم والجور في المجتمعات البشرية.

ويحذّرهم مرة أخرى ويلفت نظرهم إلى أنهم إذا أغمضوا في الشهادة وانحرفوا عن الحق أو لم يشهدوا أصلاً بالحق لصاحبه، فإن الله خبير بما يعملون وعليم بما يفعلون لا يخفى عليه شيء و (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) (غافر/ ١٩) للتشديد في أمر هذه القاعدة الأساسية في إقامة الحق والعدل.

لا يسبقكم بالعمل به غيركم:

هذه بعض جوانب العظمة في الآية الشريفة التي دعت أرضن كليات القانون في العالم تجعلها شعاراً على بابها ليستفيد منها كل داخل وخارج، أما المسلمون فإنهم غافلون لا يدركون قيمة هذه الجواهر التي من الله تعالى بها بواسطة نبيه الكريم (ﷺ)، وقد استغل أعداء الإسلام غفلة المسلمين وجهلهم فأقنعوهم بضرورة تطبيق القوانين الوضعية ونبذ قوانين الإسلام لينفرد أولئك بهذه الغنائم ويصدروا إلينا بضاعتهم الكاسدة، وإلى الآن لا زالت المناهج التي تُدرّس في كليات القانون هي القوانين الوضعية فيتخرج الطالب وهو لا يفقه من دينه العظيم شيئاً ولا يأخذ من دينه إلا القشور

ويترك اللب لأولئك الأجانب حتى يؤسسوا بها حضارتهم.

حينما يعترض المسلمون على تشريعات الإسلام ويذعن لها الغرب:

بل ان الأمر أسوأ من ذلك حيث يواجه بالثشنيع من يستثمر فرصة حكم الأغلبية الشيعية في العراق لتقديم قانون شرعي ينظم حياة الناس في أحوالهم الشخصية وفق شريعة الله وهو حقّ كفله الدستور، وتعالى أصوات المعترضين من داخل الأوساط الدينية والاجتماعية الشيعية لتتهم وتعرقل وتجعل العقبات وتحرض على عدم إقامة شرع الله تعالى.

كما تعرّض السيد الشهيد الصدر الأول عليه السلام إلى الحرب الشرسة من قبل بعض أقطاب المدرسة الدينية وأتباعها عندما قدّم للعالم بعض جوانب عظمة الإسلام في الفلسفة والاقتصاد والاجتماع وحاصروه وضيقوا عليه وسقطوه حتى استضعفه أعداء الله تعالى فقتلوه.

هذا شكل من أشكال عدم الإنصاف الذي يتعامل بها المسلمون مع شريعتهم حيث لا يسعون إلى تطبيقها والاستفادة منها بل يعرقلونها، بينما يفتخر الغرب بهذه الآية الكريمة والمسلمون عندهم القرآن الذي فيه أكثر من ستة آلاف آية كريمة وعشرات الآلاف من الأحاديث الشريفة للمعصومين عليهم السلام.

فتمسكوا أيها الأحبة بدينكم وصلتكم الوثيقة بالله تعالى ولا تعطوا الفرصة لأي أحد حتى يسلبكم دينكم فإنه أعظم النعم الإلهية، وهم لهم طرقهم في سلب الدين من أهله ولكل شريحة بحسبها، فالشباب الجامعي

بالإغواء والفتنة وإثارة الشهوات، وعلماء الدين بالحسد والغيرة وحب الجاه
وصراع الزعامات وشراء الولاءات بالأموال ونحو ذلك والغرض واحد هو
سلخكم من هذا العز والكرامة وشرف الدنيا والآخرة.

التعددية الدينية في أفق حوار الحضارات^(١)

معاني التعددية الدينية:

لابد من تحديد معنى التعددية الدينية قبل الحديث عن دورها في حوار الحضارات، ويمكن أن يُراد بالتعددية الدينية معنيان:

المعنى الأول: تعدد الأديان والطوائف في المجتمع الواحد، كالموجود عندنا في العراق، وهي حالة طبيعية وقد تعامل المشرع الإسلامي معها كواقع موجود نتيجة حرية الاختيار وهو مبدأ أساسي في الشريعة الإسلامية (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) (البقرة/٢٥٦) (إِنَّ الدِّينَ أَمْنٌ وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة/٦٢).

وقد منحتهم الدولة الإسلامية تمام الحقوق التي تُمنح لرعايا الدولة، لأن أساس الاستحقاق هي المواطنة التي يشترك فيها الجميع، أما الدين والمذهب والقومية ونحوها فلا تؤثر في استحقاق المواطنين، بل تحمّل أمير المؤمنين عليه السلام انشقاقات رموز كبيرة في المجتمع أدت إلى حروب طاحنة بسبب سياسته العادلة هذه بينما أراد الآخرون أن تتمايز الطبقات في الاستحقاقات والامتيازات، وهي ثقافة كان قد تطّبع عليها المجتمع وسار

(١) كلمة سماحة المرجع العقبوي (دام ظلّه) تلبية لدعوة وجّهتها رئاسة جامعة الكوفة لسماحته للمشاركة في مؤتمر عُقد في جامعة الكوفة بالتعاون مع معهد الدراسات العقلية في النجف تحت نفس العنوان يومي ٢٠-٢١/٢/٢٠١٤ بحضور علماء ومفكرين ومهتمين بقضية التقارب بين الأديان من عدد من الدول الإسلامية.

عليها، لكنها مرفوضة في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله. والشواهد في حياة أمير المؤمنين عليه السلام كثيرة كحادثته مع النصراني المكفوف حيث كان الإمام عليه السلام في شوارع الكوفة.. فمرّ بشخص يتكفف وهو شيخ كبير السن، فوقف عليه السلام متعجباً وقال: (عليه الصلاة والسلام): (ما هذا؟ قالوا: يا أمير المؤمنين إنه نصراني قد كبر وعجز ويتكفف، فقال الإمام عليه السلام: ما أنصفتموه.. استعملتموه حتى إذا كبر وعجز تركتموه)^(١).

ولما ولى أمير المؤمنين مالك الأشتر مصرًا، كتب له عهداً مطولاً في كيفية إدارة الدولة وكانت وصيته للرعية - أي المواطنين - جميعاً على حدّ سواء، كقوله عليه السلام: (وأشعر قلبك الرحمة للرعية)^(٢) وغيرها من دون ملاحظة أي اختلاف بينهم، فهم متساوون في حقوق المواطنة.

بل تصل حالة التعاطف والنظرة المتساوية للجميع على حدّ سواء إلى درجة بحيث يتقطع قلب أمير المؤمنين عليه السلام أسفاً ويجد الموت أهون عليه لما بلغه أن جنداً لمعاوية أغاروا على الأنبار وسلبوا النساء وفيهنّ غير مسلمات (معاهدات)، قال عليه السلام: (ولقد بلغني أنّ الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المعاهدة، فيتنزع حجلها وقلبها وقلائدها، ورعاها، ما تمتنع منه إلا بالإسترجاع والإسترحام، ثمّ انصرفوا وأفرين، ما نال رجلاً منهم كلمّ، ولا أريق لهم دمّ، فلو أنّ امرأً مسلماً مات من بعد هذا

(١) وسائل الشيعة: ج ١١ ص ٤٩ باب ١٩ ح ١.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٥٣.

أَسْفَاً مَا كَانَ بِهِ مَلُومًا، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا^(١).

ويشهد التاريخ الإسلامي بأنّ المسيحيين واليهود والصابئة تبوّأوا مواقع رفيعة في حكومات الدولة الإسلامية وبرعوا في أنواع العلوم وأسمائهم معروفة وبعضهم مشهور ممّا يعني أنّهم نالوا فرصاً متساوية مع المسلمين.

المعنى الثاني للتعددية الدينية:

المعنى الثاني: تعدّد الآراء الفقهية والرؤى الاجتهادية تبعاً للاختلاف في فهم نصوص التشريع حتّى تصل أقوال الفقهاء في مسألة واحدة إلى أكثر من عشرة، وهذه حالة إيجابية أصل لها المشرّع الإسلامي وتدل بعض الروايات على أنّ الأئمة عليهم السلام كانوا يتعمّدون إلقاء أجوبة مختلفة في الموارد الممكنة لمصالح مهمّة ذكروها^(٢)، وتعدّد من المفخر التي ورثها أئمة أهل البيت عليهم السلام لأتباعهم هو فتح باب الاجتهاد وإعطاء حرية النظر والاستنباط من المصادر الأصلية للتشريع (أعني القرآن الكريم والسنة الشريفة) ليعطي الفرصة لكل جيل أن يفهم النصوص الشرعية وفق ما تراكم لديه من إرث علمي وثقافي ونفسي واجتماعي مع مستجدات الواقع الذي يعيشه، والاستفادة من كل الأدوات المتوفّرة لديه بعيداً عن التقليد والجمود.

(١) هج البلاغة: الخطبة ٢٧ وقد قالها يستنهض بها الناس حين ورد خبر غزو الأنبار بجيش معاوية.

(٢) راجع كتابنا (الفقه الباهر في صوم المسافر: ١٤٠).

وقد أمر الأئمة عليهم السلام علماء الدين بأن لا يُفسِّروا النصوص على فهم معيّن ويحصروها به، وإذا تعرّس عليهم شيء فليتركوا فهمه للزمان فسيأتي الجيل الذي يفهمه وفق متطلبات عصره ويأخذ حاجته منه، (سأل رجل الإمام الصادق: ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس إلا غضاضة؟ فأجابه الإمام: «لأن الله تعالى لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو في كل زمان جديد، وعند كل قوم غض، إلى يوم القيامة»^(١)) وروي عن ابن عباس أنه قال: (لا تُفسِّروا القرآن فإن الدهر يُفسِّره).

إيجابية تعدد الفهومات الاجتهادية في إطار الانضباط الفقهي:

وتظهر إيجابية هذه التعددية في آراء الفقهاء من أكثر من جهة:

١- إنها تعطي فرصة لكل جيل أن يفهم النصوص وفق متطلبات عصره وملابسات الزمان والمكان ونحوها من العناصر التي تشكّل قرائن لفهم النصوص الشرعية.

٢- إنها تحمي الدين من أخطاء علمائه وحملته، فلو كان للشريعة فهم واحد فإنّ رفض هذا الفهم ينعكس على الدين نفسه فيؤدي إلى رفضه، كالذي حصل للكنيسة في العصور الوسطى حيث أدّى إكراهها لأتباعها على نمط معيّن للحياة إلى رفض الدين من الأساس، فتصوّروا لو أن الإسلام له صورة واحدة هي التي يسوّقها التكفيريون والإرهابيون فكيف ستكون النظرة إلى الإسلام نفسه؟ أما حينما توجد وجهات نظر معتدلة

وحضارية فإنها تحمي الإسلام من تلك الرؤى الخاطئة.

٣- إيجاد منافذ وخيارات بديلة عند العسر والحرَج ورفع التضييق عن الأمة، فمثلاً شخصٌ يرجع إلى فقيهٍ يحرمُ حلقَ اللحية وهو يجد حرجاً في تطبيق هذا الحكم فيرجع في هذه المسألة إلى فقيه آخر لا يرى حرمة حلقها وهكذا، لذا يلتزم الفقهاء بإرجاع أتباعهم إلى فقهاء آخرين في موارد الاحتياط الوجوبي وفق عملية منضبطة بقواعد، أي أن الفرد يلتزم بالرجوع إلى مرجع معيّن وهو الذي يراه جامعاً للمؤهلات، ويرجع إلى غيره في حدود الرخصة التي يمنحها له مرجعٌ تقليديّ.

فالعلمية ليست عشوائية أو انتقائية بحيث يستطيع الشخص أن يرجع إلى من يشاء في كل مسألة بحسب أهوائه ومشتهياته فيختار آراءً شاذة في كل مسألة لأنه سيصل في النهاية إلى دين مشوّه لا تُحفظ فيه المعالم العامّة والأساسية للدين^(١).

مراد الإسلام من التعدديّة:

والخلاصة إن وجهة نظر الإسلام في التعددية الدينية بناءة وحضارية على كلا المعنيين.

69

أما على الأول فإنها تساهم بشكل بناء في حفظ وحدة المجتمع وحفظ حقوقه على أساس المواطنة التي يتساوى فيها الجميع، وعلى المعنى

(١) قال ابن الحجاج متهمكماً بفتاوى شاذة لدى أئمة المذاهب الأربعة:

فاشرب ولط وازن وقامر واحتجج في كل مسألة يقول إمام

الثاني تساعده على تطبيق الدين بمرونة في حياة الفرد والمجتمع وتحلّ الإشكالية بين الدين والثقافة أو العصرية أو الحداثة ونحو ذلك.

لكنّ هذا المنهج النقي السامي لتعاطي الشريعة الإسلامية مع التعددية الدينية تعرّض بكلامه معنييه إلى الاستغلال السيئ، فتحوّل المعنى الأول إلى حالة من الاحتراب والطائفية والتعصّب على يد تجارٍ مستفيدين من هذه الصراعات لتنفيذ مآربهم وتحقيق مصالحهم الخاصة ولا دخل للدين فيها.

كما أنّ المعنى الثاني جعله بعض أهل الحداثة ودعاة التجديد غير المقنّن منفذاً لمسخ الدين والتنصّل من التزاماته بدعوى أن كلّ الأحكام الموجودة هي عبارة عن رؤية اجتهادية لأصحابها ولا تمثّل الدين نفسه فلا وجه للالتزام بها، وهذا تفكيرٌ غير سليم لأنّ فتاوى المجتهدين هي تعبير عن الأحكام التي قامت الحجّة الشرعية على وجوب العمل بها بعد الفحص عن المجتهد الجامع لمؤهلات المرجعية.

أأمل أن يوفّق مؤتمرُكم المبارك لإشباع هذه القضية بحثاً وتحليلاً لإنصاح المواقف وجعلها مثمرةً بإذن الله تعالى.

القوى الناعمة والمنبر الحسيني (١)

في معنى القوة الناعمة:

بدأ في السنين والعقود الاخيرة تداول مصطلح "القوى الناعمة" ووضعت الكتب لشرحه والياته وقوة تأثيره، وهم يقصدون به الادوات والوسائل التي يستطيعون بها التأثير على الاخر وغزوه واختراقه وتطويعه للأجندة المرسومة له من دون استعمال السلاح والماكنة العسكرية. وحينما يطلقون هذا المصطلح فانهم يريدون منه بشكل رئيسي "الاعلام" ويسمونه بالسلطة الرابعة بكل ادواته المؤثرة، ومن الواضح ان تأخر استعمال هذا المصطلح لا يعني ان هذه القوة الناعمة لم تكن مستعملة واكتشفت الان، فمنذ الازمنة الاولى كانوا يستفيدون منها بالاعلام المضلل وقلب الحقائق وتزييف الوقائع وبث الاشاعات لإحباط الخصم وتثييط معنوياته واحداث حالة الرعب والارباك لديه وتشويش افكاره ومعتقداته وتحويله الى اداة طيعة لما يريدون منه.

القوة الناعمة عبر التاريخ:

ومن الشواهد التاريخية على ذلك التورية التي كان يستعملها النبي ﷺ حين يخرج الى غزواته ليضلل الخصم، ومنها المكر والخداع الذي كان يمارسه الاعداء حتى مزقوا جيش امير المؤمنين والامام الحسن عليهما السلام

(١) من حديث سماحة المرجع العقبوي (دام ظله) مع العاملين في اذاعة الامل في محافظة

فقدوا عن القتال، ومنها الاشاعات الكاذبة التي كانوا يبثونها كإشاعة مجيء جيش الشام واستباحته لدماء واعراض اهل الكوفة حين حاصر مسلم بن عقيل والالاف من المواليين عبيد الله بن زياد في قصر الامارة، فانتشر الرعب في اوساط اهل الكوفة وانسحبوا وتركوا مسلما وحيدا ولم يكن مع ابن زياد داخل القصر الا بضع عشرات⁽¹⁾، لانهم لم يتعاملوا مع الاشاعة بالتصرف الصحيح لجهلهم وحمقتهم وأنايتهم.

لكي لا تهجم علينا اللوابس:

وقد بين القران الكريم علاج هذا التأثير للإعلام المضاد والاشاعات ومنع تداعياته بالتثبت والتبين والرجوع الى اولياء الامور العارفين الذين لا تهجم عليهم اللوابس والشبهات ولا تنطلي عليهم الحيل، قال تعالى [وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدْعَاؤُهُ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا] النساء ٨٣ وقال تعالى [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحِّحُوا عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ

(١) هنا نصح سماحة المرجع (دام ظله) في كلمته خطباء المنبر الحسيني ان يرتقوا الى مقام المنبر الحسيني السامي بصاحبه عليه السلام فيجددوا في خطابهم ويحدثوه ليتناولوا القضايا الحيوية التي تهمة الامة ومن ثم ربطها بقضية الامام الحسين عليه السلام والتعريج على مصيبتة وعدم اجترار نفس المادة التاريخية، فيتحدث الخطيب مثل هذا الحدث عن القوى الناعمة والاشاعة واثارها السلبية وكيفية تحصين المجتمع منها ثم يخلص الى اثر الاشاعة في افشال حركة مسلم بن عقيل عليه السلام ويعرج على المأساة.

نَادِمِينَ] الحجرات ٦ فليس من الصحيح التصديق مباشرة بالأقاويل وترتيب الاثر عليها واتخاذ المواقف على طبقها، فهذا الاندفاع والانفعال والتأثر قبل التثبيت حماقة، وقيل عن امير المؤمنين عليه السلام: (كفى بالمرء حمقا ان يصدق كل ما يسمع او كل ما يُقال).

ومن المعالجات التي وردت في مدرسة الاسلام للإشاعة وتطويقها واخمادها باجتثاث مصدرها ومادتها، لأن لكل اشاعة مادة تساعد على التصديق بها تكون كالجناحين التي تطير بهما الاشاعة وتنتشر في اواسط الناس كما قيل في المثل الشعبي "ماكو دخان بلا نار" فإذا اردت منع انتشار الدخان فلا بد من اطفاء النار وايقاف الاحتراق، وذلك من خلال الشفافية والوضوح وكشف الحقائق امام الراي العام، ورد في سيرة النبي صلى الله عليه وآله انه كان يسير في شوارع المدينة فرأى عمته صفية بنت عبد المطلب فسلم عليها وتفقد احوالها فمر عليها احد اصحابه صلى الله عليه وآله فبين له النبي صلى الله عليه وآله انها عمته صفية فقال الصحابي: "اننا لا نشك فيك يا رسول الله صلى الله عليه وآله ولا نتهمك بشيء، لكن النبي صلى الله عليه وآله اراد حسم مادة التهمة وسوء الظن والشك والريبة فوضح له الحقيقة، عن امير المؤمنين قال: (من وقف نفسه مواقف التهمة فلا يلومن من اساء به الظن)^(١).

نماذج نعيشها من الحرب الناعمة:

قبل ايام سرت اشاعات ان الإرهابيين استهدفوا مطار بغداد ولم يستطيعوا الوصول اليه مما سبب في انتشار حالة من القلق والتخوف من

(١) بحار الانوار: ٧٥ / ٩٠ ح ٤

احتمال وصول الارهابيين الى قرب العاصمة واضطراب الوضع الاقتصادي وتخوفت الشركات الجنبية من التعامل مع بغداد، وما كان لهذه الاشاعة ان تؤدي هذه النتائج لولا وجود مادة تغذيها، وهي تصريحات رئيس اركان الجيوش الامريكية الذي صرّح^(١) بان طائرات الاباتشي الامريكية احبطت هجوما لمسلحي داعش كانوا يتقدمون باتجاه ابي غريب ومطار بغداد وان الطيارين عرضوا انفسهم للخطر لانهم قاتلوا على ارتفاع منخفض، ولم يذكر الجنرال كيف علم بهدف المسلحين، وهل تنصّت على مكالمات لهم او وقعت بأيديهم وثائق او افادات متعلقين، لا يوجد شيء من ذلك، وكل الذي حصل وجود معارك على بعد حوالي ٢٥ كيلومترا عن ابي غريب وكانت للإرهابيين حركة وقدّر الجنرال انهم يريدون استهداف المطار.

فهذه هي مادة الاشاعة، والجنرال ديمبسي يعرف عدم وجود قيمة لكلامه لكنه أراد ان يوصل عدة رسائل من خلال تصريحاته لا تخفى على القادة والمسؤولين، ولا بد من الاشارة الى ان القوة الناعمة تشمل ادوات اخرى كثيرة غير الاعلام، بعضها مُلتفتٌ اليها، وبعضها غير مُلتفت، ومن القسم الاول: الفن فانه مؤثر في ثقافة الاخر وسلوكه وحتى معتقداته وسياسته اذا استطاع انتزاع الاعجاب والتأثر، وتستطيع الدول اليوم ان تحقق من خلال الانتاج الفني من التأثير في الدول الاخرى وجذبها الى سياساتها واقناعها بأجنداتها ما لم تستطع تحقيقه بالاحتلال العسكري الذي يكون

(١) من اخبار يوم ١٢/١٠/٢٠١٤.

عادة مبعوضا ومرفوضا.

ينقل اصحاب الشركات السياحية ان عدد السواح الى تركيا تضاعف بعد انتشار المسلسلات التلفزيونية التركية المدبلجة رغم ما تضمنته من الفساد والانحراف والجريمة، ويلاحظ تأثر شعوب المنطقة بالجمهورية الاسلامية وانجذابهم اليها وتقليد شعبها في بعض سلوكياتهم من خلال الاعمال الدرامية والتاريخية التي انتجتها.

الحرب الناعمة لاستعباد الشعوب:

اما القوى الناعمة غير الملتفت اليها في هذا العلم والتي لم تأخذ حقها من الدراسة والبحث لان القائمين على هذا العلم في الغرب من البعيدين عنها لانغماسهم في الماديات، مضافا الى انهم يستهدفون من القوى الناعمة تحقيق مآربهم الشخصية ومصالحهم على حساب استعباد الشعوب والسيطرة عليها، فلا يلتفتون الى القوى الناعمة الايجابية التي تجلب الخير والسعادة للبشرية وتصلح احوال الناس وتصنع لهم حياة سعيدة طيبة يكونون فيها احراراً كراماً.

القوى الناعمة في الفكر الإسلامي:

ومن تلك القوى (الدعاء) الذي ورد فيه انه يدفع البلاء وقد ابرم ابراما أي تمت كل مقدمات نزوله وتنفيذه على ارض الواقع، فهذه وسيلة غيبية للتأثير في الحوادث.

وكذلك (الصدقة) التي تفعل نفس الفعل، عن الامام الصادق قال:

(داووا مرضاكم بالصدقة وادفعوا البلاء بالدعاء واستنزلوا الرزق بالصدقة)^(١)
فقد يعجز الطب بكل تكنولوجيته المتطورة عن العلاج لكن الله تعالى يمن
بالشفاء والعافية بسبب دعاء او صدقة.

ومن القوى الناعمة المؤثرة في الاخرين وجذبهم (الاخلاق الحسنة)،
من وصية النبي ﷺ لعمه العباس بن عبد المطلب (انكم لن تسعوا الناس
بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم)^(٢) وقد دخل كثير في الاسلام والايمان بسبب
تأثرهم بأخلاق وسيرة ائمة الاسلام وقادته وعلمائه، روي عن الإمام
الصادق عليه السلام قوله: (كونوا دعاة للناس بغير السنتكم ليروا منكم الورع
والاجتهاد والصلاة والخير فان ذلك داعية)^(٣).

ومن القوى الناعمة (المنبر الحسيني والشعائر الحسينية) التي اثبتت
انها قوة عظيمة للجذب الى الحق والتأثير في الشعوب لأنها تستمد قوتها من
قوة مواقف الامام الحسين عليه السلام النبيلة وتضحياته العظيمة ومبادئه السامية
ويكون التأثير أكبر لو أتعب الخطباء أنفسهم ليكونوا أهلاً لتحمل مسؤولية
الانتساب الى هذا الموقع الشريف.

انا بفضل الله تبارك وتعالى وبركة النبي ﷺ وآله المعصومين عليهم السلام
نمتلك الكثير مما ينفع الانسانية لو التفتنا اليه واستثمرناه لكن انهزام
المسلمين داخلياً وفقدانهم الثقة بأنفسهم وانبهارهم بالغرب جعلهم يغفلون

(١) الكافي: ٤ / ٣ ح ٥.

(٢) بحار الانوار: ج ٦٨ ص ٣٨٣ أو أمالي الصدوق ص ٩.

(٣) وسائل الشيعة: ١٥ / ٢٤٥ ح ١٣.

عن الجواهر التي بأيديهم ويتلقفون القشور من الآخرين، لذا ينبغي
بالمفكرين والباحثين اغناء هذا العلم بما ورد عن المعصومين عليهم السلام في
مجال القوى الناعمة الايجابية ولتكن الخطوة التأسيسية من خلال هذا
العرض السريع الذي ذكرناه.

الوضع الأمني السيئ مصداق لقوله تعالى: (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) (١)

إن كل إنسان نبيل وعراقي شريف يتوجع قلبه ألماً ويعتصر مرارة لما يرتكبه العتاة المجرمون من مستكبرين طغاة وطائفيين وتكفيريين ومرترقة وجهلة في حق الشعب العراقي من جرائم يندى لها جبين الإنسانية ويتبرأ منها ويستنكرها حتى مرتكبوها والممهدون لها؛ لأنها أفعال قبيحة بكل المقاييس ولا يمكن تبريرها بأي حالٍ من الأحوال. فما معنى تفجير مسجد على رؤوس أهله المصلين المتعبدين؟ وما معنى اقتحام مجلس عزاء وقتل من فيه؟ وما معنى اقتياد صيادين يكسبون القوت لأهلهم وقتلهم صبراً؟ وما معنى تفجير السيارات المفخخة والألغام في تجمعات الناس الأبرياء من غير تفريق بين رجل وامرأة وشيخ وطفل.

جرائم اليوم تصدق ما حدث بالأمس:

إنّ هذه الجرائم ليست جديدة ولم يرتكبها فاعلوها اليوم وإنما هي امتداد لجرائم أصولهم الخبيثة، والجديد هو تنوع الأساليب والآليات فبعد أن كانوا يمسكون بالسلطة ويظنون أن بأيديهم مصائر العباد، فدفن المنصور العباسي آل البيت عليهم السلام وهم أحياء وقتل هارون العباسي ستين علوياً في يوم

(١) تقرير الكلمة التي ألقاها سماحة الشيخ على حشد كبير من طلبة جامعة بغداد والمستنصرية والتكنولوجية وكلية التقنيات الميكانيكية والمعهد التقني في بغداد يوم

واحد ومن قبل ما جرى على سيد شباب أهل الجنة حتى قتلوا الرضيع وسبوا النساء وأحرقوا البيوت وملاؤا بهم السجون. فهل ناقش أحد لماذا توفيت الزهراء عليها السلام وهي في الثامنة عشرة من العمر، والإمام محمد الجواد عليه السلام في الخامسة والعشرين، والإمام الحسن العسكري عليه السلام في الثامنة والعشرين والإمام الهادي عليه السلام في الثانية والأربعين وحرّموا الأمة بل الإنسانية من عطائهم الثر؟

وبالأمس القريب قتل صدام وجلاوزته المراجع العظام والعلماء الكرام والشباب الرسالي وطلائع الأمة التواقّة إلى الحرية بأحواض التيزاب والمقابر الجماعية والأسلحة الكيماوية والصعقات الكهربائية، وفي السجون والمعتقلات ويجدون لذتهم ومتعتهم في سفك هذه الدماء الطاهرة.

واليوم عادوا بعد أن جنّدوا مجموعة من المتحجرين والمضللين والحاقدين على أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم ووفروا لهم الإمكانيات والمعلومات واستجلبوهم من الآفاق^(١) وضلّوهم بعناوين (الجهاد) و(المقاومة) و(إنقاذ عاصمة الخلافة الإسلامية) و(التكفير) ليقتضوا بهم مآربهم، ووظفوا لذلك عدداً من علماء السوء الذين يصدرون الفتاوى لتبرير هذه الأفعال الشنيعة والحث عليها والدعوة إليها فانطبق عليهم قوله تعالى:

□ وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ، وَكَوْشِنَا لِرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ

(١) نقلت التقارير بالأرقام وجود عشرات المكاتب والخلايا لتجنيد هؤلاء المضللين في

الدول العربية والإسلامية والأوربية وبعثهم إلى العراق.

كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ □ (الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦).

وهم يهدفون من كل ذلك إرعاب الأمة وزرع اليأس والإحباط في نفوسها حتى تنزوي وتترك الساحة لهم ليعودوا من جديد يتخذون أموال الله دولاً وعباد الله خولاً ويهلكون الحرث والنسل ويخضمون ثروات الأمة خضم الإبل نبتة الربيع.

مسؤولية الأمة اليوم:

فمسؤولية الأمة حينئذٍ وردّها الحاسم هو التواجد المكثف والفاعل في الساحة وملاً مفاصل الدولة والحياة كما وقفت بشجاعة ووعي يثيران الفخر والاعتزاز يوم الانتخابات وفي المسيرات المليونية في ذكرى زيارة الأربعين، وأن لا تكثرث بإرهاصات هؤلاء المجرمين ولا يقلل من عزيمتها ما نفقده من دماء عزيزة علينا وخسائر جسيمة فإن هذا النزيف مستمر منذ أن خلق الله البشر فانساق بعضهم وراء شهواته ونزواته وأطاع هوى نفسه الأمانة بالسوء [وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ، لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ، فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ] (المائدة: ٢٧ - ٣٠).

العالم يقرأ تاريخنا من جديد:

لقد التفت العالم الآن إلى الوجه القبيح لهؤلاء وأخذ يصدّق أن أسلاف هؤلاء قتلوا الرضيع وأحرقوا بيوت عقائل النبوة ودفنوا الصلحاء وهم أحياء وقطعوا رؤوس الشهداء ومثّلوا بجثثهم الزواكي ورضّوها بحوافر الخيل، وليست هذه الأخبار حكايات مصطنعة ليستدرّوا بها عواطف السذج والجهلة كما كانوا يصوِّرون.

وبدأ العالم يقرأ التاريخ من جديد وقيّم حوادثه وفق الرؤية التي حصلت لديه ليجد أن الإسلام لا يمثله هؤلاء الطواغيت المتسلطون بغير حق الذين ملأوا صحائف الكتب عاراً وشناراً بجرائمهم، ولا أذنبهم الذين يعيشون على فتات موائدهم ولا الهمج الرعاع الذين يتبعوهم وينعقون مع كل ناعق. وإنما يمثل الإسلام ثلة آمنت بربها فزادها هدى وآتاها تقواها جسدت المعاني الإنسانية النبيلة بأسمى صورها، لكنها أقصيت وغُيّبت ولم يُعطَ لها حق الحياة ومع ذلك فقد ملأت بمارثها ومكارمها الخافقين، فبدأ العالم بكل أديانه وطوائفه يعيد قراءة التاريخ ويتلقى بنهم كل ما يُعرِّفه بأهل البيت عليهم السلام وتعاليمهم وأصولهم والمرجعية الدينية وخصائصها وطريقة حياتها التي جعلت لهم هذه الهيبة والقداسة وقوة التأثير في أتباعها.

ولقد قلت قبل زيارة الأربعين أن هذه الحشود الهائلة وبهذه الشجاعة والتضحية الجسيمة ستجبر الأعداء قبل الأصدقاء على إعادة قراءة الخارطة السياسية والاجتماعية والديمغرافية والفكرية للعراقيين، وأول من صدق ظني عليه هو الرئيس الأمريكي بوش، فقد نقل أحد أخواننا المقيمين في واشنطن أن بوش تابع المشاركة المليونية والشعائر المهيبة التي أدوها وهم

يسيرون مئات الكيلومترات مشياً على الأقدام إلى كربلاء، فأبدى إعجابه وطلب من مستشاريه تقديم تحقيق مفصل عن هذه الشخصية التي استشهدت منذ ألف وأربعمائة عام ولا زالت تحرك ملايين البشر بهذا الحماس والعاطفة الجياشة.

ضريبة المبادئ السامية التي نتمسك بها:

بهذه الأفكار استطعنا أن نلتفت إلى أكثر من أمر يعيننا على تجاوز المحنة ورباطة الجأش وتثبيت القلوب والنظر بأمل وتفاؤل إلى المستقبل وخلصتها:

١- إنها ليست حالة جديدة حتى نحن إلى الماضي، بل هي على أي حال أقل خسائر في الأرواح والممتلكات مما كنا ندفعه من قبل فإن الحرب مع إيران وحدها التهمت مليون إنسان ومئات المليارات من الدولارات وغزو الكويت أدى إلى قتل ربع مليون إنسان وتدمير البنى الأساسية للبلد وغيرها.

٢- إن هذا الدم العزيز الغالي لم يذهب هدرًا وإنما هو ثمن لتغيير معادلة عمرها ألف وأربعمائة عام كانت إرادة الأمة فيها مسحوقة ويتسلط عليها أراذلها.

٣- إنها كشفت عن الوجوه القبيحة لمدعي إمارة المؤمنين وتمثيل الإسلام وسلّطت الأضواء على الأخلاق السامية والتعاليم المباركة لمدرسة أهل البيت عليهم السلام.

لكي لا تضيع المبادئ السامية:

ومع إيماني العميق بأن الأمن والخبز هما من الحقوق الأساسية للإنسان ولا نستطيع مطالبة بأي استحقاقات إلا بعد توفيرها وأن الله تبارك وتعالى لم يطالب الناس بعبادته إلا بعد أن منّ عليهم بهما، قال تعالى: [فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ] (قريش: ٣-٤)، إلا أنه لا ينبغي للأمة أن تبالغ في تقييم الأمور وتضييع الأهداف العليا التي يجب أن يعيشوا من أجلها ويملاً هذا الهاجس كيانهم وكأنه لا همّ لهم ولا هدف إلا التخلص من السيارات المفخخة والألغام.

الوضع الأمني آخر مشاريع الغزو الغربي:

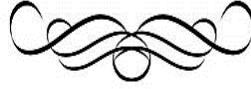
والثمرة الأخرى التي تحققت نتيجة فعل هؤلاء المجرمين والتي هي مصداق لقوله تعالى: [فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا] (النساء: ١٩)، [وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ] (البقرة: ٢١٦)، أنه بعد أن وطأت أقدام المحتل هذه الأرض المباركة كان هذا الغزو العسكري وسيلة لغزو فكري وأخلاقي وعقائدي واجتماعي يريدون به مسخ الهوية الإسلامية لهذا الشعب وتغيير ثقافته وتقاليده وأنماط سلوكه وإحاقه بالركب الغربي، ويجري كل ذلك على أيدي منظمات ومؤسسات بعناوين مختلفة كحقوق الإنسان وأطباء بلا حدود والتدريب على الديمقراطية وتأهيل الاقتصاد ومواكبة تكنولوجيا العصر وتحرير المرأة وتطوير المهارات وغيرها، وكانت هذه المنظمات تمثل جيشاً جراراً لا يقل عدداً ولا عدة عن تجهيزات الغزو العسكري،

ويمتلك عناصر القوة والتأثير من مبالغ مغرية ووسائل إثارة وتكنولوجيا متطورة يقدمها بالمجان من أجل أهدافه الخبيثة.

وبصراحة أقول: إن شعبنا لم يكن مستعداً لهذا الغزو الكاسح والواسع، وكان يمكن أن يذوب ويضمحل لأنه يعاني الفقر والحرمان والاضطهاد والتخلف والتجهيل، فهو يسارع إلى تلقي أي مساعدة تنعش وضعه ولا يفكر في عواقبها بروية، فجرى التخطيط الإلهي في توظيف عمل هؤلاء المجرمين لمصلحة الدين (كما كان لجريمة قتل الحسين عليه السلام التي هي أفظع جريمة شهدتها البشرية الأثر البالغ في حفظ الرسالة الإسلامية عبر التاريخ)، حيث فرّت تلك المنظمات وردّت على أعقابها ولم يبق منها إلا القليل وتأثيرها محدود بحيث يستطيع الشعب بتربيته التي حصل عليها أن يحصّن نفسه لمواجهتها حتى يؤهل نفسه لمواجهة أعلى عند قدوم المزيد منها وهكذا تتصاعد حصانته وتربيته وتكامله تدريجياً ليستوعب تصاعد الخطر الذي يزداد مع استقرار الوضع لذلك سمعتم قبل أسبوعين تقريباً تصريحات بعض المسؤولين الأكراد التي تتحدث عن نشاطات واسعة لمنظمات تبشيرية في شمال العراق تهدد عقيدة إخواننا هناك إن لم يتداركوا أنفسهم.

84 أسأل الله تعالى أن يشد على قلوبكم ويزيدكم هدى وبصيرة ويثبتكم على صراطه المستقيم.

الفصل الثاني



حضارة القيم والأخلاق في مواجهة
الانسلاخ القيمي





جهاز الستلايت أول هدية بعد سقوط النظام^(١)

الإعلام: الأداة الأيديولوجية الغربية

من المعلوم أن جهاز (الستلايت) بذاته هو آلة يمكن الاستفادة منها في الخير ويمكن استعمالها في الشر كنشر الرذيلة والفساد فالمشكلة في كيفية استخدام هذه الآلة التي هي كالتلفزيون والأقراص الليزرية وغيرها، فإذا أمكن الاقتصار على النافع المحلل كالاطلاع على الأحداث العالمية ومتابعة البرامج الثقافية والعلمية والدينية فهو خير، ولا يمكن إنكار أن الوسائل المرئية هي من أهم وسائل الإعلام وتأثيرها في الجماهير بكل الأعمار والمستويات ملحوظ جداً.

وان استعمل -والعياذ بالله- في متابعة الأفلام الخليعة والأغاني الماجنة فهو شر، وقد نُقل أن بعض دول العالم تخصص محطات بث لهذا الغرض موجهة إلى العالم الإسلامي وغيره، وهي في غاية الانحطاط الأخلاقي والهمجية الحيوانية، بحيث انه حتى الدول الغربية كألمانيا اشتكت من هذا التدمير الاجتماعي والأخلاقي والنفسي الذي تعمل على إيجاده الصهيونية العالمية وأدواتها.

وقد صدرت ضمن حركتنا في الإصلاح الاجتماعي عدة كتب

(١) من أوائل الخطابات التي ألقاها سماحة آية الله الشيخ محمد يعقوبي (دام ظلّه) بعد سقوط (صدام) مباشرة حيث كانت أول هدية قدمها للاحتلال للشعب العراقي هي مليون جهاز ستلايت لإفساده وقد لخص الخطاب من عدة كتب ألفت تحت إشراف سماحة الشيخ منها (احذر في بيتك شيطان) و(الأفلام والمسلسلات مشكلة وعلاج) وقد طبعت.

ونشرات من تأليف ومشاركة عدد من الإخوة والأخوات لبيان هذه الآثار السلبية ككتاب (الأفلام والمسلسلات: مشكله وعلاج) وكتاب (أحذر في بيتك شيطان) ونشرات مختصرة وسأقتبس منها هنا ما هو مناسب، وأحيل بقية التفاصيل إليها.

الآثار السلبية للإعلام الموجه ايدولوجيا:

فمن تلك الآثار السلبية للأفلام والمسلسلات والأغاني المنافية للدين والعفة والأخلاق مما تعرضه الوسائل الإعلامية المرئية ومنها جهاز الستلايت.

١- الآثار الجنسية: دأب الإسلام على تهذيب هذه الغريزة للحد من الشهوة، ففرض الحجاب، وغض البصر للرجل والمرأة، والتفريق في المضاجع بين الإخوة والأخوات، فماذا يصنع التلفزيون؟! إنهم أرادوا جعل مناظر الفسوق مألوفة لدينا، بل هي مقتضى عرفنا، فإن أخف المناظر خلاعة مذيعة بأبهى حلة وأزهى مكياج وأعمق خضوع في القول. والقضية الأساسية في كل فلم أو مسلسل هو (الحب)، حتى أن المشاهد صار يستشعر النقص في الفلم إن طرح الحب فيه كأمر ثانوي، وبالغوا في هذا الجانب حتى لجئوا إلى تشويه التاريخ الإسلامي في المسلسلات من خلال قصة الحب للشخصية الإسلامية كما في مسلسل (بلال الحبشي) ومسلسل (عمر بن عبد العزيز)، كل ذلك لجعل قضية الحب من أبجديات حياة الإنسان، أما عن المجون فحدث ولا حرج فالعري صورة طبيعية في كل يوم بل ضرورية، والقبلات والمداعبات أيسر ما تقدمه الشاشة وصورة

الجنس مشهد عادي أدركه حتى الأطفال الصغار.

إذن استطيع أن أقول (إن من أهداف التلفزيون جعل ممارسة الفحش أمراً طبيعياً كما هو الحال في الدول التي يطلق عليها متقدمة) انظر وتأمل كلام الماسونية (يجب أن نخلق الجيل الذي لا يخجل من كشف عورته) كما في المشاهد الخليعة التي تعرض، وخاصة في المسلسلات المدبلجة لتحفيز شبابنا وبناتنا على مثل هذا وتهوينه في نظرهم.

وغريزة الجنس من أشد الغرائز ضغطاً على الإنسان فقد يأكل الإنسان وجبة من الطعام فتشبعه إلى وقت معين، ولكن غريزة الجنس لا تنطفئ طالما وجد ما يثيرها ويهيجها، فلو انتشرت أسباب الإثارة الجنسية سعى المرء إلى تلبية هذه الرغبة الملحة فيبقى هم المرء وتفكيره محصوراً في هذا الجانب لهذا تجد ضعف المستوى الدراسي لكثير من الشباب بسبب ضغط الغريزة الجنسية، وهناك علاقة بين مستوى الذكاء والانحراف الجنسي فكلما زاد أحدهما قل الآخر [وإلا تَصْرَفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ] (يوسف: ٣٣).

٢- إباحة المحرمات: التلفزيون يعرض لنا يومياً أنواع المحرمات التي يلتقطها الذهن وترسخ فيه فمن السفرور إلى العلاقات المحرمة إلى شرب الخمر والغناء وغيرها، لقد جعل الله تعالى التقوى معيار التفضيل [إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ] (الحجرات: ١٣)، وللأفلام والمسلسلات كلمات ومعايير متعددة في التفضيل إلا التقوى فمرة يكون المال وأخرى الجمال وثالثة الشهادة الراقية أو الوظيفة الممتازة... وبذلك تقتل التقوى وتحل محلها الأباطيل، ورد في كلام لوزير يهودي بريطاني: (يجب أن نسحب

بساط الإسلام من المسلمين ونمزق القرآن بهدوء) فليتأمل أولو الأبصار.
وتجد أن الذي يستقطب مشاعر الناس في الأفلام ويصبح القدوة
والمثل الأعلى بكل بساطة تجده شخصاً فاسقاً، آخر ما يعكسه في سلوكه
هو تعاليم الدين، بل يزني ويشرب الخمر ولكنه قد يحارب عصابة لصوص
أو فساد اقتصادي. هذا القدوة سيقلده الكثيرون في سلوكه وقيمه، فأى فائدة
في انتصاره للحق وهو يسير إليه في طريق معوج ضال.

٣- التربية اللا إسلامية: إن أول ما يقوم به التلفزيون هو طمس
الحياء الناتج من تكرار مشاهد المناظر الخليعة وعلاقات الحب والغرام
المحرمة، وما أعمق قول رسول الله ﷺ: (من لا حياء له لا إيمان له)،
وتصوّر كثير من الأفلام والمسلسلات أردأ صور العلاقات العائلية، والشيء
الطبيعي أنها تعتمد على نظريات الغربيين في التربية، وغالباً ما تحتوى أفضل
صورة على كثير من الجفاء والعقوق وقطيعة الرحم..

وبذلك يستجيب المراهقون لما يشاهدون وتعجبهم الصورة الرديئة
بما تحمل من شموخ وتكبر وحصول على كثير من المكاسب وبهذا
تعلمهم معنى العقوق والصراع مع أقرب الناس من أجل دراهم معدودات،
فالتلفزيون يرسم حياة لا علاقة لها بالإسلام يطبعها في قلوب الأجيال عن
طريق الأكل والشرب والمشى والتعامل السيئ مع الناس والبغض والانتقام.

٤- تحويل الدين إلى تراث والتربية إلى ملل: إن هذا الجهاز
موجه بطريقة شيطانية تنفذ إلى أعماق الجيل الغافل فتملى قلبه بالأوساخ
والسموم، والخطة المتبعة هي إقصاء الدين عن مسرح الحياة وذلك بتحويله
إلى تراث لا صلة له بالواقع والطريقة المتبعة هي كما يلي:

أ- حصر الفترة الدينية في مدة قصيرة لا تساوي شيئاً أمام أي فترة أخرى.

ب - الأحاديث النبوية منتقاة لغرض خاص هو توجيه الرأي العام توجيهاً خاصاً يتناسب والأزمة المعاصرة.

ج - الأفلام الدينية لا تعرض إلا في مناسبات معينة وهي تحوي تشويه الحقائق أكثر من أي شيء آخر كما أنها مكررة لا تتغير منذ سنين حتى ملها المشاهد.

د - البرامج الدينية أو التربوية تكون عادة رديئة الإخراج بحيث لا تستخدم التقنيات لتشجيع المشاهد على المتابعة، وعادة تعرض في ساعات مهملة من اليوم على عكس البرامج الهدامة، فتكون متطورة إخراجاً وتقديماً وتعرض في ساعات تجمع العائلة إلى شاشة التلفزيون.

هـ - الإكثار من البرامج المنوعة التي تكون الأغنية عصبها الحي بحيث تحاصر السامع من حيث يريد أو لا يريد، قال الرسول الأعظم ﷺ: (لا تستمعوا للمعازف والغناء فإنها تنبت في القلب النفاق كما ينبت الماء البقل).

هـ- الشعور بالحقارة: بقطع الصلة بين الجيل ودينه وتاريخه وقيمه، فالأفلام والمسلسلات توضح لنا التطور العلمي والتقدم الحضاري الهائل في الغرب، وتصور لنا أن نظرتهم للحياة هي الحق وان ما سواهم الباطل، وكل حركة تصدر منهم لا بد أن تعبر عن روح العصر المتقدمة.

إن خططهم نجحت إلى الدرجة التي جعلت من أبنائنا يخلجون حتى

من عزاء الحسين عليه السلام مثلاً أو زيارة قبور المعصومين عليهم السلام وغيرها كثير، بينما هم يتبحرون بأفعالهم المشينة واللاعقلانية.

٦- منع التكامل لأفراد المجتمع: لأن الفرد عندئذ يقضي الوقت كله أو أغلبه في مشاهدة الأفلام والمسلسلات، ويبقى الوقت الباقي لديه في ضرورات حياته وأسرته ولا يبقى له وقت آخر ليقضيه في تكامله العلمي والعقلي والديني والروحي، وبهذا يخطط الغرب الكافر أن يكون الجهل والتدني هو الصفة العامة في العالم كله ليكونوا لقمة سائغة له ولأطماعه وأرباحه ولكبريائه.

٧- تأييد للاستكبار والظلم: وأنها تأييد بخلاف المصلحة العامة وأن الاستكبار إنما يبذر بيننا هذه الأمور لأجل إبعاد الناس عن المصالح العامة وعن واقعهم وعن مشاكلهم وترك الاحتجاج والمناقشة وخاصة التغافل عن البلاء الوارد علينا من جانب الغرب نفسه.

٨- لهو ولغو: الإسلام يرفض وسائل اللهو ويحرم الكثير منها؛ لأنها تشغل القلب وتهدر الوقت الذي هو رأس مال الإنسان وقيمه، فبهذا الوقت يكتسب الصديقون والصالحون منازلهم في الجنان، قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: (يا بن آدم إنما أنت أيامك).

فانظروا أيها المؤمنون كم تهدر الأفلام والمسلسلات من الوقت وكم حرمننا من صلاة الفجر بسبب السهر على فلم السهرة، فأى كارثة أشد من هذه، وينبغي التفريق هنا بين اللهو المرفوض والتسلية والترويح عن النفس الذي هو أمر عقلائي وضروري للنفس لكي تستعيد نشاطها..

٩- شغل القلب: القلب يتشبع بما يوضع فيه والأفلام والمسلسلات منهاج مرسوم ومخطط يشغل القلب عن كل أمر مهم، فبدل أن يخشع ويبكي من خشية الله يرتجف ويتحرك لمشهد فلم أو مسلسل، ويبقى مشغولاً به لساعات من الزمن، ومن المؤسف أن ترى المؤمن يذرف الدموع لان بطل المسلسل أو الفلم قد مات، أو يحترق لما يصيبه أو يصيب البطلة من الأذى والضرر، ولا تخرج من عينيه دمعة واحدة ألماً وأسفاً على ما يصيب الإسلام والمسلمين من مخاطر وكوارث، فتحوّلت عواطفنا بعيدة عن الله تعالى.

١٠- التأثر بالآراء والفلسفات المنحرفة: فتوحى للمشاهد أن القيم الأخلاقية والأعمال الصالحة لا جدوى منها وهي مجرد حبر على الورق، ومن ثم تحشر بعض الآراء الفاسدة على السنة الممثلين الذين تعطيم مكانة مرموقة كالطبيب أو العالم أو السياسي، وترسل هذه الأفكار إلى المشاهد فيقبلها ويتعبد بها دون أن يعرف ما هو مصدرها أو لا يشعر بمدى خطرها على عقيدته.

١١- تكريس الأنانية عند الإنسان: فيتعد عن هموم مجتمعه ومشاركه وتعمل على طمس الروح الجماعية ويتولد شعور داخلي لدى المتلقي بأنه مسؤول عن نفسه فقط ويصبح شعاره بمرور الوقت (آني شغلي).

١٢- إضعاف الغيرة: حرص الإسلام على تنمية الغيرة فمنها ينبع الشعور بالمسؤولية تجاه المجتمع، وهذا عكس ما يريده الغرب لنا فعن

طريق عرض هذه الأفلام والمسلسلات ومشاهدتها من قبل رب الأسرة وزوجته وأولاده تضعف الغيرة على العرض، وان من لا يغار على أهله لا يغار على جاره ومجتمعه حتماً، عن الصادق عليه السلام (إن الله غيور يحب كل غيور ومن غيرته حرّم الفواحش ظاهرها وباطنها) وعن النبي صلى الله عليه وآله (أرغم الله انف من لا يغار من المؤمنين).

وها أنت ترى مع الأسف الكثير من الرجال تخرج امرأته وبناته شبه عاريات وقد لطنن وجوههن بالمساحيق وهو معهنّ وعيون الآخرين تلاحقهن وتتلصص على مفاتنهن وكأن الأمر لا يعنيه!!!!

١٣- تلويث النسل الإنساني: وذلك بتكثير أعداد المواليد غير الشرعيين والذين لا يرتبطون بأسرة، فسيكون هؤلاء ثورة وبركاناً يحطم كيان المجتمع من جهة حقه على المجتمع حيث لم يترب بالجو المشحون بالعواطف فيحس بظلم المجتمع له، ومن جهة أخرى لأنه لم يترب على أي قيم أو أخلاق.

والمعروف أن الصهاينة تشجع على هذا الأمر وتمهد له الأرضية من خلال عرض الأفلام التي تصور أن زنى المرأة غلطة بسيطة وطبيعية ويمكن إصلاحها، وأن اجتماع المرأة مع رجل أو أكثر في مكان واحد وبلا رابطة تجمعهم أمر طبيعي جداً، وكل هذا لتهوين هذه الأمور في نفوس الناس واستصغارها بالرغم من خطورتها وبشاعتها.

١٤- تفكيك العلاقات الأسرية: حيث يؤدي انتشار الفساد والفاحشة إلى فقدان الثقة وسوء الظن والاختلاف داخل الأسرة، تفريقاً للمجتمع بتدمير نواته الأولى، فكيف لا يكون ذلك وكل أفراد الأسرة

يشاهدون كل يوم هذه المشاهد الخطيرة التي تعبر عن خيانة المرأة لزوجها وكذب البنت على أبيها وأخيها وعلاقتها غير الشريفة مع شباب الجيران وزملائها، مما يؤدي إلى انطباع هذه الصور والمشاهد في أنفسهم، وبمرور الوقت يقيس على أساسها علاقته مع أفراد أسرته.

والغريب ما نجده من بعض الآباء أنه يهدد ابنته بالذبح عندما يسمع أن لها علاقة مع شاب وقد يصل الأمر إلى ذبحها فعلاً، ألا يعلم هذا الأب الجاهل أنه هو السبب الرئيسي في انحراف ابنته، بسماحه لها بمشاهدة برامج التلفزيون من أفلام وأغاني وغيرها والتي بمرور الوقت تنمو هذا المشاهد بداخلها فتؤدي بها إلى هذا الانحراف، فالمسؤول الأول هو الأب وما يبدر من الأولاد ما هو إلا بسبب تقصيره وتهاونه في تربيتهم التربية الصحيحة، فبادروا معاشر الآباء برفع كل ما يؤدي إلى انحراف أولادكم فأنتم مسؤولون أمام الله تعالى عن كل ما يتعرض له أبناءكم من ضغوط واتقوا الله لعلكم تفلحون.

١٥- تنمية روح العنف والعدوانية: والهدف منها هو إثارة الغضب (الذي هو مفتاح الشرور ورأس الآثام وداعية الأخطار)، وتنمية روح المقاتلة من أجل الأنا أو التسلط أو السرقة أو من أجل قيم مزيفة وهابطة أو لمجرد اعتبار الغضب والعنف والقسوة من مظاهر الرجولة، والملاحظ أن الأفلام التي تتخذ العنف كمادة أساسية لموضوعها أن أساس السرد أسطوري لا واقع له، فالبطل برشاشة واحدة يقتل جيشاً بأكمله ويسقط الطائرات وغيرها من القصص الأسطورية التي تنمي في الذهن الإنساني روح الاعتقاد بالأسطورة وتوجيهه الوجهة الخيالية لإبعاده عن كل تفكير

واقعي سليم، والبعض اخذ يرسم حياته على أساسها فما أن يجلس قوم حتى يكلمهم بطولاته الزائفة التي لا واقع لها، وحتى أفلام الكارتون مبني على أساس العنف والصراع والأسطورة فتجد الأطفال بعد مشاهدته يتقاتلون فيما بينهم وكأنهم أعداء.

١٦- ابتذال المرأة: وذلك من خلال تعرية المرأة من كل القيم الأخلاقية السامية كالعفة والحياء وتدنيس طهارتها بغية الاستفادة الجنسية منها بأقصى حد لإشباع رغباتهم الفاسدة والمنحرفة منها.

١٧- غسل الدماغ: فالهدف الأول والأخير للإعلام هو خلق جيل بعيد عن الإسلام يحمل فلسفة وروح وتاريخ أعداء الدين فيصبح جزءاً من قطع تتحول لغته ولهجته.. حب.. مسلسلة الموسم، وتنطبع على لسانه أغنية الموسم.

اقتحام الإعلام لتفريغ العقل:

عن الصادق عليه السلام (أدبني أبي بثلاث: من يصحب صاحب السوء لا يسلم، ومن لا يقيد ألفاظه يندم، ومن يدخل مداخل السوء يُتَّهَم).

ومن المضحك المبكي أنك ترى في كل فترة بروز اسم تقدمه

الشاشة يصبح حديث الصغار والكبار في الشوارع والبيوت دون أن يفكر 96

أحد أن هذه الشخصية قد اقتحمت حياتهم لشغلهم عن مشاكل مجتمعهم، فكم من إحساس بالثورة على المعاصي والمفاسد امتصه لهوً بمسلسلة أو فلم فهل من تفريغ وتسيير للعقل أكبر من هذا.

الإعلام الأيديولوجي وتفكيك الأسرة:

إن من أهم أسباب تفكيك الأسرة وعدم الترابط بينهم هو الانشداد إلى هذه الأجهزة بدلا من أن يجتمعوا وينشد بعضهم إلى بعض، إضافة إلى ما يشاهدونه من انهيار اجتماعي من خلال المسلسلات فيتركز عندهم عدم الثقة بالنفس ولا بالآخرين، فلا بد من الحذر والحيطه خصوصاً وأن بلدنا أصبح مفتوحاً لكل غزو فكري وأخلاقي واجتماعي، فإذا لم نحصن مجتمعنا بالوعي والإيمان فإن الانهيار والسقوط متحقق، والعياذ بالله؛ لأن أدوات الفساد قوية ومثيرة وتبهر الإنسان إلا من عصم الله.

وقد نقلت بعض الأخبار أن (١٠٠٠) حالة طلاق تحصل في الكويت البلد المسلم كل كذا مدة بسبب جهاز الستلايت وذلك من عدة وجوه:

١- إنه يفكك العلاقة الأسرية ويجعل الجميع مرتبطين بهذا الجهاز بدلاً من أن يرتبطوا ببعض فتضعف العلاقة بينهم حتى تذوب وتنتهي.

٢- إنه يدفع الرجل وكذا المرأة إلى ممارسة الفاحشة بما يثير عندهم من الشذوذ الجنسي مما يجعل الطرف الآخر يشمئز من الاستمرار معه.

٣- إنه يجعل الرجل لا يكتفي بزوجه ويزدري بها بعد أن يطلع على وجوه وأجساد جذابة فاتنة فينبذ زوجته وكذا العكس، وهو أثر خطير

يحصل من كل نظرة إلى الجنس الآخر سواء عبر الصورة في الجرائد والمجلات أو في التلفزيون أو في الشارع؛ لذا شدد الشرع المقدس في وجوب غض البصر من الجنسين وهذا الأثر الخطير يحصل أيضاً من انتشار الصورة الخلاعية في كل شيء حولنا.

٤- إن ما يعرض في هذه الأجهزة يعتمد زرع الشك في قلب كلا

الزوجين لكثرة ما يعرضه من الخيانة الزوجية، حتى يخيل للمشاهد أنه لا يوجد طرف نظيف وعفيف في الحياة الزوجية، فإذا حصل الشك فسيفسر كل طرف تصرف الطرف الآخر على أنه ناشئ من هذه النظرة فإذا عنف زوجته لأمرٍ ما أو أعرض عنها أو لم يلب طلباً فذاك من وجهة نظرها لأنه لم يعد يحبها وارتبط بغيرها وتبدأ المشاكل بالتضاعف.

محاولة الإعلام انتزاع عناصر قوتنا الحضارية:

إن الشيطان الأكبر جاء بنفسه إلى هنا بعد أن رأى أن شياطينه فشلوا في استئصال عناصر القوة في الأمة الإسلامية وهي العقيدة والأخلاق والعلم والغيرة والتضحية من أجل الدين، وهي أسلحة الدمار الشامل التي جاؤوا لينتزعوها لأنها القوة الحقيقية عند الأمة وبها سينتصر الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) عليهم، فنحن أمام تحدي خطير لأنه يعني إما بقاء الأمة أو فناءها ولا أعني فناءها المادي فإنه ليس ذا قيمة، وما قيمة الإنسان إذا كان بلا روح ولا قيم ولا إيمان [إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا] (الفرقان: ٤٤).

الفراغ الهائل في الحضارة الغربية:

إن الغرب حينما يتمسك بأدوات اللهو والعبث ويحاول إشباع نهمته الجنسية فلأنهم:

١- فارغون من الوازع الديني والأخلاقي ومن الاعتقاد بالآخرة
ولسان حالهم [مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ]

(الجاثية: ٢٤)، أما نحن فقد خاطبنا الله تعالى: [وَتَرَجُوعَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ] (النساء: ١٠٤) من جنة ونعيم مقيم خالدين فيها.

٢- إن فلسفتهم المادية تبتني على التمتع أقصى ما يمكن بالدنيا وإطلاق العنان للنفس الأمارة بالسوء لتفعل كل ما تشتهي، ولا يمتنعون عما فيه لذة أو متعة ولسان حالهم (إننا خُلِقنا لنلهوا ولنتمتع)، ولذا تشاهد اجتماعاتهم الصاخبة في ملاعب الرياضة ودور الفن والملاهي وغيرها وكلما ملت نفوسهم شيئا منها ابتكروا غيره.

٣- إنهم يفكرون بالأرباح التي يحصلون عليها بهذه الأعمال، ومنها وسائل اللهو والمجون، وهم يحرصون على أن يصل إليهم الدينار والدولار بأي شكل وان كان فيه دمار غيرهم، بل حتى لو كان بطرق غير شرعية بمقاييسهم وعصابات المافيا شاهد على ذلك.

٤- إلهاء شعوبهم عن مشاكلهم ومظالمهم لتلافي المظاهرات والاحتجاجات بتكثير الملاهي والسينمات ووسائل الفاحشة وأنواع الرياضة واللعب.

فهل نحن فارغون مثلهم وهل أننا نعتقد كما يعتقدون، وهل أننا تجردنا من الأهداف الحقيقية حتى نكون مثلهم ونساق وراء خططهم الخبيثة، وإذا كان الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) يقول عن التلفزيون بأنه (سيف مشهور في وجهي) فماذا سيقول عن جهاز الستلايت الذي يفتح فرصاً أوسع للفساد والانحراف.

فاحذروا يا أولي الألباب واخشوا غضب الإمام (عجل الله تعالى فرجه

الشريف) فإن الشقاء في حرماننا من لطفه ورعايته، وأكرر ضرورة العودة إلى الكتابين المنشورين اللذين ذكرتهما للاطلاع على تفاصيل هذه الكلمات التي ذكرتها.

وما هو الحل؟

يبدأ الحل بتوعية الأمة إلى هذه المخاطر والآثار السلبية على النفس وعلى الكيان الاجتماعي عموماً، والتي تسرق أول ما تسرق الدين والشرف والكرامة وتجعل صاحبها عبداً ذليلاً طائعاً لغير الله تعالى فقد ورد في الحديث الشريف (من أصغى إلى ناطق فقد عبده) فإن كان ينطق عن الرحمن فقد عبد الرحمن وان كان ينطق عن الشيطان فقد عبد الشيطان، فليُنظر الإنسان وليتأمل في الجهة التي يوصلها إليه هذا المعروض بهذا الجهاز.

والخطوة الأخرى في العلاج هي توفير البدائل المفيدة كالمسلسلات الدينية والبرامج الثقافية والعلمية والمسابقات النافعة، ويمكن تقليل فترة استعمال الجهاز إلى أقل قدر ممكن فلا يؤذن بفتحه في أوقات الصلاة ولا في المناسبات الدينية ولا الليالي الشريفة، والاهتمام بالجلسات العائلية للاطلاع على تفاصيل حياتها، والإكثار من زيارة المؤمنين، والحضور في المساجد والمشاركة في الشعائر الدينية، والحث على قراءة الكتب والمجلات النافعة، وإعطاء جزء من الوقت للكسب والعمل وغيرها مما ذكر في المنشورات المتقدمة.

طوبى لمن أدى دوره في المواجهات الحضارية الجارية في العراق^(١)

حديث في الموعظة:

أحب أن أفتح كلامي بحديث شريف في الموعظة لحاجتنا جميعاً لها، لأن الانهماك في العمل ليس السياسي فقط - حتى لو نوى صاحبه بالقيام به قربة إلى الله تعالى وكان مخلصاً فيه - كما هو المفروض بكل مسلم - فانه عبادة وطاعة يؤجر عليها لكن هذا الانهماك يوجب غفلة ورينا على القلب وجلاؤه وتطهيره يكون بالموعظة، وهذا ما أشرت إليه في كلمة سابقة بعنوان (العمل السياسي من الواجبات الشرعية).

وقد اخترت الحديث الشريف المروي عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام فقد سئل (كيف أصبحت يا ابن رسول الله؟ قال أصبحت مطلوباً بثمان خصال: الله تعالى يطلبني بالفرائض، والنبى صلى الله عليه وآله بالسنة، والعيال بالقوت، والنفس بالشهوة، والشيطان بالمعصية، والحافظان بصدق العمل، وملك الموت بالروح، والقبر بالجسد، فأنا بين هذه الخصال

(١) عقدت الأمانة العامة لحزب الفضيلة الإسلامي اجتماعها الدوري ليوم الجمعة ١١/شوال/١٤٢٧ المصادف ٢٠٠٦/١١/٣ في النجف الأشرف برعاية سماحة الشيخ اليعقوبي؛ لخطورة الأوضاع التي يمر بها العراق الحبيب والتعقيدات البالغة التي تواجهها الأمة، وحضر اللقاء أعضاء كتلة الفضيلة في البرلمان وأعضاء المكتب السياسي ومسؤولو المكاتب في الأمانة العامة وأمناء فروع الحزب في بغداد والمحافظات. وهذا الخطاب هو تقرر للحديث الذي تفضل به سماحته.

مطلوب^(١) ويستبطن الحديث كل معاني الشفقة والعطف على من يعيش هذه التجاذبات وعليه أن يؤدي هذه الاستحقاقات التي يعرف صعوبة الخروج من عهدتها بالشكل الكامل مثل الإمام السجاد عليه السلام، فما حال الناس الغافلين والمقصرين.

مراعاة الواجبات التي في أعناقكم:

وهذه الاستحقاقات الثمانية مطلوبة من كل أحد وعليه أن يؤدي لكل ذي حق حقه فهي تمثل الحد المشترك لكل الناس، وتضاف إلى هذه الوظائف، مسؤوليات أخرى حينما يتقدم الإنسان في تحمّل شغل المواقع والوظائف فمثلاً انتم مسؤولون في حزب له قواعد جماهيرية تنتظر منكم رعاية مصالحها وحقوقها وحمايتها ورفع المظالم عنها وتمثيلها بجدارة والوفاء لها بتطبيق البرنامج الذي أعلنه حزبكم فاقنعوا به والتفوا حولكم. وأنتم يا أعضاء البرلمان تحمّلتم مسؤولية إضافية؛ لأن جماهيركم انتخبتمكم فأصبحتم ممثلين لها وللمدن التي أتيتم منها وهذا يعني إنكم مطالبون بعدة استحقاقات :

أولاً: وطنية، كونكم ممثلي الشعب وعليكم تشريع القوانين التي تحفظ كيان البلد ووحدته وأمنه وسيادته وازدهاره فتعملون على جمع المعلومات والخبرات الكافية قبل المشاركة باتخاذ أو اقتراح أي قانون. كما أن وجودكم ضمن لجان برلمانية كلجنة الصحة والتربية والتعليم أو النزاهة

(١) بحار الأنوار: ج ٣٧ ص ١٥.

أو الخدمات وغيرها يوجب عليكم تكريس جهودكم لإنجاح عمل هذه اللجان على أكمل وجه .

ثانياً: محلية، أعني مشاكل وقضايا ومقترحات محافظاتكم التي تمثلونها حيث أرى خللاً واضحاً في هذا المجال فلم يقدّم لحد الآن أعضاء البرلمان بواجباتهم تجاه مطالب محافظاتهم التي انتخبتم .

ثالثاً: سياسية، باعتباركم تمثلون أحزاباً وكتلاً ذات أجندات وبرامج محددة اختارتكم قواعدكم على أساسها.

والملاحظ أن المتصددين للعملية السياسية - إلا من عصم الله - اهتموا بقضايا أحزابهم ومصالحها أو مصالحهم الشخصية وتركوا الاستحقاقات الأخرى وهذا ما أدى بالبلاد إلى الخراب والدمار والمفروض بكم أن توازنوا بين كل هذه الالتزامات وتؤدوا حقها وتخرجوا من عهدتها.

دور الإخلاص لله تعالى في النجاح:

قد تقولون أن هذا صعب أن يفِي الإنسان بكل هذه الالتزامات مع الاستحقاقات الثمانية التي وردت في حديث الإمام السجاد عليه السلام وأنا أشاطركم هذا الشعور، لكن هذه الصعوبة تذوب بالإخلاص لله تبارك وتعالى وبالتسامي عن الأنانية الشخصية والفئوية وبالهمة العالية والتفاني في العمل، واعلموا أن الألفاظ الإلهية والنفحات المعنوية تختصر لكم الطريق وتطوي المسافة وتقرب البعيد وتذلل العسير قال تعالى [وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ] [وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا]. [وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ]

وَيُعْظَمُ لَهُ أَجْرًا [الطلاق: ٢، ٤-٥].

وتوجد رواية تهديكم إلى الكثير من الحلول لمشاكلكم وتفتح لكم آفاق المخرج من التعقيدات التي تواجهكم، خصوصاً في الساحة العراقية التي غاصت في وحلها أرجل الكبار والصغار، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: (ما من أحد أحبنا وأخلص في معرفتنا وسئِلَ عن مسألة إلا ونفتنا في روعه جواباً لتلك المسألة).

تجنب المواقع السياسية إذا أضرت بالدين:

وإذا عجز الإنسان عن القيام بالمسؤوليات الملقاة على عاتقه فليتجنب الموقع وليترك الفرصة لغيره، فإن حركة البشرية نحو التكامل لا تتوقف لموت أحد أو انسحابه من العمل ولا حاجة إلى أن يتمادى في جهله وظلمه لنفسه فيتمصص موقعاً ليس من أهله ويكفيه ما قال فيه خالقه: [إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا] (الأحزاب: ٧٢).

وقد يجد الإنسان نفسه أحياناً ناجحاً في عمله ومؤدياً لواجباته عكس ما ينظر إليه الآخرون فلا يفهم سبب اعتراض الآخرين أو توبيخهم، وما ذلك - في بعض وجوهه - إلا لفقدانه القدرة على قياس درجة النجاح وضياع المعايير الصحيحة للتقييم عنده لأنه غافل عن ما يجب عليه الوفاء به من استحقاقات، ولو التفت إليها لعرف حجم تقصيره ولكنه ينظر إلى جهة واحدة ويرى نفسه ناجحاً فيها و يعمم النتيجة .

أهمية المواجهة اليوم:

إن الله تعالى خلقكم في زمان يغبطكم عليه أهل الأجيال الأخرى كما نغبط نحن جيل الصحابة الذين عاشوا مع رسول الله ﷺ وبنوا بقيادته الحكيمة صرح الإسلام العظيم، فكان لهم بكل من اهتدى بنور الإسلام صدقة جارية توجب لهم المزيد من الأجر .

ونغبط أصحاب الإمام الحسين عليه السلام لأنهم صنعوا مستقبل الأمة إلى نهاية التاريخ وأرجعوا مسيرة الأمة إلى اتجاهها الصحيح وصانوها من الانحراف والتزييف فلهم على كل مسلم فضل ومنة بموقف وقفوه عدة ساعات من النهار.

ومن قبل نشكر الله تعالى انه خلقنا في زمان الإسلام والهدى، هذه النعمة التي سجلها الإمام الحسين عليه السلام في دعاءه يوم عرفة (لم تخرجني لرأفتك بي ولطفك لي وإحسانك إليّ في دولة أئمة الكفر الذين نقضوا عهدك وكذبوا رسلك لكنك أخرجتني للذي سبق لي من الهدى الذي له يسرتني وفيه أنشأتني)⁽¹⁾.

أصناف من المواجهات:

فقد أصبح العراق اليوم ساحة لعدة مواجهات فاصلة في التاريخ تحدّد معالم حركة التاريخ في المستقبل :

الأولى: المواجهة الحضارية بين الغرب المادي الذي يريد أن (يعولم) الشعوب ويصبغها بلون ثقافته وسلوكه وعقيدته ونمط حياته

(1) أنظر مفاتيح الجنان، من دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة.

وتوجهاته الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية .

وبين الشرق المسلم الذي يريد أن يحافظ على دينه وأخلاقه وأصالته وأعرافه.

الثانية: بين الأنظمة الدكتاتورية والمستبدة التي تسلّطت على شعوبها بالقوة وصادرت إرادتهم واستعبدتهم واستأثرت بخيراتهم وكرست الجهل والخنوع والاستسلام في نفوسهم، وبين حياة حرة كريمة تحترم إرادة الأمة وتجعل القيمة العليا للإنسان وتكون الدنيا وما فيها من أجله ويكون هو الله تبارك وتعالى، فلم تعد الشعوب آلات يحقق بها الحاكم شهواته ومطامعه ونزواته [مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى]، [أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى] .

الثالثة: المواجهة بين أدعياء الإسلام زوراً والمتمصين ظلماً وعدواناً لإمامة الأمة وقيادتها، وبين أتباع الإمامة الحقّة التي عينها الله تبارك وتعالى وبلغ بها رسوله الكريم وما زالوا منذ أربعة عشر قرناً يدفعون على هذا الطريق دماء زكية قدسها الله تعالى ورفع من شأنها.

إنها مواجهات لإحقاق الحق والدفاع عن عزة الأمة وكرامتها وضمان سلامة مسيرتها [إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ] (الصفات: ٦٠)، [لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ] (الصفات: ٦١)، [خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ] (المطففين: ٢٦).

الحل والعلاج في العودة إلى الله تبارك وتعالى^(١)

علّة البلاء:

من الحقائق التي بينها الله تبارك وتعالى من خلال القرآن الكريم لتثبيتها في قلوب وعقول المؤمنين أن ما يصيبهم من بلاء وعنت وضيق وشدة فإنما هي نتيجة أعمالهم السيئة [وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ] (الشورى: ٣٠) [فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ] (النحل: ٣٤) [مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ] (النساء: ٧٩)، ويلفت أنظار المسلمين من أصحاب رسول الله ﷺ وهم في قمة المواجهة العسكرية مع مشركي قريش في معركة أحد أن هزيمتهم كانت بسبب عدم تهذيب أنفسهم فهذا هو السبب الحقيقي وليس الأسباب المادية [إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا] (آل عمران: ١٥٥). وفي نفس الوقت يعلمنا الحل وسبيل النجاة من هذه المعاناة.

الله تعالى يعلمنا طريق الحل:

انه بالعودة إلى الله تبارك وتعالى والتضرع إليه والتوسل إليه تبارك وتعالى وتصفية القلوب مما فيها من غلّ وضرغائن وردائل كالحسد والعجب والكراهية والأنانية [وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ

(١) من النصائح والمواعظ التي كان يوجهها سماحة الشيخ (دام ظله) إلى الأمة من خلال

أئمة الجمعة خلال فترة المواجهات المسلحة في نيسان ٢٠٠٤.

مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ كَذَبُوا فَاَحَدْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّو نَشَاءُ أَصَبْنَاَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ] (الأعراف: ٩٦-١٠٠).

والمراد بالبأس هنا ليس الاستئصال كما كان يحصل للأمم السابقة على الإسلام، فإن مثل هذا العذاب قد رُفِعَ عن هذه الأمة ببركة النبي ﷺ، ولكن الأمة بقيت معرضة -بسوء تصرفها- لألوان أخرى من العذاب: نقص الثمرات، وقوع الفتن والحروب بينهم فيذيق بعضهم بأس بعض، تداعي الأمم الأخرى عليهم لاستعبادهم، وهذه البلاءات كلها قد نزلت بالأمة والعياذ بالله. وقال تعالى [وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ] (الطلاق: ٢-٣)، ويخاطب الأمم التي تتخبط في جهلها وغفلتها وبعدها عن الطريق الحقيقي [قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ وَفَرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا] (سبأ: ٤٦) أي أن تلتفتوا إلى أنفسكم فتعودوا إلى الله تبارك وتعالى أفراداً وجماعات وتجارون إلى الله بالدعاء والاستغاثة.

وهذا لا يعني أن هذا القيام لله تبارك وتعالى واللجوء إليه مختص بحال الاضطرار، إذ المطلوب أن يكون الإنسان في كل حالاته ذا كراً لله تعالى مستجيراً به طالباً منه التوفيق والتثبيت على الإيمان والزيادة من عمل الخير والتأييد، بل إنه سبحانه يعرض مستغرباً مثل هذا النموذج الذي لا يعرف الله إلا في أوقات الضيق والشدة كانهقطاع السبل في البحر الهائج [فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا

هُم يُشْرِكُونَ] (العنكبوت: ٦٥)، ولا يقصد الشرك الظاهري أي عبادة الأصنام ونحوها لأنه خلاف دعوتهم لله مخلصين، وإنما يريد الشرك الخفي أي الإعراض عن الله والالتجاء إلى الأسباب من دونه.

ويضرب لنا مثلاً في قوم يونس فإنهم قد أخطوا بعذاب، وظن نبينهم أنهم قد أخذوا ولم تبق فرصة لنجاتهم، فغادر المدينة إلا أنهم عادوا إلى الله وخرجوا جميعاً مستغيثين بالله أن يرفع عنهم البلاء، فاستجاب الله تبارك وتعالى لهم ونجاهم [فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ] (يونس: ٩٨).

وابتغوا إليه الوسيلة:

ولا يتم هذا الاتصال بالله تبارك وتعالى وينتج ثمراته إلا بولاية أهل البيت والتوسل بهم إلى الله تبارك وتعالى وإدامة ذكرهم وإقامة شعائرهم والاستغاثة بالإمام القائم بالأمر (عجل الله تعالى فرجه)، قال تعالى [وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى] (طه: ١٢٤) وقد ورد في الروايات أن الذكر هي ولاية أهل البيت عليهم السلام فمن لم يتمسك بهم يكن في عيشة ضيقة تعيسة خالية من الإمدادات الروحية.

يروى عن الإمام الهادي عليه السلام قوله عن دعاء (يا من تحل به عقد المكاره...) (إنه دعاء آل محمد عليهم السلام عند إشراف البلاء وظهور الأعداء

وخوف الفقر وضيق الصدر^(١). وهو من أدعية الصحيفة السجادية ويوجد في كتاب مفاتيح الجنان.

هكذا علمنا الله تبارك وتعالى وهكذا أدبنا أهل البيت عليهم السلام فأين نحن من ذلك التأديب الذي يراد منه نفعنا وسعادتنا؟.

الانفعال والارتجالية:

أنا لا أنكر تقدم المستوى الإيماني لدى هذا الجيل بفضل الله تبارك وتعالى بشكل أذهل الأعداء وأصاب خطتهم بالخيبة والخسران، إلا أنه مع الأسف في كثير من حالاته عبارة عن وهج عاطفي وحرارة متدفقة غير مقترن بوعي عميق وتربية راسخة للقلب والنفس، مما يجعل هذه الاندفاعة في مهب الريح -والعياذ بالله- إذا لم نتداركها بما يصلحها.

وإلا بماذا تفسر انتشار الافتراء والبهتان والتسقيط والتشويه بين المؤمنين بل أصبح شغل الكثير من أهل الغفلة هو ذم العلماء والمراجع والقدح فيهم وانتقادهم، ولا أدري من أين نال هؤلاء القيمومة على الآخرين ليعطوا لأنفسهم الحق في تقييم أعمال المراجع والمفكرين؟! ألم يسمعوا الحديث الشريف (إن حرمة المؤمن أعظم من الكعبة)^(٢)، فالاعتداء على سمعة المؤمن وكرامته وتشويه صورته اشد من الاعتداء على الكعبة، أو على العتبات الطاهرة للأئمة المعصومين عليهم السلام -رغم أنها من الجرائم الشنيعة-، فهل التفت المؤمنون إلى هذه الكبائر التي تورطوا فيها، وعميت

(١) مفاتيح الجنان: ص ١٤٨.

(٢) مستدرک سفینه البحار: ج ٢ ص ٢٧١.

بصائرهم عن رؤيتها حتى تنشر صحائف أعمالهم أمام الحكم العدل
[فَكشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ] (ق: ٢٢).

هل غضبنا لله تعالى أم لأنفسنا؟

وهل غضبوا لانتهاك حرمت المؤمنين أم على العكس إنهم خاضوا
في هذه الكبائر وشربوا كأسها حتى الثمالة، حتى أن بعض أئمة الجمعات
استغلوا هذا الموقع الألهي الذي يعبر عنه الإمام عليه السلام (اللهم إن هذا مقام
أوليائك وخلفائك)^(١) استغلوه للمهارات الكلامية وتصفية الحسابات
الشخصية ولانتقاد العلماء.

التربية إلى نصف الطريق:

عن هذا النقص في تربية المشتغلين بالعمل الاجتماعي الإسلامي
والأسف من عدم اكتمال التربية قال الشهيد السيد محمد باقر الصدر رائد
الحركة الإسلامية في العراق^(٢): (إننا استطعنا أن نربي الآخرين إلى نصف
الطريق) وعلق عليه الشهيد السيد محمد الصدر (قده): (ولم يقل إلى نهايته
لأنه لو كان الأمر كذلك لما حصل أي شيء من تلك النتائج. ولو كان
أولئك المتدينون قد أصلحوا أنفسهم قبل إصلاح الآخرين، وما رسوا

(١) أنظر: مصباح الزائر: ص ٤٤، وراجع البحار: ج ١٠٠ ص ١٦٠.

(٢) من بحث بعنوان (التربية الدينية) كتبه السيد الشهيد الصدر الثاني أيام إقامته الجبرية في
الثمانينات وهو مخطوط محفوظ عندي، ونشر ضمن كتاب الشهيد الصدر الثاني كما
أعرفه.

المقدمات المنتجة لصفاء النفس ونور القلب وعمق الإخلاص وقوة الإرادة وعفة الضمير لما عانوا ما عانوا، بل ولعلمهم لم يحتاجوا في الحكمة الإلهية إلى كل هذا البلاء الذي وقع عليهم، وإنما كانوا مع شديد الأسف مصداقاً لقوله تعالى [وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ] (محمد: ٣٨) ولم يكونوا مصداقاً لقوله تعالى [الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ] (الحج: ٤١)، وليس ذلك إلا لان الأفراد التامين من جميع الجهات والأوصاف الجامعين للشرائط عددهم قليل، وأقل من الحاجة بكثير^(١).

المعركة الكبرى:

إننا مطالبون بمحاربة الشياطين في أنفسنا الأمانة بالسوء قبل كل شيء، ومهما تعاظمت شياطين الجن والأنس فإنها دون هذا العدو الأكبر الذي وصفه الحديث الشريف (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك)^(٢)، بل إن كل شياطين الإنس هي ثمرة هذا الشيطان ولو أصلحنا ما في نفوسنا لم يبق شيء من تلك الشياطين؛ لذا سمي النبي ﷺ جهاد النفس بالجهاد الأكبر ومعناه أن العدو في هذا الجهاد هو العدو الأكبر. وجهاد الأعداء الآخرين مهما تفرعنوا بالأصغر.

(١) الشهيد الصدر رحمته الله كما أعرفه: ص ٣٠٢.

(٢) البحار: ج ٦٧ ص ٣٦.

النصر الحقيقي:

إن نصرنا الحقيقي حينما نستطيع سحق أهوائنا وأناياتنا ونزيل الغل والحقد والكراهية وحب الدنيا بكل أشكالها (وأخطرها حب الرئاسة والتسلط وتصفيق الجماهير) والحسد والرياء والعجب والتكبر والعنجهية والاستعلاء وغيرها من الرذائل، ونملاً قلوبنا بالحب والرحمة والشفقة والعفو والصفح والتآلف والمودة والصبر وكظم الغيظ وغيرها من الفضائل.

هذه هي وصايا أهل البيت عليهم السلام وهذه تربيتهم، حتى حينما كان يظن شيعتهم أن الفرصة قد حانت وان الثمرة قد آن قطافها، كانوا عليهم السلام دائماً يذهبون في الاتجاه الآخر غير الذي يفكر به الآخرون مهما قربوا من الإمام عليه السلام، وهو اتجاه محاسبة النفس ومراقبتها وعرضها على الميزان الذي نصبه أهل البيت عليهم السلام، وأقرأ كشواهد على ذلك أقوال الإمام الصادق عليه السلام لمن عرضوا عليه النصرة وتسليم مفاتيح السلطة بعد القضاء على الأمويين، ونصائح الإمام الرضا عليه السلام للذين خرجوا لاستقباله على طول الطريق من المدينة المنورة إلى مرو.

ابتعادنا عن أدب السلف الصالح:

إننا ضيعنا حتى الحد الأدنى من ذكر الله تعالى وهو الالتجاء إليه عند الاضطرار، فها هو البلاء يحيق بنا والأعداء يتربصون بنا ولا أجد المؤمنين يعقدون مجالس الدعاء والتوجه إلى الله تعالى والاستغاثة بالمعصومين عليهم السلام والتوسل إلى صاحب الأمر (عجل الله تعالى فرجه) كي يتولانا برعايته مع عدم الإخلال بالواجبات الأخرى طبعاً، يروي لنا سلفنا انه إذا مر بهم بلاء

اجتمعوا في المساجد والحسينيات للدعاء ولذكر مصائب أهل البيت عليهم السلام وزيارتهم، وكان طلبة العلم في النجف يتوجهون مشياً على الأقدام إلى مسجد السهلة مستغيثين بالإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) أو كربلاء لزيارة الحسين عليه السلام أو أي مسجد جامع لأبناء المدينة فيرفع الله عنهم البلاء، كما فعل بقوم يونس، بل ما حصل لنفس النبي يونس عليه السلام فإنه لما نادى [لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ] (الأنبياء: ٨٧) جاءه الغوث والخلص [فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ] (الأنبياء: ٨٨) وقال تعالى [فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلبَثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ] (الصفات: ١٤٣ - ١٤٤).

لذا يبين الإمام المهدي عليه السلام امتعاضه من شيعة لأجل هذه الغفلة عن الله تعالى وعن أهل البيت عليهم السلام في كثير من اللقاءات معه عليه السلام ومنها قصة السيد الرشتي المذكورة في مفاتيح الجنان لما ضلَّ الطريق في ظروف صعبة قال له موبخاً لماذا تتركون زيارة عاشوراء والنافلة وزيارة الجامعة الكبيرة^(١).

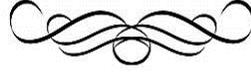
هذا هو الحل وهذا هو طريق النجاة أن نقوم لله تعالى مثني وفرادي متآلفين ومتحابين أنقياء القلوب أصفياء النفوس ونعمل بوصايا المعصومين عليهم السلام ونتأدب بأدبهم ونترك التعصب والتشنج والتطرف والأنانية وحب الدنيا.

(١) تفصيل الكلام في كتاب (شكوى الإمام عليه السلام). وانظر مفاتيح الجنان، قصة السيد الرشتي:

[قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا
وَمَا أُرِيدُ أَن أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَآكُمْ عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ
وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ].



الفصل الثالث



الحماسة الدينية في مواجهة مشاريع الاستعمار





تكاليفنا ازاء المشكلات الحاضرة: الاحتلال والتحديات السياسية والدينية^(١)

الحمد لله كما يستحقه حمداً كثيراً وصلى الله على نبيه وآله وسلم
تسليماً.

قدم الصراع بين الخير والشر:

الصراع بين الخير والشر قديم بدأ مع خلق آدم عليه السلام، ثم تجلى في
صراع ابنيه، و هو نابع من الصراع الأكبر في داخل الإنسان بين جنود
الرحمن التي تأتمر بالعقل، و جنود الشيطان التي تأتمر بأهواء النفس الأمارة
بالسوء.

جوهرتنا هي حب الله تعالى:

ويشهد بلدنا الحبيب اليوم حلقة جديدة من سلسلة هذا الصراع
الطويل فهاهي أمريكا وبريطانيا والكيان الصهيوني جاءوا لنتزعوا منكم
هذه الجوهرة الثمينة وهو الإسلام وولاية أهل البيت عليهم السلام التي لا يعدها
شيء، يأتي شخص إلى الإمام عليه السلام يشكوا له ضعف حاله وأنه ليس عنده
شيء فقال عليه السلام: بل إن عندك أكثر من الدنيا وما فيها، فتعجب وقال: كيف
يا ابن رسول الله؟ قال عليه السلام: إن عندك ولايتنا أهل البيت فهل تتخلى عنها

(١) الكلمة التي ألقاها سماحة الحجة آية الله الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على جموع

أهل الناصرية الذين وفدوا لمبايعته وإعلان الولاء له بتاريخ ١٦ ربيع الثاني ١٤٢٤

المصادف ٢٠٠٣/٦/١٦..

مقابل الدنيا كلها، قال لا، قال إذن عندك ما هو أثمن من الدنيا وما فيها في الوجود.

القتل المعنوي أشد إيلا ما من القتل الجسدي:

حتى الحياة التي هي أثمن شيء عند الإنسان لا قيمة لها بدون الصلة بالله تعالى وولاية أهل البيت عليهم السلام قال تعالى (والفتنة أشد من القتل)؛ لأن الفتنة عن الدين قتل للروح وتخريب للحياة الأبدية الخالدة، فهي أخطر من قتل هذا الجسد المادي وإنهاء هذه الحياة القصيرة وهم جاءوا ليفتنوكم عن دينكم وليقتلوكم معنوياً، وإن وعدوا بالرخاء المادي، لكن ما قيمته مهما عظم إذا كان ديننا في خطر وولاية أهل البيت عليهم السلام في خطر، فكونوا يقظين وحذرين ومتأهبين وواعين فإن الدين أمانة في أعناقنا جميعاً فأدّوا الأمانة إلى أهلها كما أداها السلف الصالح وأوصلوها إلينا ناصعة نظيفة رغم مرور ١٤٠٠ عام.

لا فضل لأمريكا في احتلال العراق:

إن أمريكا وإن حاولت الإيحاء بأنها صاحبة فضل علينا حين قضت على النظام البائد تريد في ذلك أن تخدعنا بأنها جاءت لتحررنا من الظلم والبطش، وأجيبهم بمثال بسيط لو أن أحداً جاء بكلب مسعور ودرّبهُ على أذى الجيران وسهّل له ذلك ومكّنه حتى قتل وجرح وأتلف، والناس تستغيث وتطالب صاحبه بالتخلص منه وهو لا يسمع، حتى استفحل أمر الكلب فصار يؤذي صاحبه فرأى هذا أن من المصلحة القضاء عليه فتخلص

منه، لكن هل يكون صاحب هذا الكلب متفضلاً على الجيران؟ على العكس بل عليه أن يدفع كل الخسائر والأضرار التي حصلت بسببه.

هذا هو حالنا فإن أمريكا هي التي جاءت بعملها ودرسته ومكنته وسكتت عن جرائمه ودافعت عنه، ولكنه لما فشل في القضاء على الإسلام بالوسائل الوحشية وامتدت حركة الإسلام والعودة إلى الله تبارك وتعالى لتشمل أغلب هذه الأمة الكريمة، رأت أمريكا أن تتدخل بنفسها وبأساليب اشد مكرراً وخبثاً، فإن ظاهرها الحرية والديمقراطية والتحضر ونحوها من العناوين البراقة، لكنها تستبطن السم الزعاف.

فها هم شبابنا يعتقلون وفيهم عدد من فضلاء الحوزة العلمية، وديار أهلنا تقتحم ووسائل الفساد والانحراف تنتشر في كل مكان، وها هم يعرقلون ويعطلون كل خطوة لإعادة البلد إلى إدارة أهله سواء على مستوى المحافظ أو المجلس البلدي أو على مستوى تشكيل الحكومة المؤقتة.

الالتزام الديني يفشل مخططات الأعداء:

أيها الأحبة: إنكم بالتزامكم بدينكم والمواظبة على شعائركم والتفافكم حول علمائكم تحبطون خططهم وتصيبونهم بالإرباك، وتشعرونهم باليأس من أن ينالوا من إيمانكم وشرفكم وكرامتكم، فإنه كما قال رسول الله ﷺ: (إن إيمان المؤمن أقوى من الجبل لأن الجبل يُستقل منه بالمعاول ولا يستقل من إيمان المؤمن شيء).

وقد أفلتم كل ما قرروه قبل الحرب وظنوا أن الشعب سيستقبلهم بالزهور، ويرضى بتنفيذ كل ما رسموه لكنهم فوجئوا بوعيكهم وإيمانكم

وتفانيكم من أجل الله، وأنكم لا ترضون بأي شيء مهما كان في الحسابات المادية مهماً إذا كان ثمنه الابتعاد عن الدين، وأثبتتم لهم أننا بخير ما دام ديننا بخير وليست بطوننا بخير، وأنا بشر والعياذ بالله إذا أصيب ديننا بمكروه، ولا يمكن أن نقبل بأي بديل عن الله ورسوله وأمير المؤمنين كما قال الحديث الشريف (ما خير بخير بعده النار وما شر بشر بعده الجنة).

الثورة الدينية في أعماقنا لا ينافسنا عليها أحد:

وأقل لكم أحد الشواهد على ذلك فقبل أيام جاءت مجموعة من الأمريكان ومترجم معهم إلى إحدى مدارس الطالبات للنظر في احتياجات المدرسة وسألوهن عن مطالبهن، فقالت إحداهن نريد تغطية الجدار الخارجي لحماية الطالبات من نظر الأجانب، فقال المترجم: لا نستطيع ذلك لأنهم يريدون منكن خلع الحجاب وأنت تريدين تغطية الجدار؟ فقالت هذه المؤمنة العفيفة المنتمية لمدرسة الزهراء عليها السلام وزينب الكبرى: إذن نرميهم في (الزباله) - أي سلّة النفايات والمهملات - رغم أنها كانت قبل قليل تشكو للمترجم ضعف حالتها المادية.

إنهم حينما يتحدثون عن أسلحة الدمار الشامل إنما يقصدونكم أنتم جنود الإمام المهدي (عجل الله فرجه) الذين سيفتح بكم الإمام (عجل الله فرجه) العالم كله منطلقاً من هذه الأرض الحبيبة المعطاء، وحينما تقول أخبار الظهور أنه في زمانه يكشف الفرات عن كنوز ما هي والله من الذهب

والفضة، فالكنوز هم انتم الذين أنجبكم الفرات^(١) والعراق كله بدجلة والفرات هو ابن الفرات لأنه الاسم الأوضح في الأذهان يومئذٍ كما نقول الحسين تغليباً للحسن والشمسين تغليباً للشمس فنقول للعراق الفرات تغليباً له، فإذا أردتم الفوز والفلاح فحافظوا على دينكم واقطعوا أسباب الفساد والانحراف عن أنفسكم أولاً وعن أسركم ثانياً وعن مجتمعكم ثالثاً لتكونوا من تلك الكنوز.

الدعوة لصياغة الدستور وانتخاب حكومة نزيهة:

وإن كانت أمريكا صادقة في زعمها فلا تتدخل في شؤوننا، ولا تعرقل مساعينا لانتخاب إدارات كفوءة نزيهة مؤمنة لم تتورط في ظلم هذا الشعب وتشكيل حكومة تدير البلد وتشرف على صياغة دستور عادل للبلد وتتولى أعماره، ولا يحق لأمريكا أن تتولى إبرام عقود الإعمار فتعطي ما تشاء لمن تشاء وتمنع من تشاء.

تفويت الفرصة على المشككين بالقيادة الدينية:

وقد قرأت الرسالة التي رفعتها الجماهير^(٢) المؤمنة يوم أمس من مدن

(١) راجع خطاب (كونوا من الكنوز التي يكشف عنها الإمام عليه السلام) في خطاب المرحلة: ج ٧

(٢) كان طلب هؤلاء الآلاف من سماحة الشيخ (دام ظله) أن يعلن مرجعيته وولاية أمر الأمة،

لكن سماحته كان يعتقد بأنه لا زال سابقاً لأوانه، ولا بد من إعطاء فرصة للآخرين ليقدموا

الشرطة والغراف والنصر وغيرها، وآلاف التواقيع التي وصلت من مدينة الناصرية الفيحاء والتي تطالبني بإعلان القيادة للأمة في هذه المرحلة، وبحسب ما اعتقد فإن القيادة ليست أمراً يُعلن وإنما هي حالة يفرزها الواقع وتكشف عنه حاجة الأمة إلى القائد وقدرته على أن يكون بمستوى تطلعات الأمة وطموحها والتحديات التي تواجهها كما نقل عن الخليل الفراهيدي عندما سئل عن الدليل على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام قال: حاجة الكل إليه وعدم احتياجه إلى الكل.

والآن أطمئنتكم وأقول لكم إن مراجعتي مبرئة للذمة إن شاء تعالى فعودوا مرفوعي الرأس، ولا يهتمكم نقاش الذين لا يعيشون إلا همومهم الشخصية وأنانياتهم، ولا تتعبوا أنفسكم معهم فإن في ذلك مضيعة للوقت وقسوة للقلب [لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ] (الأنفال: ٤٢) [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ] (المائدة: ١٠٥)، وإني لا أَرْضَى بأن يكون انتماء الشخص لجهة معينة سبباً لتهجمه على الآخرين فإن اختلاف القناعات لا يمكن أن يكون سبباً لفرقة الأمة وتشتتها.

واجباتنا في راهن واقعنا الإسلامي:

124

ولكي لا أطيل عليكم فإني أخص لكم بنقاط ما يجب علينا من تكاليف في هذه المرحلة:

- ١- توثيق الصلة بالله تعالى وتعميقها من خلال التركيز على الطاعات واجتناب المحرمات وتلاوة القرآن والدعاء وذكره تعالى على

كل حال بحيث نحاول أن نجعل هدفنا في كل قول أو فعل هو رضاه تبارك وتعالى.

٢- تجديد البيعة مع الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَام بوضع اليد اليمنى باليسرى، وقد سئلت عن الدليل على ذلك فقلت: إنه فعل قام به الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما تولى أمير المؤمنين الخلافة، وكان حذيفة في المدائن وهو مريض فخشي أن تدركه الوفاة قبل أن يبائع علياً، فوضع يده اليسرى باليمنى إشعاراً ببيعة أمير المؤمنين، وأمر ولديه بالالتحاق به فتوفي (رضوان الله عليه) ولم يدرك علياً عَلَيْهِ السَّلَام والتحق به ولده وشاركوا في معاركه، ونحن نقوم بنفس الفعل مع إمامنا عَلَيْهِ السَّلَام الذي هو حاضر بيننا إلا أننا لا نعرفه لقصورنا وتقصيرنا، فالأولى عن الإمام عَلَيْهِ السَّلَام والثانية عن المبايع، وأن تكون بيعة صادقة بالتعهد بعمل ما يدخل السرور عليه، وتجنب كل ما يسخطه عَلَيْهِ السَّلَام حتى نحظى بلطفه وتأيده ورعايته، والمواظبة على الدعاء له بالحفظ والتأييد، والالتزام بقراءة دعاء الندبة بشكل جماعي صباح كل جمعة في المساجد.

٣- التمسك بالحوزة الشريفة واحترام المرجعيات الدينية والعلماء والقيادات العاملة في سبيل الله، ومهما صدر من تقصير من أحد فإنه ليس مبرراً للقدح فيه قال تعالى: [فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى] (النساء: ٩٥)؛ لأن كلاً منهم يساهم بقدر أو بآخر في إقامة صرح الدين، وكما قلنا سابقاً فإن الإسلام محتاج إلى كل أبنائه.

٤- الالتزام الجدي بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتشكيل لجان لذلك قال تعالى [وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ] (آل عمران: ١٠٤)، وأن تكون هذه الأمة أي اللجان قد استجمعت شروطها من التفقه والوعي وإجادة أسلوب العمل، والالتزام بالمراتب المقررة في الرسائل العملية، فأولها الدعوة بالحكمة الموعظة الحسنة فإن لم تنفع فالزجر والتوبيخ وهكذا.

٥- تنظيم أموركم في اتحادات ونقابات وجمعيات بحسب ما يقتضيه الحال، كاتحاد إسلامي للطلبة ورابطة للمرأة المسلمة ونقابات إسلامية وللأطباء والصيادلة والمعلمين والمهندسين وغيرهم، وجمعيات ومراكز ثقافية واجتماعية وإنسانية ودينية، فإن هذه التنظيمات قوة لكم وإعزاز لأمركم، كما أنها تجعل العطاء أكثر وأفضل، وتقطعون بذلك الطريق على العناصر غير النظيفة أن تصل إلى مواقع القرار.

٦- ممارسة الضغط لاختيار محافظ ومجالس بلدية من قبل الشعب تتوفر فيهم صفات الكفاءة والنزاهة وحب المصلحة العامة ونكران الذات والخبرة والالتزام الديني وأن لا يكونوا قد تورطوا بظلم الناس.

٧- الحضور المكثف في المساجد لإقامة صلوات الجماعة والجمعة والشعائر الدينية والمحاضرات النافعة، وأن يكون خطيب الجمعة بمستوى متطلبات المرحلة.

٨- إنشاء المدارس الدينية والحوارات العلمية في كل مدينة للرجال والنساء لتعليمهم الفقه والتفسير والعقائد والأخلاق وتوعيتهم

وتثقيفهم، وتنبههم إلى عناصر القوة في الإسلام ونقاط الضعف في المناهج الأرضية المادية، وتحذيرهم من الأخطار الفكرية والاجتماعية والأخلاقية واستغلال كل الوسائل المتاحة من صحف ومجلات وأقراص.

٩- التعاون والتكافل والمساعدة في قضاء حوائج المحتاجين

وتزويج الشباب ورعاية الأرمال والأيتام، فإن الإمام عليه السلام يقول لشخص من الشيعة: أيمد أحدكم يده إلى جيب أخيه فيأخذ ما يحتاج من دون أن يسأله الآخر؟ قال: لا يا ابن رسول الله، قال: إذن أنتم لستم بشيعة. ويقطع الإمام طواف الحج ليقضي حاجة المؤمن.

أسأل الله تعالى أن يؤجركم بكل خطوة سعيتموها وكلمة قلتموها أو كتبتموها، وأن يسرّ قلوبكم يوم لقائه بقدر ما أعظم الكفار وأعداء الدين، إنه نعم المولى ونعم النصير.

شبابنا والتحديات الراهنة^(١)

لماذا نهتم بالشباب؟

أحبكم أيها الشباب حباً خاصاً لأنكم وصية رسول الله ﷺ لقوله (أوصيكم بالشباب خيراً، فإنهم أرق أفئدة)، وأنقى نفوساً؛ لأنكم ما زلتم قريبين إلى الفطرة لم تلوثكم الذنوب كثيراً، كما أنكم نشأتم في ظل الصحوة الإسلامية المباركة التي اتسعت في العقدين الأخيرين، ووسع مداها سيدنا الشهيد الصدر الثاني قدس سره بحركته الإصلاحية العظيمة، وكان ثمنها غالباً بدمه هو والدماء الطاهرة للشهداء الأبرار.

واهتم بكم أيها الشباب لأنكم المحرك الرئيسي لحياة الأمة، والدم الذي يجري في عروقها، وانتم معيار صلاح الأمة وفسادها -والعياذ بالله- فكلما كانت شريحة الشباب بخير وصلاح وفاعلية ووعي والتفات لما هو مهم كانت الأمة جميعاً بخير وصلاح، ولأن فيكم الطاقة والحيوية والحماس والاندفاع والتفاعل والعاطفية والحب والمودة والصدق والإخلاص والتواضع فكل هذه الخصال الحميدة تجدها عند الشباب لذا تجد الاستجابة الفعالة للدعوات الإصلاحية -كرسالة الإسلام- أكثر ما تكون بين الشباب، وإن النهوض بواقع الأمة والأخذ بيدها في مواجهة التحديات إنما يكون على يد الشباب.

(١) الكلمة التي ألقاها سماحة الحجة آية الله الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على جموع

أهل البصرة الذين وفدوا لمبايعته وإعلان الولاء له يوم الثلاثاء ٢٣ ربيع الثاني ١٤٢٤

المصادف ٢٣/٦/٢٠٠٣.

وأخشى عليكم لأن سهام الباطل وحملات الإفساد والتضليل أكثر ما توجه إليكم لأهميتكم في كيان الأمة.

التحديات المعاصرة:

أيها الأحبة: إننا أمام أخطار وتحديات عديدة وضخمة وجديدة علينا ومعقدة مما يضاعف المسؤولية علينا ويدفعنا إلى مضاعفة الهمة لنخرج من عهدة المسؤولية وقد فزنا برضا الله تبارك وتعالى وشفاعة أوليائه العظام. وأولى هذه التحديات هي الأخلاقية فقد بدأ الفساد والانحراف بالانتشار من خلال الوسائل الإعلامية المتنوعة، والبدء باستعمال المخدرات والإدمان عليها والتي هي منشأ لكثير من الجريمة والفساد، كما أن وجود الغزاة الأجانب في أوساط المجتمع بما اعتادوا عليه من حياة حيوانية منفلة من القيم والأخلاق يعتبر تحدياً أخلاقياً وعمالماً مساعداً على تشجيع الانحلال الخلقي وهم يوزعون بسخاء المجالات والصور المنافية للحياء والعفة والشرف والدين.

وثانيها التحديات الاجتماعية: فإن تعقيد الحياة التي يخططون لها، ودمج العراق في نظام العالم الجديد سيضيّع في دوامته الكثير من العلاقات الاجتماعية والتقاليد والأعراف الحميدة التي بني عليها مجتمعنا المسلم، وستبنى العلاقات على الأسس المادية والمصالح ومقدار النفع الحاصل، وليس على الأسس الإسلامية والإنسانية فلا يبقى من وجهة نظرهم معنى لصلة الرحم أو لزيارة المؤمنين أو قضاء حوائجهم لأنه لا مصالح لهم توجد فيها. كما أن المجتمع يعاني من التمزق والتشتت الذي يضعفه ويذهب

بقوته ويشغله بأمور هامشية وقد حصل هذا التفرق إما للخلاف في أمور دينية أو تحزبات سياسية أو عرقية أو عشائرية ونحوها.

وثالثها: العقائدية والفكرية والثقافية فإن الانفتاح المزعوم سيجلب معه الكثير من التشكيكات والشبهات التي تحاول خلخلة العقيدة في عقل المسلم وتشوش فكره وتجعله أسير الأوهام والشكوك.

ورابعها: السياسية، فأنا نعيش حالة (احتلال) بكل ما تعنيه الكلمة من الذل والصغار وسلب الإرادة وعدم الاستقرار، وهم وإن ادعوا أنهم جاءوا لتحرير الشعب العراقي ومساعدته على التخلص من الظلم والاستبداد، والشعب فعلاً محتاج إلى من يمد له يد المساعدة ليسترد عافيته إلا أن فعل قوى الاحتلال يخالف ذلك، ومن تلك التحديات أن البلد يعاني من فراغ سياسي وغياب الدولة والسلطة والقانون وفقدان الأمن والاستقرار وعدم وجود مؤسسات لإدارة شؤون البلد وصعوبات حياتية أخرى، وكلما يحاول الشعب أن يحل هذه الإشكاليات ويضع صيغة لإدارة نفسه بنفسه، فإن الأمريكيان يعرقلونها ويؤجلونها ليقى المبرر لوجودهم، وليستمروا في نهب ثروات الشعب المسكين، أو يعينوا إدارات عميلة خاضعة للأجنبي وربما مرتبطة بالنظام السابق ومتورطة في ظلم الناس.

وخامساً: الاقتصادية، فإن المجتمع ما زال يعاني منذ ثلاث عشرة سنة من الفقر والجوع والمرض والحرمان حتى من أبسط حقوقه في الحياة وفرص العمل وهذه الطبقة المحرومة هي أولى من ينظر إليه في المرحلة الجديدة.

وسادساً: السكانية، أو ما يسمى الديمغرافية حيث نقل كثيرون عن وجود عملية منظمة لشراء العقارات وإنشاء المؤسسات من قبل الأجانب وإسكانهم مما يؤدي إلى تغيير التركيبة السكانية، وقيل إن اليهود مهتمون بهذا الأمر وبدأت لهم وجودات علنية على الأرض من خلال مستشفى وفندق في بغداد، وربما سيصل الحال بشعبنا أن يكون مشرداً ولاجئاً يبحث عن أرض تؤويه بعد أن فرط بأرضه المباركة بثمن بخس مهما كان مقداره كبيراً في نظر أهل الدنيا، لذا كانت فتاوى العلماء واضحة وصريحة بحرمة عملية البيع هذه وإنها من الكبائر.

واجباتنا أمام رهن التحديات:

أمام هذه التحديات الضخمة ماذا سيكون واجباً:

١- تعميق صلة الأمة بالله تبارك وتعالى وتقوية إيمانها بإسلامها من خلال الوعظ والإرشاد والتوجيه، وبيان محاسن الإسلام وإبراز نقاط قوته في العقيدة والسلوك، وقيادة الحياة في كل جوانبها، وإبراز نقاط الضعف في المناهج الوضعية ويكون ذلك من خلال تكثيف الخطب والمحاضرات والندوات وسائر قنوات التوعية الأخرى.

٢- انفتاح الحوزة على جميع شرائح المجتمع خصوصاً طلبة الجامعات والمدارس بزيارات منتظمة لتبنيهم إلى المخاطر المحدقة بالأمة ودورهم الكبير في مواجهتها ولتعزيز ثقتهم بأنفسهم وتقوية موقفهم.

٣- نبذ أسباب الفرقة والخلاف والالتفات إلى القضايا المصيرية التي تهمنا جميعاً على حد سواء، فإن أعداءكم يحاربونكم لأنكم سنة أو

شيعة أو من مقلدي سين أو صاد ولا لأنكم من هذه العشيرة أو تلك أو هذه المدينة أو تلك، بل يحاربونكم جميعاً على حد سواء لأنكم مسلمون، فاجتمعوا في مواجعتكم لهم على هذا المحور وهو الإسلام، ولا تنشغلوا بالخلافات الجزئية وتنازلوا عن الكثير من حقوقكم من أجل عزة الإسلام ووحدة المسلمين وتأسوا بأمر المؤمنين عليه السلام الذي يقول: (لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين وكان الظلم عليّ خاصة).

وقد أعلنت بالأمس أمام أهل بغداد وأكرره اليوم لتبينوا موقفي (إن جماعة الفضلاء ليست بديلاً عن المرجعية الشريفة ولا تتقاطع معها بل هي آلية من آليات عملها)، وأعلن أمامكم إني وهذه الجماعة سوف تعمل في إطار المرجعية الشريفة خصوصاً المتحركة منها في الساحة ولا نتجاوزها، ما دامت وافية بحاجة الأمة من أجل تحقيق وحدة الموقف الإسلامي عموماً والشيعي خصوصاً، فإن من عناصر قوتنا في هذه المرحلة العصبية من حياة الأمة أن تتوحد المواقف وتنسق الأعمال وتتقارب الرؤى، وهذا لا يتنافى مع ما أعلنه من قبل ببراءة الذمة بمراجعتي والأخذ مني، كما من الضروري التعاون وتوحيد المواقف مع القوى الإسلامية الأخرى العاملة في الساحة وعدم التشنج باتجاهها، فإن لها رصيدها في العمل السياسي والجهادي، وهي تريد أن تشارك بمقدار ما في تحصيل حقوق الشعب ورد اعتباره، وإن التقاطع معها مما يضعف الصوت الإسلامي ويجعله عاجزاً عن فرض أرائته وقول كلمته بقوة، فالأمر يتطلب الكثير من التنازل والمرونة وغض الطرف لتحقيق هذه الوحدة.

الناس تنتخب من قبل الشعب، بإرادات كاملة من دون تدخل أحد أو استبداد أحد واستثثاره لتقوم: بحفظ الأمن والاستقرار وأعمار البلد، وإعادة الحياة إلى مرافقه المختلفة وتوفير القرار في الدوائر والمؤسسات والنقابات والاتحادات واحترام أرادة أعضائها ومنتسبيها في اختيار من يديرهم. وكذلك الإسراع في تشكيل الحكومة الانتقالية لتتولى ترتيب الدولة سياسياً وإدارياً وأعادتها إلى مصاف الدول المتحضرة، وما زال المحتلون يعرقلون مثل هذه المساعي بحجج واهية كعدم وجود آلية للانتخاب ولا جهة مشرفة عليه.

الاعتماد على الإمكانيات الذاتية:

إن شعبنا قادر على تنظيم أدق انتخابات وأنزهاها في ظرف أيام ومن دون الحاجة إليهم وبالخطوات التالية:

- تحديد الأشخاص والجهات المتنفذة في كل مدينة بحسبها كالحوزة العلمية أو رؤساء العشائر أو القوى والحركات السياسية أو الشخصيات المعروفة والموثوقة بها جماهيرياً فيدعون جميعاً لتشكيل منهم لجان انتخابية.

- تجنيد عدد من الشباب المثقفين متطوعين أو غيرهم لإحصاء عدد السكان وتحديد المشمولين بالانتخاب باستجواب المواطنين وتطبيق المعلومات التي يدلون بها على ما في البطاقة التموينية.
- تقسيم المناطق بحسب الكثافة السكانية وتحديد عدد الممثلين لكل تجمع، ففي انتخابات البرلمان يكون لكل مائة ألف إنسان ممثل واحد

مثلاً، وفي المجلس البلدي يكون لكل ٥٠ ألف مثلاً ممثل واحد، إضافة إلى رؤساء الدوائر العاملة في المحافظة وتقسيم عمله إلى وحدات متخصصة فوحدة للصحة وأخرى للتعليم وأخرى للأمن وأخرى للمالية وأخرى فنية وهكذا.

- توزيع المراكز الانتخابية والأشرف على عملية الانتخاب من قبل نفس المتطوعين واللجنة المشرفة وفرز الأصوات وتحديد الفائزين. ولا نحتاج في إجراء هذه العملية إلى تدخل أي أحد أجنبي، وهذه إحدى الأطروحات الممكنة ويمكن التفكير^(١) بغيرها والمهم هو إثبات إن الأعداء التي يذكرها المحتلون لإعاقة انتخاب الإدارات غير مبررة أبداً.

قضيتنا الأصيلة:

٥- الاهتمام بقضية الإمام المهدي عليه السلام والدفاع عنها والعمل على الاستعداد لاستقباله والفوز بنصرته وتحديد تكاليفنا تجاهه وفي عصر غيبته، ومن هذه التكاليف إقامة الشعائر الدينية الجماعية باستمرار من صلاة

(١) نُضِجَ المشروع أكثر وقُدِّمَ لاحقاً كمشروع سياسي مقترح من الحوزة الشريفة للفترة الانتقالية ما بعد احتلال العراق، وقد وضع خطوطه العامة الشيخ يعقوبي ووضع تفاصيله المكتب السياسي لحزب الفضيلة الإسلامي، وتأريخه جمادي الأولى ١٤٢٤ تموز ٢٠٠٣، وأخذت به (مع بعض التعديلات) سلطة الاحتلال والحكومة المؤقتة التي شكلها مجلس الحكم بعد عامٍ بالضبط وبعد أن فشلت عملياتها السياسية فرجعت إلى هذا المشروع وشكلت الجمعية التأسيسية بنفس الخطة. أنظر: خطاب المرحلة: الشيخ يعقوبي: ج ٣ ص ١١٢.

الجمعة أو الجماعة أو ماتم حسينية أو احتفالات أو مجالس ذكر ودعاء والحضور المستمر في المساجد وفتح حلقات الدروس في العقائد والأخلاق والسيرة والتفسير.

٦- التعاون والتكافل الاجتماعي كمشروع صندوق (الزواج رحمة) الذي أسس قبل مدة ونشرت أفكاره في كتاب (الزواج والمشكلة الجنسية)، وقام بتزويج العشرات من الشباب المؤمنين كرد عملي إيجابي على الفساد، وفتح بعض المشاريع الاقتصادية لتوفير فرص العمل وتحقيق الاكتفاء الذاتي، وتستمر الحوزة الشريفة إن شاء الله تعالى في دعم هذه المشاريع وتفعيلها وتشجيع المؤمنين على المساهمة فيها.

٧- الالتزام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من قبل الجميع وليست هي مسؤولية الحوزة فقط، فإن إحياء هذه الفريضة سيكون سبباً لبركات كثيرة ورادعاً عن مفسدات كثيرة بينها وأشرنا إلى اهتمام القرآن الكريم والأئمة المعصومين بهذه الفريضة في مناسبات سابقة.

٨- أن تأخذ المرأة دورها في حملة التثقيف والتوعية، فتساهم المؤمنات المثقفات في الجامعات والمدارس والجمعيات النسوية والمراكز الثقافية وبكل الوسائل المتاحة في التنبيه إلى المشاكل الموجودة في هذه الصنف من المجتمع وكيفية علاجها وقد أشرنا إلى الكثير منها في كتب عديدة.

أسأل الله تعالى أن يؤجركم على عنايتكم هذا، ويجعلكم حصناً حريزاً للإسلام وجنوداً مخلصين لصاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)

وأن يشملكم بلطفه ورحمته ويتولاكم برعايته.
 وأطلب أن تتوقف^(١) مثل هذه الوفود عن المجيء فقد كفيتم ووفيتم
 وأديتم ما عليكم وبقي ما علينا وهو كثير، فلا تحملونا أزيد من ذلك،
 وأسأل الله تعالى أن يكتب الأجر للأخوة الذين لم يأتوا على حسن نياتهم..
 [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ
 تُفْلِحُونَ] (آل عمران: ٢٠٠).

(١) لهذا الطلب منشآن:

- ١- عدم رغبة سماحة الشيخ (دام ظله) في التصدي العلني للمرجعية لإعطاء الفرصة للموجودين.
- ٢- طمأنة بعض المرجعيات التي أقلقها هذا التوجه الشعبي الكبير نحو سماحة الشيخ فصدرت منها أقوال وأفعال غير لائقة.

وظائف طلبة الجامعات في هذه المرحلة^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما هو أهله وصلى الله على نبيه وآله الميامين من أهله
وسلم تسليماً كثيراً.

أهمية الطلبة الجامعيين:

(الطلبة الجامعيون) شريحة مهمة من المجتمع وعليهم تنعقد الآمال
في قيادة الأمة في المستقبل القريب؛ فإنهم سيتوزعون على مراكز القرار
والمسؤولية في جميع النواحي، فإذا كانوا صالحين وكفوئين وأقوياء فإن
الأمة ستعيش بسعادة وأمان وعزة، وإذا كانوا فاسدين والعياذ بالله فإن الأمة
ستعيش حالة الفقر والحرمان وستقع في مهاوي الذل والامتهان.

لذا فإن معاول الهدم والفساد والانحراف أشد ما توجه إلى هذه
الطبقة، وهم لكي ينفذوا مآربهم يُلبسون خططهم أسماء وعناوين برأفة
وخادعة لتنتظلي على السدج، كالحرية والتقدم وأمثالها لكنهم يخفون تحتها
خبثهم ومكرهم وأهدافهم الشريرة في فصل هؤلاء الشباب عن إسلامهم،
مثلاً ما الضرورة إلى الاختلاط بين الجنسين في الجامعات وهو في سن
الاندفاع الجنسي والشبق، بحيث صار من الهموم الرئيسية لدى كل من

(١) الكلمة التي ألقاها سماحة آية الله الشيخ محمد اليعقوبي في وفد جامعتي بابل
والمستنصرية وأهالي وطلبة الهندية (طويريج) وأهالي الزعفرانية مع وفد نسائي ضمن
الوفود التي وفدت لمبايعته وإعلان الولاء له.

الجنسين هو العمل على كسب ود وإعجاب الجنس الآخر والارتباط به، ولم يترك للعلم في حيّز تفكيره إلا مساحة ضئيلة فكيف سيبدع ويتقدم؟ لقد ذكروا أعداءاً واهية كعدم وجود إمكانيات كافية من الأجهزة أو الهيئة التدريسية، رغم وجود آليات للفصل بين الجنسين لا تتطلب المزيد من هذه الإمكانيات، وإن الدولة قادرة على توفيرها بل إنه في بعض المدن توجد أكثر من كلية في نفس العلم، فلماذا لا تخصص واحدة للذكور وأخرى للإناث.

حملات الغرب لاقتلاع عنفوان شبابنا من جذوره:

ومحل الشاهد أنهم علموا أن الأمر لا يستقيم لهم إلا إذا افسدوا تربية الجيل حتى يحطموا فيه كل عناصر القوة من الإيمان والشجاعة وقوة الإرادة والاستقلال، وقد أفلحوا على مدى عقود في ذلك فقد كنت طالباً جامعياً قبل ربع قرن ولم يكن بالإمكان إعلان الطالب التزامه الديني ليس خوفاً وتقية فقط، وإنما لأن المتدين كان يُعَيَّر بأنه رجعي ومتخلف، ويجد نفسه وحيداً أمام تيار ضخم من الذين أفسد الأعداء ذوقهم وعقلهم وفطرتهم، أما اليوم فتجد التيار الإسلامي قوياً في أوساط الطلبة الجامعيين، ويُظهرون التزامهم الديني بكل شموخ واعتزاز كل ذلك ببركة جهود وتضحيات العلماء الربانيين والنخبة المخلصين من أبناء هذه الأمة الكريمة، وعلى رأسهم الشهداء السيدان الصدر الأول والصدر الثاني (قدّس الله إسرارهما) ومئات الآلاف من شهداء الإسلام العظيم.

لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ

ونتيجة لهذا التغيير والسمو الروحي الذي حصل في داخل الإنسان استحوطت الأمة هذا التغيير العظيم في حياتها، حيث زال النظام الطاغوتي المتسلط على رقاب الناس بالحديد والنار، وهذه سنة إلهية أكد عليها القرآن الكريم بأن التغيير في الخارج إنما هو نتيجة ما يحصل بمقداره في الداخل، قال تعالى: [إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ] (الرعد: ١١) بكلا الاتجاهين السلبي والإيجابي أي باتجاه النصر أو الهزيمة، ففي الاتجاه الايجابي ما حصلتم عليه من نعمة بزوال النظام السابق ببركة انتصاركم على نفوسكم الأمانة بالسوء، وتطهير قلوبكم من عبادة غير الله تبارك وتعالى، وأما في الاتجاه السلبي فما عبّر عنه أمير المؤمنين عليه السلام: (وأيّم الله ما كان قومٌ قط في غضّ نعمة من عيش فزال عنهم إلا بذنوب اجترحوها؛ لأن الله ليس بظلام للعييد، ولو أنّ الناس حين تنزل بهم النقم وتزول عنهم النعم فزعوا إلى ربهم بصدقٍ من نيّاتهم وولّه من قلوبهم، لردّ عليهم كل شارد وأصلح لهم كل فاسد، وإنّي لأخشى عليكم أن تكونوا في فترة جهالة وغفلة).

القيادة الدينية قوية بالتفاف الشباب حولها:

فإذا كنتم حريصين على تحصيل المزيد من المكاسب، فاعملوا على توثيق الصلة بالله تبارك وتعالى وترك التعلق بما سواه، وتمسّكوا بعلمائكم الربانيين فإنهم يدلونكم على الهدى ويحمونكم من الوقوع في الردى، وقد التفت الأعداء إلى أهمية هذه الصلة بين الحوزة العلمية وطلبة الجامعات

والشباب عموماً فعملوا على قطعها؛ لأبعاد الشباب عن مصادر الهداية والنور، ولإضعاف المرجعية الشريفة التي تكتسب قوتها من التفاف الجماهير حولها، وإنما يحسب الطواغيت ألف حساب للمرجعية لوجود هذا الامتداد الجماهيري.

ولهم في قطع هذه الصلة عدة أشكال من التصرفات لا تقتصر على الأساليب الوحشية من القتل والسجن والتعذيب والتشريد، وإنما التجأوا إلى الأساليب الخبيثة الماكرة بتشويه صورة الحوزيين وتسقيطهم في أعين الناس من خلال التفتيش عن أخطائهم، والمبالغة فيها وتضخيم حجمها أو الكذب والافتراء عليهم، وقد وقع عدد من السذج والبسطاء ضحية هذه الخطة الخبيثة فأصبحوا يحفرون قبورهم بأيديهم، لكنكم انتم الواعون لم تنظروا عليكم وبقيتم على بصيرة من أمركم وأعدتم صورة عمار بن ياسر الصحابي العظيم الذي قال فيه رسول الله ﷺ: (مُلئ عمار إيماناً من قرنه إلى أخمص قدميه) كان (رضي الله عنه) يقول في صفيين (والله لو ضربونا بأسيافهم حتى أبلغونا سعفات هجر لعلمنا أننا على الحق وهم على الباطل).

عناصر الجذب في شخصية القائد الإسلامي:

وأنتم حين اتبعتم الحوزة الشريفة وبذلتم الغالي والنفيس من أجل الدفاع عنها ومؤازرتها، فلأنكم وجدتم فيها المثال القريب لأهل بيت العصمة، ولمستم فيها الأهلية لأن تأخذ بأيديكم في طريق التكامل والقرب من الله تعالى، ففيهم -أي المراجع العظام- النزاهة والطهارة والعفاف، حيث توزع المرجعية عشرات الملايين من الدنانير شهرياً على المحتاجين

والمصالح العامة وهي تسكن بيتاً متواضعاً، وفيهم الرحمة والحب للآخرين، ونكران الذات والتضحية حتى الشهادة من أجل الآخرين فهم أول من يضحى، وفيهم العلم الغزير والإحاطة التفصيلية بالشرعية التي وضعها الله تبارك وتعالى للبشر من أجل إصلاحهم وإسعادهم، ومن أولى من خالق هذا الكائن المعقد في تركيبه بأن يعرف ما يصلحه.

وعندهم -أي المراجع الكرام- التواضع والإنصاف والمروءة والعدالة وكل هذه أخذوها من نبيهم الكريم ﷺ وأئمتهم الأطهار، يرسل قاضي الكوفة على أمير المؤمنين رئيس دولة مترامية الأطراف تضم العراق والجزيرة العربية وشمال أفريقيا وبلاد فارس، لادّعاء يهودي عليه بأخذ درع له فيمثل أمام القاضي ويقول له: قف يا أبا الحسن إلى جنب خصمك، فيمتعض الإمام عليه السلام وظن القاضي أن ذلك من أجل عدم الاعتناء به كخليفة للمسلمين، فاعتذر إليه بأن ذلك من آداب القضاء، لكن الإمام بيّن له أن امتعاضه لأجل تكنيته بأبي الحسن في حضور خصمه وكان عليه المساواة بين الخصمين حتى في النظر، ويشترى ثوبين عاديين يخير مولاه قنبر بأن يأخذ أولاً أحبهما إليه ويأخذ هو عليه السلام الثوب الآخر، وكان يذهب إلى الصلاة وعليه ثوب مبلل قد غسله ليس له بديل فيخطب الناس وهو يروّح بثوبه ليحفف.

هذه الأخلاق نجدها في الإسلام أتري نرضى بغيره بدلاً؟ أو بغير رموزه وعلمائه قادة؟.

مشاكل المجتمع الإسلامي في مواجهة الغرب:

قبل يومين أو ثلاثة أجرى بعض الصحفيين الأجانب لقاءً مطولاً معي وكان أحد أسئلته بأنك بحكم لقائك المستمر بالناس ما هي أهم المشاكل التي يكثر عرضها عليك فقلت له: المشاكل الرئيسية ثلاثة:

١- القلق على الهوية الإسلامية للمجتمع والتي تتهدد بالتميع

والانحراف من خلال نشر وسائل الإفساد والرذيلة وتشجيعها وآخرها جهاز الاستلايت الذي يعطي فرصة الانغماس في المعصية ويوجد في الناس ذوو نفوس مريضة يستجيبون لداعي المعصية ويزينونها لغيرهم.

٢- القلق من تغيير الخارطة السكانية للبلد حيث نرى إقبال

الأجانب بما فيهم الصهاينة على امتلاك العقارات بكل ثمن، مما قد يؤدي إلى تشرد أهل البلد الأصليين ولجوئهم في البلدان وخسارة أرضهم ووطنهم وما أتعس الإنسان حين يعيش بلا وطن ولا هوية.

٣- القلق من عدم حصولهم على حقوقهم المشروعة باعتبارهم

الأغلبية في هذا البلد وعودة دورة الحياة من جديد لتبدأ كما بدأت قبل حوالي قرن بالغزو البريطاني لأرض العراق وحرمان الأكثرية من أبسط حقوقهم الإنسانية.

احذروا استهداف الإعلام الإيديولوجي للشباب:

إننا حين نهتم بالطلبة الجامعيين ونرعاهم ونحتضنهم ونؤلف لهم؛ فلأنهم مقياس صحة الأمة وعافيتها فإن كانوا صالحين كان المجتمع كله صالحاً، ولأنهم المؤثر في حياة الأمة فإن الطالب الجامعي له كلمته

المسموعة في أهله وذويه وعشيرته ومجتمعه، ولأنهم من الشباب الذي يتدفق حيوية ونشاطاً وحماساً وحباً، ولأنهم مستهدفون بقوة بعملية الإفساد والتضليل والانحراف مما يوجب علينا أن نفكر بجدية في تحسين وضعهم الإيماني وحمائتهم من الوقوع في الخطأ والمساعدة قدر الإمكان في حل مشاكلهم.

خطوات لحماية الشباب العقائدي:

وأبَيَّنُّ بحضرتكم بعض النقاط العملية في هذا الطريق:

١- توجيه الدعوات باستمرار إلى فضلاء الحوزة وأساتذتها الواعين لزيارة الجامعات وإلقاء المحاضرات وعقد الندوات والاتصال المباشر بأحبنا الطلبة.

٢- توجيه السفرات الطلابية لتكون إلى المرجعية الشريفة والمعالم الدينية والحضارية التي تعمق إيمان الشاب وتزيد من ثقته بنفسه واعتزازه بتاريخه بعد أن كانت إلى مناطق الفسق والفجور واللهو والعبث.

٣- تجميع الطاقات المؤمنة في اتحادات طلابية نزيهة تكون لها قوة وفاعلية في تحقيق طموحات الطلبة واختيار الإدارات الكفوءة المخلصة.

٤- فتح المراكز الثقافية الإسلامية والمساجد داخل الجامعات للتعريف بالإسلام الأصيل وقدرته الكاملة على قيادة الحياة وإسعاد البشرية وممارسة الأنشطة الفكرية والدينية داخل الجامعات.

٥- رفع المستوى العلمي لدى الطلبة حتى نضاهي أكثر الأمم

تقدماً في العلم والتكنولوجيا، فقد ولى الزمان الذي كان الطلبة لا يهتمون بتحصيلهم العلمي بعذر أن الشهادة لا تنفع وإنما نريدها للتخلص من الخدمة العسكرية، ونحن لم نرتض هذا الكلام في الزمان السابق فكيف نقبله الآن والبلد مقبل على بناء وإعمار واستعادة لحياته بعد أن دبّ الخراب في جميع نواحيه، وأجبنا عن مثل هذه الأفكار في محاضرة نشرت في كتاب (الحوزة وقضايا الشباب).

البناء العلمي شرط للنهوض الحضاري:

فنحن نبني أنفسنا أولاً بهذا العلم وبلدنا ثانياً ونسخره لإسعاد مجتمعنا ولتهيئة الأرضية الصالحة المتينة لاستقبال دولة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) الذي سيتخذ من العراق عاصمة له ومنطلقاً لفتح العالم وبسط الخير والعدل في جميع الأرض، وسوف تكون وسيلته الرئيسية في هذا الفتح هو العلم والأخلاق والفكر لذا تدخل الأمم تحت قيادته طوعاً وعن قناعة كاملة وأولها أوروبا بحسب ما تفيد الأخبار الشريفة.

٦- التحاق الطلبة الجامعيين بالدورات السريعة المكثفة التي

تنظمها الحوزة الشريفة لهم في العطلة الصيفية لتحصيل الدروس الحوزوية الأساسية، وليمارسوا دورهم في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى وإصلاح المجتمع خلال العام الدراسي وقد نفذت بنجاح في العام الماضي واستفاد منها المئات من الطلبة في مختلف الاختصاصات.

٧- فتح فروع الصندوق (الزواج رحمة) الذي أسسنه وفق

ضوابط معينة ذكرتها في محاضرة مسجلة وطبعت في كتاب (الزواج

والمشكلة الجنسية؛ لتشجيع الشباب على التزويج ك معالجة ايجابية للمعاناة الجنسية حتى نردّ كيد الأعداء إلى نحورهم.

أشكر الله سبحانه وتعالى على أن منّ علينا بكم وأسأله تعالى أن يثبتكم على صراطه المستقيم ويكثر من أمثالكم في أوساط الجامعات والشباب عموماً، وإني متفائل بكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لن يستطيعوا هزيمة شبابنا بإذن الله تعالى^(١)

قوة الإيمان العالية لدى شبابنا اليوم:

يتحدث الكثير من الشباب وطلبة الجامعات عن أجواء الفساد والانحراف خصوصاً في أروقة الجامعات، والخشية من التأثر بها، وأنا لا أريد أن أقلل من حجم هذا الخطر وما يستدعيه من الحيطة والحذر والتسلح بالتقوى والوعي والأخلاق الفاضلة، لكنني أعتقد أن المد الإسلامي المتدين قد نضج بمقدار معتد به في مقاومة واحتواء تأثير هذه الانحرافات الأخلاقية التي اكتسحت المجتمع منذ عشرات السنين وأدت إلى انحراف الأغلبية الساحقة من الشباب في ستينات وسبعينات القرن الماضي، لكن التيار الديني استعاد التوازن والصمود واحتواء هذا الخطر رغم تزايد قوته وإمكانياته ودخول التقنيات الحديثة لترويعه.

في العام الماضي زارني أحد الأطباء الشباب وأخبرني أنه حصل على زمالة دراسية له ولزوجته للتخصص الدقيق في الطب في استراليا وانه يتخوف مستقبلاً من التأثر بأجواء الفساد هناك، فطمأنته وقلت له أن مثله يؤثر فيهم ويغيرهم وليس العكس، وبعد التحاقه بالدراسة هناك راسلني

(١) من حديث سماحة الشيخ يعقوبي مع مجموعة من طلبة الجامعة التكنولوجية يوم السبت ١٤/٢٩ ع المصادف ٢٠١١/٣/٥ ومع مدير وطلبة المدرسة القرآنية للفتيان في الحلة يوم السبت ١٩/ج/١٤٣٢/١ المصادف ٢٠١١/٤/٢٣ وجمع من أعضاء موكب العسكريين (□) في البصرة الذي قدموا مشياً إلى زيارة أمير المؤمنين (□) في ذكرى استشهاد الزهراء (□) فوصلوا يوم الأربعاء ٣٠/ج/١٤٣٢/١ المصادف ٢٠١١/٥/٤. ومع موكب عشيرة البدور.

وقال لقد صدقت فقد أثرنا بأخلاقنا وعفافنا وسلوكنا النظيف في الآخرين فأخذوا يتحلّقون حولنا خصوصاً من النساء وهم من جنسيات مختلفة ليسألوا عن ديننا وكيفية حصول هذه الخصال الكريمة عندهما، والدكتور وزوجته يشرحان لهما عن الإسلام ومدرسة أهل البيت عليهم السلام ونوابهم من العلماء العاملين، فيصل التأثر عند بعضهم حد البكاء ويعجبون من عفاف المسلمين حيث يمتنع الرجل حتى من مصافحة غير زوجته من الأجنبية ولا النظر إليهنّ بريبة، ولا تبدي الزوجة زينتها لغير زوجها، وتكريم المتدينين لزوجاتهم.

من عناصر قوتنا:

إن تيارات الفساد والتشويه والتضليل الفكري والتشكيك في أصولنا ومبادئنا مستمرة ويوجد لها أبواق من داخل مجتمعنا حتى من بعض المعممين وليس فقط من العلمانيين، لكننا بفضل الله تبارك وتعالى وألطف صاحب العصر (أرواحنا له الفداء)، وإقامة الشعائر الدينية بكثرة، واستمرارية وانتشار مجالس الوعظ والإرشاد والمدارس الدينية للقرآن الكريم والفقهاء والأخلاق وسيرة أهل البيت عليهم السلام، أصبح كثير من أبنائنا في حصانة من التأثر بها، وأروي لكم حادثة في المناسبة.

قصة من تراث الجد (الشيخ محمد علي):

في نهاية خمسينيات القرن الماضي حيث كان ما عرف بالمد الشيوعي الأحمر قد اكتسح الساحة العراقية وغرّر بقطاعات واسعة من

الشباب والمثقفين والكوادر التعليمية، كان جدي يعقوبي الكبير رحمته الله يرتقي المنبر في مدينة الشطرة فقام بعض أذئاب الشيوعيين الذين غاظهم احتشاد هذا العدد الكبير تحت المنبر الحسيني بإرسال كلب وسط المجلس لإرباكه وتشتيته وكان جدي هادئاً على المنبر، فلما عاد الحشد إلى وضعه استحضر القصة التالية قائلاً: في عهد بعض الولاة العثمانيين السابقين كان الجيش يحمل المدفعية على ظهور الجمال في تحركاته، وكانت فيها ناقة خدمت طويلاً ثم عجزت فأحالوها على التقاعد وقرّر الوالي العثماني تكريمها بأن تترك بحريتها تفعل ما تشاء في أزقة وشوارع المدينة ولا يجوز لأحد التعرض لها ومنعها مما تريد، فكانت تقف عند هذا البائع فتأكل خضاره وعند ذلك فتلتهم طعامه، حتى وقفت عند صاحب محل وأخذت تلتهم ما عنده بشراسة ولم يستطع منعها خوفاً من الوالي فأخذ صفيحة معدنية وراح يضرب عليها ويحدث صوتاً عالياً لإبعادها، فمرّ عليه شخص وسأله عن فعله فأجابته بأنه يحاول إبعادها عن طعامه بهذه الأصوات، فقال له: إن تعبك هذا بلا فائدة لأن هذه الناقة قد اعتادت ضرب المدافع من على ظهرها سنين طويلة وأنت تريد إخافتها بالضرب على الصفيحة!

وهنا قال جدي رحمته الله محل الشاهد وهو أنه على هؤلاء الأعداء أن

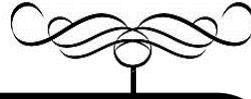
148 يأسوا من إخافتنا ومحاولات إبعادنا عن دين الله تعالى ورسوله صلوات الله عليه وولاية أهل البيت عليهم السلام فقد حاول كثيرون من قبلهم بكل بطش وقسوة في التاريخ الماضي كالأمويين والعباسيين والتاريخ الحديث كالاحتلال الإنكليزي وغيره فواجهناها بشجاعة وبسالة وقدّمنا التضحيات.

فيا أيها الأحبة إنكم بمواظبتكم على أداء شعائركم الدينية

وصلواتكم المفروضة خصوصاً صلاة الجماعة والجمعة والتردد على المساجد وحضور المجالس الحسينية والتواصل مع العلماء والفضلاء ومطالعة الكتب النافعة سوف لا تؤثر فيكم هذه الأساليب المهزومة بإذن الله تعالى.



الفصل الرابع



إلتباسات مفهومية
مناكفات حضارية بين عدة مفاهيم





المرأة المسلمة في الغرب بين الاندماج والذوبان حوار مع آية الله الشيخ محمد اليعقوبي

بسمه تعالى

إلى سماحة الشيخ محمد اليعقوبي دامت بركاته..

عرضت قناة الجزيرة ليلة أمس برنامجاً - للنساء فقط - طرحت فيه فكرة اندماج المرأة المسلمة في الغرب أو ذوبانها في الواقع الغربي.. وخلصت نتيجة البرنامج -من خلال آراء الضيوف الحاضرين في البرنامج- على تأييد فكرة الاندماج دون الذوبان لأنه مسخ للهوية الإسلامية وانسلاخ عن القيم والتقاليد الإسلامية.

السؤال الأول: إذا لم يكن في البرنامج رجل الدين -مع وجود امرأة محجبة هي عضو في الرابطة الإسلامية في بريطانيا- إلا أنه لم تكن هناك رؤية دينية واضحة لتوضيح المسألة من الناحية الدينية والشرعية. أقصد عن فكرة الاندماج وإذا لم يكن رجل دين حاضراً في البرنامج، مع تداعي الحضارة الغربية إلى مستوى متدني من الأخلاق وفساد الواقع الغربي.. نريد أن نُعلم ونوصل صوتنا إلى نساتنا هناك في الغرب ما هي الخطوط البيانية لحالة الاندماج مع الغرب.. هذا إذا قلنا أنه لا بد من اختيار إحدى الحالتين إما الاندماج أو الذوبان..

السؤال الثاني: في البرنامج طرحت فكرة تخلي بعض النساء المسلمات عن هويتهن الإسلامية.. وذلك بانجرارهن وراء الحضارة الغربية وحالة الذوبان الحاصلة لديها مع الغرب.. إلى أن صار من المعتاد تزوج

امرأة مسلمة من رجل غير مسلم..

وللعلم.. إنه لم تعالج مقدمات ذلك - السقوط - في وحل الحضارة الغربية وأسباب تخلي المرأة المسلمة عن هويتها الإسلامية، سوى أنه قيل إن هذا الزواج سينتهي بالفشل علماً أنه باطل أصلاً وأن الرابطة الإسلامية ستعالج العقد النفسية الناجمة من فشل الزواج..

فالسؤال.. توضيح مقدمات انحدار المرأة إلى هذا المستوى وما هي الأسباب التي أدت إلى تخليها عن هويتها الإسلامية.. وإذا كان الزواج باطلاً فهل يعد من الزنا.. وكيف تعالج تلك الحالة بعد ذلك.. والظاهر من خلال عدم طرح الحلول الناجحة في ذلك البرنامج هو غياب المرجعية الدينية هناك.. فكيف نملاً ذلك الفراغ وهل يمكن أن نطرح رأياً إسلامياً يخدم القضية؟

السؤال الثالث: طرحت في البرنامج قضية اضطهاد المرأة المسلمة في الغرب وبالذات في فرنسا والسعي (الحاصل الآن) لإصدار قرار يمنع ارتداء الحجاب نهائياً.

المرأة الملزمة بالعيش هنالك -في الغرب- لأسباب متعددة.. كيف دعوتكم لها.. هل تواجهه وتصير على طلب حقوقها المشروعة أم يجب عليها أن تركز إلى البيت حفاظاً على دينها لئلا تتطور الأمور أكثر من ذلك؟

ثم ما هو واجبنا نحن اتجاهها.. وما هو واجب رجال الدين في هذه القضية..؟

السؤال الرابع: تتحجج النساء المتزوجات من رجال غير مسلمين إلى أن المسلم لا يحترمها ولا يعطيها حقها بعكس غير المسلم.. ماذا تقولون؟

وماذا تقول بخصوص ظاهرة البوي فريند؟

مجلة فيض الكوثر

١٦ رمضان ١٤٢٤

كيف تعيش المرأة المسلمة في الغرب؟

سؤال قد نظرحه أكثر من غيرنا، نحن الذين لم نعش في الغرب، ولم تطأه أصلاً أقدامنا.. في ظل تداعي الحضارة الغربية والانحطاط الملازم لها لابتعادها وتصلها عن قيم السماء والرسالات السماوية..

هذا السؤال نظرحه، في الوقت الذي نسمع فيه عن حالات اضطهاد المرأة المسلمة في الغرب. وخصوصاً في فرنسا التي تسعى بعض الجهات فيها، التي ترى في الحجاب رمزا دينيا وسياسيا ينافي سياستها العلمانية.. تسعى لإصدار قرار يمنع ارتداء الحجاب إلى الأبد. وبالمقابل نسمع هنالك الاقتراحات والدعوات الموجهة إلى المرأة المسلمة لقبول إحدى الحالتين المشار إليهما في العنوان إما الاندماج أو الذوبان في الغرب، من قبل دعاة الاندماج أنفسهم أو دعاة الذوبان.. كل بحسب ما يرى من صحة موقفه.. ولنا أن نسأل:

ما معنى الاندماج؟ وإلى أين تصل بالمرأة حالة الذوبان التي يدعونها إليها؟ في أحسن الأحوال.. يقولون إن الاندماج هو التنازل عن بعض التقاليد العربية وقبول بعض تقاليد الغرب.. لتحصل الموازنة بين كفتي حقوق المسلمين العرب وغير العرب وإمكان عيشهم في الغرب وحقوق

أهل الغرب أنفسهم في بلدانهم.. ليتمكنوا بعد ذلك من العيش بسلام وأمن
واطمئنان..

والذوبان هو أن تأخذ الفتاة المسلمة العربية بيد (البوي فريند) إلى
(النايت كلاب).. لتكون غريبة مئة بالمئة..!!

فهل هذا الزواج صحيح؟!

هذا ما يقولون حسب ما عرضته قناة الجزيرة القطرية في برنامج
للنساء فقط قبل شهر تقريباً.. فماذا نقول نحن كإسلاميين لنا رؤيتنا الإسلامية
التي ليس فيها لبس ولا غبار..؟

الشيخ محمد اليعقوبي دامت بركاته دام عزه..

أعطى فكرته الإسلامية الواضحة في الموضوع بصورة عامة ثم أجبنا
تحديداً عن كل أسئلتنا وبحسب ما جاء في البرنامج المذكور الذي غابت
عنه الرؤية الإسلامية الواضحة والصريحة..

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبيه وآله الميامين وسلم

تسليماً.

حينما نرتفع الى رحاب الشريعة:

إننا حينما نتحدث عن (المرأة المسلمة في الغرب) فلا بد أن نلاحظها على شكلين:

الأول: المرأة الشرقية التي نشأت في مجتمعاتنا الإسلامية ثم سافرت إلى بلاد الغرب لسبب أو لآخر.

الثاني: المرأة الغربية التي هداها الله للإسلام وادخل في قلبها نور الإيمان.

ويبدو أن الأسئلة تتعلق بالشكل الأول وعندئذ فإننا ننصح أولياء الأمور والنساء أنفسهن بعدم ذهاب المرأة إلى الخارج بل الرجل أيضاً، وربما يصل الحكم إلى المنع لأنه سيتنقل من مجتمع مسلم له صورة متدينة ظاهراً - مما يساعد على زيادة فرص الطاعة ويقلل من فرص المعصية لان ارتكابها سيصطدم برادع الدين أو الأخلاق أو الأعراف الاجتماعية - إلى

كيان تنتشر فيه المعصية من تبرج وإظهار للزينة واختلاط فاحش وممارسات علنية للمعصية فيتورط الإنسان بها شاء أم أبى، فعليه أن يسد منافذ الوقوع في المعصية إما بالامتناع أصلاً عن السفر إلى بلاد لا تسودها الأجواء الإسلامية، أو بخلق كيانات إسلامية مصغرة داخل تلك الكيانات، كما ينقل من أخواتنا في لندن وبعض المدن الأسترالية مثلاً، وبدون ذلك

فإنه ربما ينطبق على من يترك بلاد الإسلام ويقيم في المجتمع الغربي البعيد عن الإسلام أنه (متعرب بعد الهجرة) وهي من الكبائر المحرمة، وحتى لو كان مطمئناً من قدرته على الاحتفاظ بالتزامه الديني فإن الخشية ستكون من تميع عقيدة وسلوك الأجيال اللاحقة بعد أن تنشأ في تلك البيئة وتتطبع بأخلاقها وسلوكياتها.

ونستثني من هذا الحكم الذين يذهبون إلى تلك البلاد للدعوة إلى الله تبارك وتعالى وتنظيم شؤون المسلمين هناك أو تلجئهم ضرورة لذلك. وبعد أن عرفنا لزوم تجنب المرأة المسلمة الحياة في مجتمعات غير إسلامية فسيكون الكلام عن الذوبان أو الاندماج في تلك المجتمعات لا موضوع له.

وهذا هو الطريق الصحيح لمعالجة انحرافات المجتمع بان توجهه إلى البديل الصالح ونهيئه له وليس بأن نرقع الواقع الفاسد، وعلى تعبير أستاذنا السيد الشهيد الصدر قده علينا أن نرتفع بالواقع إلى مستوى الشريعة وليس بأن ننزل الشريعة إلى مستوى الواقع الفاسد غير المبني على أسس إلهية رصينة.

158 الخيانة الإعلامية في التعاطي مع قضايا المرأة:

وإذا أراد برنامج (للنساء فقط) التي تبثه قناة الجزيرة وكذا سائر البرامج والقنوات أن يعالج مشاكلنا بإخلاص وصدق وجدية فعليه أن يقدم الحلول المناسبة لما يعرضه من قضايا وشبهات وإشكاليات، ومن الخيانة أن يلقي هذه الشبهات في آذان المجتمع ويتركهم ضحية التشتت والتمزق

والضياع والوهم من دون أن يقدم لهم الجواب الصحيح لها، فكان عليه أن يستضيف علماء دين ومفكرين واختصاصيين مخلصين وواعين وان كان البرنامج (للنساء فقط) من حيث المواضيع والقضايا لكن علاجها لا يكون بيد النساء فقط، فإن الأنبياء الذين هم أطهر الخلق وأنزههم وأكثرهم صدقاً وإخلاصاً وكان لهم الأثر الفعال في إصلاح البشرية وإسعادها وتنظيم شؤونها كانوا -وهم مئة وأربعة وعشرون ألفاً- كلهم من الرجال، وليس في ذلك منقصة للمرأة فإن لها دوراً مهماً تؤديه في فهم قضاياها وتشخيص مشاكلها ووضع الحلول المناسبة لها. خصوصاً وأن عدداً كبيراً من نساتنا قد بلغن من العلم والوعي والثقافة ما يؤهلن لممارسة هذا الدور المهم.

الذوبان يعني التخلي عن الشريعة الإسلامية:

وإذا عدنا إلى ما طرح في البرنامج فإن الذوبان أمر مرفوض لأنه يعني التخلي عن الهوية الإسلامية على صعيد المظهر والمحتوى، فإن الذوبان يعني خلع الحجاب لأنه من وجهة نظرهم يرمز إلى عنصرية دينية وخروج عن متطلبات المجتمع، ويعني الذوبان الخضوع إلى الأتكييت المتعارف من مشاركة في حفلات ماجنة واتخاذ أخدان وأصدقاء وعلاقات غير مشروعة، وتتسع قائمة مستحقات الذوبان حتى لا تبقى من عناصر شخصية المسلم إلا القشور التي تركز في زاوية مظلمة لا يكاد يمر بها أحد.

معنى الاندماج:

أما الاندماج فهو معنى مطاط ومجمل فيمكن أن يراد منه نفس

مستحقات الذوبان المتقدمة، ويمكن أن يعني حالة من التعايش الايجابي المشترك من دون إلغاء خصوصيات الهوية الإسلامية ولكن أنى يمكن ذلك وهذه الأخبار تتناقل عن قرارات في فرنسا وألمانيا تمنع من ارتداء الطالبات للحجاب، وقد فصلت مذيعة سويدية من التلفزيون لأنها ترتدي الحجاب وفصلت طالبة يهودية في مدرسة مزرعة الشبيبة في القدس لأنها اعتنقت الإسلام وارتدت الحجاب فهم لا يتركوننا وإن تركناهم [وَأَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ] (البقرة: ١٢٠) [وَأَنْ أَيْتَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ] (البقرة: ١٤٥).

والقران الكريم أكد على البينونة بين المجتمع المسلم وغيره والانفصال في العقيدة والسلوك والمظهر. [بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ] (الكافرون: ١-٦).

ولا يكون المجتمع مسلماً إلا إذا تميز بكيانه [وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ] (التوبة: ٧١)، أما الاندماج فيتطلب نوعاً من المداهنة والتخلي عن بعض الالتزامات المطلوبة أمام الله تبارك وتعالى [وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ] (القلم: ٩) [لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً] (الإسراء: ٧٤)

160 [لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْأَيْمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] (المجادلة: ٢٢) فهو مرفوض حتى بهذا المقدار، فهل أن

الموافقين على الاندماج لهم من الشجاعة والحزم والإيمان الراسخ مقدار يكفي للثبات على حدود الله تبارك وتعالى، أم أنهم يميّعون التزاماتهم تدريجياً.

فيتحول الحجاب الذي هو التزام أمام الله تعالى بالعفة والحياء والشرف بكل ما تقتضيه هذه الخصال الكريمة إلى خرقة قماش تغطي بها جزءاً من شعرها وتربطه على العنق مع قميص ضيق يبين معالم جسمها، وزينة واضحة وخضوع بالكلام وميوعة بالحركات فتشير بكل كيائها إلى الفتنة والإغراء بالمعصية.

وتتحول الصلاة والصوم إلى طقوس عبادية فارغة من المعاني وتؤدي بشكل روتيني لا يعود على الروح بسمو ولا على النفس بتهذيب، وتذوب كل الحواجز التي جعلها الله تعالى حدوداً له يميز بها عباده الصالحين وقال عنها [تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ] (البقرة: ٢٢٩).

وحيث إن المرأة المسلمة سوف لا تجد مانعاً من الزواج بغير المسلم رغم إن ذلك مضر بدورها ودين ذريتها، وتصطنع له مبررات واهية كعدم احترام الرجل الشرقي للمرأة، وهو من المفارقات المضحكة بل المبكية فهل تجد تكريم الزوجة إلا عند المسلم المؤمن الذي يقول عنه الحديث (زَوْجُهَا مِنْ رَجُلٍ تَقِيٍّ، فَإِنَّهُ إِنْ أَحْبَبَهَا أَكْرَمَهَا وَإِنْ أَبْغَضَهَا لَمْ يَظْلِمَهَا)^(١)، أما الغرب فقد تفتشت عندهم الخيانات الزوجية والشذوذ

(١) مكارم الأخلاق: ص ٢٠٤.

الجنسي الذي هو أكبر خيانة لهذا العقد المبارك المقدس، وقد دلت إحدى الإحصائيات الأخيرة في بريطانيا أن ٧٠٪ من الأزواج والزوجات خانوا الشريك الآخر وهذه نسبة من اعترفوا ويضاف لهم من لم يعترف، وتستطيع أن تعقد مقارنة بين نسب حالات الزواج التي انتهت إلى الفشل عندهم وعندنا لترى أننا أكثر نجاحاً، وإذا وجدت حالات سيئة للعلاقات الزوجية في بلادنا فإنها لا تمثل الصورة العامة والمتوقعة من المؤمنين. ولكي لا أطيل الكلام أجب باختصار على ما ورد من أسئلة:

علاقة المرأة المسلمة بالغرب:

١- إن الصحيح في علاقة المرأة المسلمة بالغرب هو عدم الذهاب إلا لضرورة، وعندئذ فإن استطاع المسلمون أن يؤسسوا لهم كيانات ذات أجواء إسلامية داخل مجتمعاتهم بما فيها إنشاء مدارس ومؤسسات ذات هوية إسلامية فيتعين عليهم فعل ذلك، وإلا فليحافظوا على كل تفاصيل التزامهم الديني ولو بالتخلي عن بعض حقوقهم الدنيوية كترك المدارس الحكومية أو الوظائف التي تمنع ارتداء الحجاب، ويتطلب الأمر الاستعداد بالتفقه في الدين وترسيخ العقيدة والاستماع إلى الموعظة والتذكير بالله والآخرة والموت باستمرار لتكون معبأة ومهيأة بشكل جيد في هذه المواجهة.

162

٢- زواج المسلمة من غير المسلم باطل ويجب إنهاؤه فور العلم ببطان العقد والاستمرار فيه بعد العلم بطلانه حرام ويعني أن العلاقة غير مشروعة ويستلزم الزنا.

٣- على المسلمين المطالبة باحترام هويتهم الإسلامية وإلزام حكومات تلك الدول بما ألزمت أنفسها من الديمقراطية وحقوق الإنسان وحرية الاعتقاد والتعبير عن الرأي، فلماذا يحق ذلك لكل أحد إلا المسلمين فأين ما يتشدقون به من هذه العناوين، وإذا أصروا على ارتكاب مخالفة شرعية فلتنسحب من هذه المفاصل الموجبة لذلك ولو بالركون في البيت يعني إذا قرروا منع لبس الحجاب في المدارس الحكومية فليتركوا الدراسة فيها وينشئوا لهم مدارساً أهلية وإلا فليضحوا بالدراسة أصلاً.

٤- ظاهرة البوي فريند قد تناولتها في خطاب تفصيلي سابق ونشر في أحد أعداد مجلة الكوثر وهي بالشروط التي دعا إليها بعض المسلمين كالزندانى رئيس الجامعة في اليمن فهي عين الزواج المؤقت الذي ثبت مشروعيته في الكتاب والسنة، غير أنهم يجنون عن التصريح بضرورة إحياء هذا الحكم الشرعي المعطل ويلتفون عليه بهذه الاقتراحات رغم علمهم أن أي تشريع لا يستند إلى دليل وحجة كافية أمام الله تبارك وتعالى فإنه يعني الشرك ومزاحمة الله تبارك وتعالى في سلطانه [فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا] (النساء: ٦٥).

اللهم ارزقنا توفيق الطاعة وبعد المعصية والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

محمد يعقوبي

٢٣ رمضان ١٤٢٤ ٢٠٠٣/١١/١٨

الإسلام والديمقراطية وحقوق الإنسان^(١)

الديمقراطية والسياقات الغربية للمصطلح:

س ١: ما هو تعريفكم للديمقراطية ومبادئ حقوق الإنسان وهل هي من مبتكرات الحضارة الغربية أم أن الشريعة الإسلامية سبقت في طرحها وتأصيلها لهذه المفاهيم.

الجواب: بسم الله الرحمن الرحيم: يوكل تعريف الديمقراطية إلى الذين وضعوا المصطلح، ونحن مسؤولون عن مفاهيمنا وشرح مصطلحاتنا، ولكن باعتبار أن تجارب الشعوب تتلاقح والحضارات تتكامل ويمكن لأمة أن تستفيد من معطيات الأمم الأخرى فتتعامل مع المصطلح من هذه الجهة ونقول:

إن للديمقراطية معنيين أو مساحتين للعمل واحدة مرفوضة وأخرى مقبولة.

فتارة يراد بالديمقراطية حاكمية الشعب أو كما يعبرون (الشعب مصدر السلطات) وان الأغلبية إذا شرعت شيئاً كزواج المثليين أو جواز الموت الرحيم - كما يسمونه - أو إباحة العلاقات الجنسية للمرأة خارج إطار الزوجية أو مساواة الرجل والمرأة في الميراث فيسري العمل بهذا القانون ويكون نافذاً.

وهذا شيء مرفوض في الإسلام لأن الحاكمية لله تبارك وتعالى

(١) من لقاء أجرته إحدى المؤسسات الثقافية في كربلاء المقدسة مع سماحة آية الله الشيخ

[أَفْحَكُمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ] (المائدة: ٥٠)، [وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ] (المائدة: ٤٥)، [وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ] (المائدة: ٤٤)، [وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ] (المائدة: ٤٤)، [فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا]، (النساء: ٦٥)، فلا يحق لأي شخص أن يسنّ تشريعاً مخالفاً لشرعية الله تبارك وتعالى، وفي ضوء هذا المبدأ على السلطات الثلاث (التشريعية والقضائية والتنفيذية) أن تفهم صلاحياتها وحدودها.

وتارة يراد بالديمقراطية الآلية التي يختار بها الشعب قاداته وحاكميه ومدبري شؤونهم، وهذا مما لا بأس به فإن الله تبارك وتعالى أوكل تصريف شؤون العباد إليهم أنفسهم فينظمون الآلية التي يتوافقون عليها قال تعالى: [وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ] (الشورى: ٣٨)، فاستعمل ضمير (هم) أي أن الأمور العائدة إليهم في تدابير شؤونهم الحياتية فهذا موكول لهم وترك تفاصيلها إليهم مما سماها بعض الفقهاء (قدس الله أسرارهم) منطقة الفراغ، وهي ليست فراغاً في الحقيقة وإنما بمعنى أن المشرع وضع لها حدودها وأطرها العامة وترك التفاصيل إلى الأمة لتختار الأسلوب المناسب.

فمثلاً: المطلوب من باب حفظ النظام الاجتماعي العام تأمين الطرق للناس بين النجف وبغداد ولكن هل يمر الطريق عبر الحلة أو كربلاء، وكم عدد ممرات الشارع وغيرها من التفاصيل فهذه مما يقررها من تختيارهم الأمة وتفوضهم النظر في شؤونها وتوكلهم في تدبير أمورها.

احترام الخيارات الشعبية في النموذج الإسلامي:

وبهذا المعنى من الديمقراطية أي احترام إرادة الشعب والرجوع إليه في تقرير مصيره فإن الإسلام أول من وضع أصوله ومبادئه وسار عليه قادة الإسلام بمنتهى الصراحة والشفافية، فتجد في سيرة رسول الله ﷺ أنه حينما خرج مع المسلمين على غير استعداد للقتال لاعتراض قافلة قريش التجارية، ولما أفلتت القافلة وأصبح المسلمون في مواجهة قريش، استشارهم رسول الله ﷺ في المضي نحو القتال أو الرجوع، وقبل معركة أحد استشارهم ﷺ في التصدي لقريش داخل شوارع المدينة وأزقتها أو خارج المدينة، واستشارهم في كيفية مواجهة الأحزاب حتى أشار سلمان الفارسي بحفر الخندق.

وحتى في ممارسة قيادة الأمة، فبالرغم من أن النبي ﷺ هو سيد الخلق والمبعوث رحمة للعالمين وأولى بالناس من أنفسهم، فإنه لم يؤسس دولته المباركة في المدينة ويمارس صلاحياته كقائد حتى طالبه أهل المدينة بالهجرة إليهم، واشترط عليهم النصر والدفاع عنه كما يدافعون عن نسائهم وأموالهم، وكذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ المنصوب خليفة على الأمة من بعد رسول الله ﷺ بنص إلهي، لم يمارس قيادته للأمة إلا بعد أن انثالت عليه تبايعه وهو ؑ يردهم، حتى أجمعوا أمرهم على إمامته، وهو الذي لا يحتاج إلى ذلك وإنما لإلقاء الحجة عليهم ومطالبتهم باستحقاقات هذا الموقف؛ لذا قال ؑ: (لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر لألقيت حبلها على غاربها...).

وفي ضوء هذا نفهم أن ولاية شؤون الأمة لا تكون بالادعاء ولا

بالتسلط ولا بالقهر، وإنما بإرادة الأمة وبالآلية التي تضعها لنفسها، فولي أمر المسلمين يختاره أهل الخبرة من المجتهدين ومن قاربهم في العلم والفضيلة والورع والترفع عن الدنيا، وهكذا بقية مواقع المسؤولية في الأمة.

حقوق الإنسان في الفكر الإسلامي:

وأما حقوق الإنسان فإن الإسلام هو رائدها ومؤسسها والتزم بها قادة الإسلام ورسموا لها أنبل الصور التزاماً بقوله تعالى: [وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ... وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً]، (الإسراء: ٧٠)، وجوامع الحديث مليئة بهذه التعاليم. راجع كتاب آداب العشرة في المجلد الثامن من وسائل الشيعة ورسالة الحقوق للإمام السجاد عليه السلام، وعهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى مالك الأشتر لما ولّاه مصر ومما جاء فيه: (واستشعر الرحمة للرعية فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق).

فَمَنْ مِنْ زُعَمَاءِ الدُّوَلِ الَّتِي تَدْعِي الدِّيمُقْرَاطِيَّةَ وَالِدِفَاعَ عَنِ حُقُوقِ الْإِنْسَانِ يَقِفُ كَرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَما جَمَعَ أَصْحَابَهُ وَقَالَ لَهُمْ: (يُوشِكُ أَنْ أَدْعِيَ فَأَجِيبْ فَمَنْ كَانَتْ لَهُ قَبْلِي مَظْلَمَةٌ فَلِيَقْتَصِبْهَا مِنِّي قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِصَاصِ الْإِلَهِيِّ الْعَادِلِ)، فيقوم له أحد أصحابه ويقول له: إنك في يوم كان ازدحام الناس حولك شديداً ورفعت قضيتك الممشوق لتضرب ناقتك فوق عليّ خطأ، فدعا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالقضيب وكشف عن موضع القصاص من جسده الشريف ودعا الصحابي للاقتصاص، ورأى أحد أصحابه يعبث بصيد العصافير فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له: استعد لمساءلته يوم القيامة فإنه يخاصمك أمام رب العزة والجلال ويقول: ربّ أسأله لماذا قتلني وهو لا ينتفع بلحمي.

وَمَنْ مِنْ هَؤُلَاءِ الزَّعْمَاءِ (الديمقراطيين) المدعين لحقوق الإنسان الذين تسمع يوماً بسوء تصرفهم بالمال العام والاستفادة منه بطرق غير مشروعة يقف كأمر المؤمنين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ على منبر مسجد الكوفة بعد أربع سنوات من توليه شؤون الأمة وتصرفه بدولة مترامية الأطراف يقول للناس: (إن خرجت منكم بغير القطيفة التي جئتمكم بها من المدينة فأنا خائن).
والحديث في هذا المجال واسع أتركه لمناسبات أخرى وللكتاب والمفكرين.

الديمقراطية في النظام الإسلامي:

س ٢: ما هو ردكم على من يدعي أن لا ديمقراطية في الإسلام باعتبار الآية الشريفة [وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا] (الحشر : ٧)، تذوّب إرادة الفرد في إطار عام من الضوابط والواجبات ولا نلمس حرية الفرد؟

الجواب: إن هذه النظرة مبتورة للنظام الإسلامي وينطبق عليها قوله تعالى: [أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ]، (البقرة : ٨٥)، فإنه كما توجد هذه الآية توجد الآية المتقدمة [وَأْمُرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ] وقوله تعالى: [وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ] [آل عمران : ١٥٩]،

168

فحرية الفرد ووجوده ورأيه محترم لكن ضمن الإطار العام الذي تنظمه الشريعة، وهي حالة عقلانية يتفق عليها كل البشر المتحضر من ضرورة وجود دستور يضم المبادئ العامة التي تتوافق عليها الأمة، ويمثل مرجعية القوانين التي يعمل بها، ولا يجد أي واحد غضاضة في الالتزام بها لأنها

تعود بالنفع عليه، وبدونها تحكم الأمة شريعة الغاب.
والفرق بين النظام الإسلامي والنظم الوضعية أن الدستور الإسلامي مأخوذ من الشريعة التي انزلها الله تبارك وتعالى خالق البشر العدل المطلق الكامل الرحيم بعباده العليم البصير لإسعاد البشر وضمان فلاحهم وفوزهم.
أما النظم الوضعية فهي من صنع البشر القاصر المحكوم لأهوائه ونزعاته الذي يجهل حقيقة نفسه فضلاً عن حقيقة الكون الذي يحيط به.

حرية الرأي والمعتقد:

س ٣: هل ترون أن مقتضى الديمقراطية وحرية الرأي أن يعتقد المواطن العراقي ما يشاء من عقائد ومفاهيم وعادات وتقاليد أم هو مؤطر بجملة خيارات لا تتعدى السائد على ساحة الوطن.

الجواب: كل إنسان له حرية الاعتقاد وقال تعالى: [فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ] (الكهف: ٢٩)، [إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا] (الإنسان: ٣)، [لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ] (الأنفال: ٤٢)، فالإنسان مخير في عقيدته ونمط حياته التي يسير عليها، ولولا هذا التخيير والحرية لبطل الثواب والعقاب ولما استحق المحسن الثواب على إحسانه ولا المسيء يستحق العقاب على إساءته ما داموا مكرهين على هذا الشيء، فحرية الاختيار هو الأساس في استحقاق الثواب والعقاب، فلا يحق لولي الأمر أن يكره الناس على أن يكونوا مؤمنين، وإنما وظيفته تقريب الناس إلى طاعة الله تبارك وتعالى بتكثير فرصها وتيسيرها وبيان حقيقة الأمور في النشاطين، وتجنبيهم معصية الله بسد منافذها.

وقد كان الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام رئيساً للدولة ويوجد بين رعاياه ناس على غير دينه ومع ذلك فإنه كان يتكفل بشؤونهم، وقد امتنع عددٌ من أهل المدينة عن بيعته كعبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص ولم يجبرهم على ذلك رغم أن إمرته صحيحة وملزمة بكل المقاييس، وغاية ما اشترط عليهم أن لا يحدثوا فساداً وفتنة في الأمة وحينما حمل قادة الإسلام السيف فإنهم حملوه ليقضوا على هذه الفتنة وليزيلوا العقبات التي تمنع الناس من اختيار العقيدة الصحيحة لا لكي يكرهوا أحداً على الإيمان.

الإسلام وحقوق المرأة:

س ٤: ما هو ردكم على من يقول: إن في الإسلام انتهاكاً لحقوق المرأة وعدم مساواتها مع الرجل؟ وما هي حدود تولي المرأة للوظائف العامة وهل يجوز لها تولي القضاء؟

الجواب: هذه شبهة وفريية يرددها أعداء الإسلام لخلط الأوراق وتضليل الناس بإثارة هذه الأمور لينفروا المرأة من الإسلام من خلال إيهامها بوجود ظلم لها في الشريعة، وقد استعر هذا الهجوم بعد مجيء قوات الاحتلال وانفتاح الساحة على جميع الاتجاهات حتى الإباحية؛ لذا

بادرنا ووجهنا إلى تأليف كتاب يشرح فلسفة تشريعات المرأة ليجد فيها المساواة في الحقوق والواجبات بين المرأة والرجل قال تعالى: [فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى] (آل عمران: ١٩٥)، [إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا] (الكهف: ٣٠).

فالمساواة موجودة. نعم، لا توجد مماثلة في الوظائف بينهما لمراعاة

التركيبة النفسية والفسولوجية والاجتماعية لكل منهما، ولتقريب الفكرة نقل المثال التالي لو أن شخصاً أراد أن يوزع أمواله على أولاده الثلاثة وكان يملك نقداً بمقدار مليون دينار ومصنعاً بقيمة مليون ومزرعة بقيمة مليون وكان أحد أولاده يحسن التجارة والآخر يجيد الحرفة والصناعة والآخر يجيد الزراعة فأعطى الثلاثة للثلاثة على الترتيب فالأب هنا ساوى بين أولاده لكنه لم يماثل بينهم مراعيًا ما يناسب كل واحد منهم، وهكذا الرجل والمرأة فإنهم متساوون من حيث المسؤولية والاستحقاقات ولكن توزيعها عليهما روعيت فيه المناسبة، فالقيمة للرجل والحضانة للمرأة والنفقة على الرجل وإن كانت المرأة موسرة مقابل زيادة حصته في الميراث وهكذا، ولا تعني المساواة أبداً إعطاءهم نفس الوظائف وتستطيع أن تكتشف أن هؤلاء المتحمسين للدفاع عن مساواة المرأة في دول الغرب لا تشغل المرأة نسبة خمسة بالمائة من رؤساء الحكومات والوزراء والقادة العسكريين ورؤساء الجامعات والمتحكمين في الأسواق والبورصات ومدراء الشركات الكبرى وغيرها مما لا تناسب طبيعة المرأة، فيأذن هم سائرون عملياً على هذا التوزيع الطبيعي للأمور وإنما يثيرون هذه الفقاعات لاستدراج الضحلين والغوغاء لإبعاد الأمة عن عقيدتها وأخلاقها.

وهذا هو ما درج عليه الإسلام في تشريعاته فإن القضاء بما يتطلبه من احتكاك واسع بالناس والتعرض لمماحكات طويلة لا يناسب طبيعة المرأة وكذا ولاية أمر الأمة ويدعوها إلى التصدي للوظائف التي تناسبها كالتعليم والتمريض ورعاية الأسرة وتربية الجيل وصناعة الإنسان.

التنمية البشرية في روايات أهل البيت عليهم السلام مقارنة بالفكر الغربي^(١)

الإسلام والتنمية البشرية:

يهتم العالم اليوم بحقل من حقول المعرفة يسمونه (التنمية البشرية) وتفتح له جامعات متخصصة وآخرها في جامعة السليمانية في العام الماضي بحسب ما سمعت من وسائل الإعلام.

وقد التقيت قبل أسبوعين تقريباً أحد طلبة الدكتوراه في الولايات المتحدة وعنوان بحثه (الدين والتنمية البشرية) وعرضت عليه خارطة الطريق للبحث وفق ما أفهمه من العنوان وبما ورد عن أهل البيت عليهم السلام.

لقد اهتم القادة المعصومون عليهم السلام بالتنمية البشرية في كل أنحاءها، فعلى صعيد الكم أي تكثير العدد ورد حث كثير على تكثير النسل خلافاً لهوس العصر المطالب بتحديد النسل ففي الرواية الصحيحة عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم غداً في القيامة حتى أن السقط يجيء محبباً على باب الجنة فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: لا حتى يدخل أبواي الجنة قبلي)^(٢) وفي الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (ما يمنع المؤمن أن يتخذ أهلاً

(١) من حديث سماحة الشيخ العقوبي (مد ظله) مع حشد من أبناء محافظة البصرة ومدينة الصدر ببغداد بحضور عدد من الكتاب والمثقفين وأساتذة جامعات البصرة وبغداد والنهرين يوم الخميس ١/ صفر المظفر ١٤٣٢/ الموافق ١٠/١١/٢٠١١.

(٢) وسائل الشيعة: كتاب النكاح، أبواب مقدمات النكاح وآدابه، باب ١، ح ٢.

لعل الله يرزقه نسمة تثقل الأرض بلاإله إلا الله^(١) وقد عُرف عني القول بأن من أراد أن يدخل السرور على قلب رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليّ عليه السلام فليتزوج ولينجب أربعة على الأقل ويحسن تربيتهم ليكون ملياً دعوة رسول الله ﷺ بالإكثار من النسل.

الاهتمام النوعي بالتنمية:

وأما التنمية على صعيد النوع فقد اهتم به المعصومون عليهم السلام أيضاً وتابعوا مراحلها من قبل تكون نطفة الإنسان باختيار الزوجة الصالحة والمنبت الطيب للنسل ووردت في ذلك روايات كثيرة كالرواية التي وردت عن الامام الصادق عليه السلام قال: (قال النبي ﷺ: اختاروا لنطفكم فإن الخال احد الضجيعين)^(٢) وروايته الأخرى قال: (قام النبي ﷺ خطيباً فقال: أيها الناس إياكم وخضراء الدمن قيل: يا رسول الله ﷺ وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في منبت السوء)^(٣).

التنمية في كل الاتجاهات:

ثم تتابع الروايات النصائح والتوجيهات في مراحل تكون النطفة والحمل والولادة والتربية إلى أن يصبح إنساناً بالغاً رشيداً صالحاً ينتفع به أبواه والمجتمع عموماً.

(١) وسائل الشيعة: كتاب النكاح، أبواب مقدمات النكاح وآدابه، باب ١، ح ٣.

(٢) وسائل الشيعة، كتاب النكاح، ابواب مقدمات النكاح وآدابه، باب ١٣، ح ٢.

(٣) وسائل الشيعة، كتاب النكاح، ابواب مقدمات النكاح وآدابه، باب ١٣، ح ٤.

وعلى صعيد تنمية المجتمع وجعله كياناً قوياً متماسكاً متحاباً يتعاطى أفرادَه بإيجابية فيما بينهم ومع الآخرين فقد حفل كتاب (آداب العشرة) من كتاب وسائل الشيعة وغيره بالمئات من الأحاديث الشريفة. وعلى صعيد تنمية الحياة بإعمارها وتقدمها وجعلها مرفهة سعيدة متمدنة فقد حث أهل البيت عليهم السلام على كل ما يساهم في بناء ذلك ويشيد مقوماتها وبنيتها التحتية وعلى رأسها طلب العلم والمعرفة والتزود بكل أسباب القوة والمنعة والتقدم والرفاه، وقد جمعت الأحاديث في كتب خاصة بعنوان (كتاب العقل) و(كتاب العلم) من أصول الكافي وغيرها، وقد أكد القرآن الكريم على أن وظيفة الإنسان في هذه الأرض إعمارها قال تعالى [هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا] (هود: ٦١) وقال تعالى [وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ] (الأنفال: ٦٠).

التنمية البشرية بين الإسلام والغرب:

لقد أدرك الغرب تأثير هذه التوجهات في عقل المسلم ودفعه إلى تكثير النسل لذا بدأوا يطلقون صرخات التحذير وطلب الاستيقاظ للعالم الغربي وخصوصاً المسيحي ليصحو ويلتفت إلى هذا الخطر!! وبين يدي تقرير أمريكي صدر عام ٢٠٠٨ شعاره (لقد تغير العالم، حان الوقت لكي نستيقظ) وجاء فيه (الإسلام هو أسرع وأكثر دين انتشاراً) (العالم الذي نعيش فيه لن يكون نفسه العالم الذي سيعيش فيه أبنائنا وأحفادنا) (الكنيسة الكاثوليكية صرحت مؤخراً: إن عدد المسلمين تجاوز الحدود، الدراسات تبين أنه إذا حافظ الإسلام على معدل انتشاره الحالي فإنه في خلال ٥ إلى ٧

أعوام سيكون الإسلام الدين الحاكم في العالم كله) وهم يحذرون من هذه الحقائق ويدعون الأمريكيان للتصرف بسرعة.

ويبين التقرير بالأرقام تخلف التكاثر السكاني في دول الغرب عن أقل معدل المطلوب لبقاء أي حضارة لربع قرن وهو معدل (١١،٢ طفلاً) لكل عائلة بينما معدل التكاثر في عموم أوروبا ١،٣٨ وفي الولايات المتحدة ١،٦ وان عدد المسلمين في تزايد هناك سواء عن طريق الهجرة أو ارتفاع معدل تكاثرهم، (وانه خلال (٣٩) عاماً فقط سوف تصبح فرنسا جمهورية إسلامية!) (وفي جنوبها وهي واحدة من أكثر الأماكن المزدهمة بالكنائس في العالم تحتوي الآن على مساجد أكثر من الكنائس) (الحكومة الألمانية كانت أول من تحدث عن هذا الموضوع علانية صرحت مؤخراً: ((النقص في التعداد السكاني الألماني لا يمكن إيقافه الآن لقد خرج الأمر عن السيطرة ستكون ألمانيا دولة إسلامية مع حلول عام ٢٠٥٠)).

أقول: قد يكون في بعض هذه التوقعات مبالغة لأجل إيقاظ عالمهم لكنه يتضمن الكثير من الحقائق المهمة ومنها أنه إذا التزم المسلمون بالتوجيهات النبوية الشريفة فإنهم سيفتحون العالم بهدوء وبحركة بيضاء - كما يقال - وهذا يقدم لنا فهماً لما ندعو به دوماً لإمامنا المنتظر (أرواحنا له الفداء) (حتى تسكنه أرضك طوعاً)^(١).

مسؤوليتنا اليوم:

(١) البحار: ج ٩٤ ص ٣٩٤.

إن هذا الذي ذكرناه يضع لنا برامج عملية عديدة ويجعلنا أمام عدة مسؤوليات منها:

١- الحث على التزويج وتيسير أمره للجميع وكثرة الإنجاب بحيث لا يقل عن أربعة للأسرة وأن يحسنوا تربيتهم وإعدادهم لصناعة الحياة السعيدة، وهذه الدعوة تشمل من هم داخل البلاد الإسلامية والمقيمين في بلاد المهجر.

٢- إن الإسلام ينتشر بقوة وبسرعة ويشهد إقبالاً واسعاً وما علينا إلا إيصال صوته إلى العالم كما قال الإمام عليه السلام (فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا)^(١) وعلى المسلمين وخصوصاً شيعة أهل البيت عليهم السلام أن لا يرتكبوا ما يشين وان لا يتدعوا من أنفسهم أفعالاً بحجة الترويج للدين والمذهب كالتطير ونحوه مما منعنا منه^(٢) فإن الإسلام الناصح النقي لا يحتاج إلى مثل هذه الأمور التي تضر ولا تنفع، وليرجعوا في أمورهم خصوصاً التي تتعلق بالمواقف العامة إلى الفقيه الذي وصفه الحديث الشريف (العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس)^(٣).

٣- إن الالتفات إلى الواقع الفاسد يشكل حافزاً للتحرك نحو الإصلاح والتغيير أداءً لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن استشراف المستقبل ووعي متطلباته يشكل حافزاً أكبر وأوسع للعمل

(١) الوافي: ج ١ ص ٢١٥.

(٢) للتفصيل راجع: خطاب المرحلة: ج ٦ ص ٤٢٨.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٢٧.

الإيجابي، فلا نكرّس كل همنا وشغلنا لتشخيص المشاكل الآتية ومعالجتها وإن كان هذا واجباً عظيماً إلا أنه لا ينبغي إغفال الحافز الآخر.

٤- أن يقوم المسلمون في الغرب بكل عمل ينشر الإسلام ويعرّفه للآخرين ويحبّبه إلى الناس.

إن القيام بالمسؤوليات أعلاه يعجّل بالظهور الميمون المبارك ويفتح العالم سلماً ويسلم الأرض طوعاً إلى الإمام المنتظر (عجل الله فرجه) ويمهد لدولته المباركة.

تنمية النسل بين الفكر الإسلام والغرب الإمام الكاظم عليه السلام نموذجاً^(١)

استحباب تكثير النسل:

توجد ظواهر عديدة ملفتة للنظر في حياة الإمام الكاظم عليه السلام منها كثرة ذريته حتى عدت له المصادر سبعة وثلاثين ولداً من الذكور والإناث^(٢) من زوجاتٍ شتى كلهن أمهات ولد أي من الجواري اللواتي كان الإمام يشتريهن ويعتقهن ثم يتزوج بهن، هذا رغم قصر عمره الذي لم يمتد أكثر من ٥٥ عاماً قضى شطراً كبيراً منها في سجون الملوك العباسيين تجاوزت عشر سنين.

وهذه الظاهرة - أي تكثير النسل - يكفي في فهم مبرراتها استحبابها شرعاً وتوجد أحاديث كثيرة للحث عليها، كرواية الإمام الصادق عليه السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تزوجوا فإنني مكاثرٌ بكم الأمم غداً في القيامة حتى أن السقط يقف محببناً على باب الجنة فيقال له: ادخل، فيقول: لا حتى يدخل أبواي قبلي)^(٣).

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (ميراث الله من عبده المؤمن

(١) كلمة ألفت من قناة النعيم الفضائية بمناسبة ذكرى استشهاد الإمام الكاظم عليه السلام في

رجب / ١٤٣٤ المصادف حزيران ٢٠١٣.

(٢) أنظر: الإرشاد: ص ٣٠٢.

(٣) وسائل الشيعة باب النكاح، أبواب أحكام الأولاد، باب ١ ح ١٤.

الولد الصالح يستغفر له)^(١).

وروى أحد أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام قال: (كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام: إني أحببت طلب الولد منذ خمس سنين، وذلك أن أهلي كرهت ذلك وقالت: إنه يشتد عليّ تربيتهم لقلّة الشيء، فما ترى؟ فكتب إليّ: اطلب الولد فإنّ الله رازقهم)^(٢).

وفي حديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (إنّ أولاد المسلمين موسومون عند الله شافع ومشفع، فإذا بلغوا اثنتي عشر سنة كتبت لهم الحسنات فإذا بلغوا الحلم كتبت عليهم السيئات)^(٣).

وفي حديث عن الرضا عليه السلام: (أما علمت أن الولدان تحت العرش يستغفرون لأبائهم، يحضنهم إبراهيم وتربّيهم سارة في جبل من مسك وعنبر وزعفران)^(٤).

الوجه في تفسير كثرة الزوجات عند المعصومين عليهم السلام:

ولعل هذا أحد الوجوه التي تفسّر اقدام المعصومين عليهم السلام على تكثير الزوجات حتّى بلغت عند النبي صلى الله عليه وآله تسعاً وعند أمير المؤمنين عليه السلام ثمان، وإنّما سُمّيت الزهراء عليها السلام بالكوثر لأنّ الله تعالى أكثر ذريّة رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) المصدر، باب ٢، ح ٦.

(٢) المصدر، باب ٣، ح ١.

(٣) المصدر، باب ١، ح ١.

(٤) المصدر، أبواب مقدمات النكاح، باب ١٦، ح ٢.

منها، واستشهدت وهي في الثامنة عشرة من عمرها ولها الحسن والحسين والعقيلة زينب (صلوات الله عليهم أجمعين) وأسقطت المحسن، فالإمام الكاظم عليه السلام جرى على سنة أجداده الطاهرين وهو أولى الناس بهم.

ويضاف إلى هذا الوجه العام وجه خاص وهو وجود عدة شواهد تشير إلى خطة استراتيجية وضعها الأئمة المعصومون عليهم السلام وساروا عليها تستهدف تكثير نسل آل أبي طالب بعد واقعة كربلاء رداً على سياسة الاستئصال والاجتثاث التي اتبعتها معهم أعداءهم تحت شعار (لا تبقوا لأهل هذا البيت من باقية) بحيث خلت بيوت بأكملها من الرجال كدور عقيل بن أبي طالب والعباس بن أمير المؤمنين وأخوته الذين استشهدوا جميعاً في كربلاء.

سئل الإمام السجاد عليه السلام عن سبب حنوه الزائد على آل عقيل فقال عليه السلام: (إني اذكر يومهم مع أبي عبد الله عليه السلام فأرق لهم) ^(١). ولما قدم له المختار أموالاً كثيرة بنى بها دور عقيل التي هدمها الأمويون ^(٢).

منهجية الإمام الكاظم عليه السلام في تكثير النسل:

فكان للإمام السجاد عليه السلام خمسة عشر ولداً بين ذكر وأنثى وتولّى عليه السلام تربية الولد الوحيد الذي تركه عمّه العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام وهو عبيد الله وزوجه بنته خديجة وجمع له معها ثلاث حرائر من بنات الأشراف

(١) كامل الزيارات: ١٠٧.

(٢) سيرة أهل البيت عليهم السلام للشيخ القرشي: ٢٠١ / ١٥.

يقصد بذلك تنمية نسل عمّه العباس^(١).

وكان الإمام الكاظم عليه السلام يقبل هدايا هارون العباسي ويقول: (والله لولا إني أرى من أزوجه بها من عزاب بني أبي طالب لثلاً ينقطع نسله ما قبلتها أبداً)^(٢).

هذه شواهد على السياسة الممنهجة أو الإستراتيجية التي خطط لها الإمام الكاظم عليه السلام ليحبط مشروع الأعداء في إنهاء هذا البيت الطاهر وأثمرت خطوات الإمام الكاظم عليه السلام عن هذا العدد الهائل من السادة الأشراف وفيهم الكثير من مراجع الدين والعلماء والقادة والمفكرين والصلحاء وأعلام الأمة.

مبررات تكثير النسل لشيعة أهل البيت عليهم السلام:

إنّ شيعة أهل البيت عليهم السلام مدعوون لبذل الوسع في تكثير النسل لعدّة مبررات منها:

١- الأخذ بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام وتلبية رغبتهم التي نقلتها الأحاديث الشريفة المتقدمة.

٢- إنّ فيها استجابة لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) (الأنفال/٢٤).

وفي الذريّة حياة مستمرة للإنسان حتّى يوم القيامة قال الشيخ

(١) بطل العلقمي للمظفر: ٣/ ٣٦٩.

(٢) الوسائل، كتاب التجارة، أبواب ما يكتب به، باب ٥١، ح ١١.

الصدوق في الفقيه (روي أنّ من مات بلا خلف فكأنّ لم يكن بين الناس، ومن مات وله خلف فكأنّه لم يمّت)^(١).

٣- الذرية مصدر لكثير من الطاعات للوالدين حتى بعد موتهم كحديث السقط الذي تقدم في الروايات الشريفة، وعن أمير المؤمنين عليه السلام في المرض يصيب الصبي، قال عليه السلام: (إنّه كفارة لوالديه)^(٢)، ويلخص النبي صلى الله عليه وآله بعض هذه الطاعات بقوله (إنّ ولد أحدكم إذا مات أُجر فيه، وإن بقي بعده استغفر له بعد موته)^(٣) والحديث النبوي المشهور (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا عن ثلاث) أحدها ولد صالح يدعو له^(٤).

وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال (إن الله ليرحم الرجل لشدة حبه لولده)^(٥).

وروى الإمام الصادق عليه السلام قال (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مرّ عيسى بن مريم عليه السلام بقبر يعذب صاحبه، ثم مرّ به من قابل فإذا هو لا يُعذب، فقال: يا ربّ مررت بهذا القبر عام أوّل وهو يعذب، ومررت به العام فإذا هو ليس يُعذب، فأوحى الله إليه أنه أدرك له ولد صالح فأصلح طريقاً، وآوى يتيماً

(١) الوسائل، كتاب النكاح، أبواب أحكام الأولاد، باب ١، ح ١٠.

(٢) المصدر باب ١ ح ١٢.

(٣) المصدر باب ١ ح ١٣.

(٤) انظر: مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٢٣٠.

(٥) الوسائل: كتاب النكاح، أبواب احكام الأولاد، باب ٢ ح ٧.

فلهذا غفرت له بما عمل ابنه^(١).

٤- إن اتباع أهل البيت عليهم السلام هم الجماعة الخيرة الطيبة التي اختارها الله تعالى لتحتضن ولاية أهل البيت عليهم السلام وتحافظ على الإسلام الأصيل فتكثيرهم اعزاز للدين والولاية وتثبيت لقيم الخير والإنسانية في هذه الأرض فالخير منهم مأمول والشر منهم مأمون، فهم كالشجرة الطيبة المثمرة التي تكون هي أولى بالتكثير.

٥- إن في تكثير الشيعة نصرة للإمام الموعود عليه السلام وتقوية لأركانها وتمهيداً لظهوره المبارك، تطبيقاً لقوله تعالى (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) (الأنفال/٦٠) وأعظم قوة نعدّها لنصرة الإمام عليه السلام هي هذا النسل المبارك لأنّ الموارد البشرية هي أعظم الموارد التي تحرص الدول على تحصيلها فاستكثروا منه ما استطعتم.

٦- إنّ الشيعة في المنطقة مستهدفون بحرب إبادة واجتثاث كما تشهد به الوقائع الجارية خصوصاً عندنا في العراق وقد فقدنا خلال العقود الأربعة الماضية أكثر من مليون ونصف المليون من الرجال الذين تزهو بهم الحياة في حروب عبثية وإعدامات ومقابر جماعية في عهد النظام المقبور ثمّ في المفخّخات والتفجيرات وأنواع آلات القتل والتدمير.

بأي عدد من الذرية يتحقق بتكثير النسل؟

وفي ضوء المعطيات المتقدمة لا يسع اتباع أهل البيت عليهم السلام السائرين

(١) المصدر باب ٢ ح ٥.

على نهجهم من الرجال والنساء إلا أن يبذلوا وسعهم في تحقيق هذه الغاية الشريفة والرغبة الأكيدة للمعصومين عليه السلام، ومهما قيل من مبررات للإكتفاء بواحد أو اثنين من الأبناء فإنها لا تصمد أمام هذه المعطيات، إلا أن يكون السبب خارجاً عن الاختيار كما لو جرى القضاء الإلهي بذلك، قال تعالى (وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا) (الشورى/ ٥٠) أو حصلت موانع صحيحة قاهرة ونحوها.

والسؤال الآن هو بأي عدد من الذرية يتحقق معنى تكثير النسل؟ والجواب إنه يتحقق بأربعة على الأقل، لأن الزوجين إذا أنجبا اثنين -ذكوراً او اناثاً- فإنهما لم يزيدا شيئاً فإن اثنين ولدا اثنين، ثمّ هما يحتاجان إلى واحد آخر لتعويض حالات النقص في المجتمع لأن كثيراً يموتون في عمر الطفولة أو الصبى أو الشباب قبل الزواج بالموت الطبيعي أو الحوادث كالتفجيرات وحوادث السير أو في الحروب ونحوها، أو يتزوجون ولكن لا ينجبون أو ينجبون دون العدد، فيحصل نقص في المعدل يسده انجاب الثالث، ويتحقق التكثير بالرابع، وكلما زاد على ذلك كان أفضل وأقرّ لعين رسول الله صلى الله عليه وآله.

184 الغرب وتقليل النسل:

لقد حاولت حكومات الغرب إقناع الشعوب بتحديد النسل وتقليله لكنهم أصيبوا بكارثة حيث بدأ عدد السكّان ينخفض وارتفع عدد المسنين في المجتمع، والجدل الآن دائر عندهم عن كيفية معالجة هذه المشكلة. واتبّعوا سياسة (التعقيم) في بلاد المسلمين قبل عقدين أو أكثر وفق

آليات معينة كشفت عنها بعض الوثائق السريّة المسرّبة وحدّدوا مدداً معيّنة حتى يثمر مشروعهم الشيطاني وسارت على هذا المنهج بعض الدول الإسلاميّة - كالجمهورية الإسلاميّة في إيران - حيث تبنت الحكومة^(١) في نهاية الثمانينات سياسة تقليل الإنجاب لمنع الانفجار السكاني - كما قيل - الذي أعتبر السبب في ارتفاع نسبة البطالة وانخفاض مستويات التعليم ونوعية المعيشة - بحسب التقرير - حيث أن معدل النمو تجاوز الذروة بما يقدر بـ ٣,٢٪ بعد انتصار الثورة الإسلاميّة وتشجيع الإمام الخميني الراحل (قدس) على كثرة الإنجاب لبناء جيش الـ ٢٠ مليون مسلم.

لكن بعد عشرين عاماً أظهرت الإحصاءات أن معدل عدد الأطفال المولودين لكل امرأة يصل إلى ١,٦ أي أقل من ٢,١ الذي يعتبر الحد الأدنى المطلوب في الدول الصناعيّة لتجنب الانخفاض في عدد السكان، لذا تحرّكت القيادات الإيرانيّة منذ العام الماضي للتشجيع على الإنجاب من جديد.

المباركة في تكثير النسل:

ونحن نعتقد أنّ تكثير النسل ليس السبب في ذلك لأنّه عملية مباركة مثمرة تعود بالازدهار على الفرد والمجتمع، وأنّ أقوى الموارد التي تمتلكها الدول هي الموارد البشرية، خذ الصين مثلاً فإنّ سكّانها تجاوز المليار ومئتي مليون، واقتصادها في نمو مضطرد أقلق الدول الصناعيّة الكبرى.

(١) المعلومات من تقرير نُشر على المواقع الإلكترونيّة بتاريخ ٢٢/٤/٢٠١٣.

والغريب أن الزوجين يبذلان كل ما عندهما من أجل تحصيل الولد، وقد يسافران إلى دول بعيدة لتحقيق ذلك، لكن من يرزقهما الله تعالى الولد يتوقفان عن إنجاب المزيد مراعاة لأوضاع معينة، كالوضع الاقتصادي والمعيشي، وقد تقدم في الرواية عن الإمام الكاظم عليه السلام عدم الإصغاء لمثل هذه المبررات، وقال تعالى (إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعِينَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) (النور/ ٣٢) والوارد في الروايات عكس ذلك فإن الرجل يُرزق إذا تزوج وأنجب، عن الإمام الصادق عليه السلام (الرزق مع النساء والعيال)، فتكثير الإنجاب أحد أسباب الرزق للفرد والازدهار للدولة، وتقليل الإنجاب لأجل تخفيف الأعباء الاقتصادية وغيرها تفكير خاطئ لدى الدولة والفرد على حد سواء.

منع الانجاب كقتل الإنسان:

إن المنع من الإنجاب سواء كان بالطرق الطبيعية أو بالعلاجات بلا مسوغ معقول ومقبول يتطابق بالنتيجة مع قتل الإنسان الموجود فكلاهما يحرم الأمة من هذا الوجود الذي جعله الله تعالى خليفته في أرضه قال تعالى (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ) (الإسراء/ ٣١) (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ) (الأنعام/ ١٥١).

إهمال تربية الأطفال قتل معنوي بحقهم:

ولا نغفل أيضاً عن قتل معنوي آخر من خلال إهمال تربية الأطفال تربية صالحة فيصبحوا أفراداً سيئين منحرفين وربما يتحولون إلى مجرمين

ويجلبون الشر للمجتمع، ومن أمثلتها أيضاً الهجرة إلى الغرب وعموم بلاد الكفر وتعريض الأبناء لتلك الضغوط والمغريات والشهوات فيتعدون عن الدين ويلتحقون بالمجتمعات الضالة فهذا كله قتل معنوي للإنسان على خلاف ما أراد الله تعالى ورسوله.

تعليمات الأئمة عليهم السلام لتكثير النسل:

ولأجل تحقيق الإنجاب لمن ليس عنده ذرية ولتكثير النسل فقد علم الأئمة عليهم السلام شيعتهم أعمالاً لعلها تكون سبباً لرزقهم بالأولاد منها:

١- رفع الصوت بالأذان في المنزل، روى هشام بن إبراهيم صاحب الإمام الرضا عليه السلام (أنه شكى إلى أبي الحسن عليه السلام سقمه وأنه لا يولد له فأمره أن يرفع صوته بالأذان في منزله، فقال: ففعلت، فأذهب الله عني سقمي وكثر ولدي) ^(١).

٢- الاستغفار، ففي الكافي شكى الأبرش الكليني إلى أبي جعفر - الباقر - عليه السلام أنه لا يولد له وقال له علمني شيئاً، فقال له: استغفر الله في كل يوم (أو) في كل ليلة مائة مرة فإن الله عز وجل يقول (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنِينَ) (نوح/ ١٠-١١-١٢) وفي رواية أخرى (فإن نسيته فاقضه) ^(٢).

٣- الدعاء، سواء بالنصوص المذكورة في القرآن الكريم أو كتب

(١) وسائل الشيعة، كتاب النكاح، أبواب احكام الأولاد، باب ١١ ح ١.

(٢) المصدر، باب ١٠ ح ١-٣.

الأدعية لطلب الولد كقوله تعالى (رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً) (آل عمران/ ٣٨) وقوله تعالى (رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ) (الفرقان/ ٧٤) وقوله تعالى (رَبِّ لَّا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ) (الأنبياء/ ٨٩) أو تدعو بأي شيء يعبر عما في قلبك.

٤- التوسل بالمعصومين (سلام الله عليهم) وتوجد حكايات موثوقة كثيرة لمؤمنين توسلوا إلى الله تعالى بالزهراء عليها السلام أو بالحسين عليه السلام أو بالإمام الرضا عليه السلام فتحقق مرادهم فيما طلبوا. هذا درس نستفيده من حياة الإمام الكاظم عليه السلام أحببنا بيانه لأن فيه إدخالاً للسور على النبي وآله الأطهار (صلوات الله عليهم أجمعين)، ولأنه يدلنا على تكليف مهم موجه إلينا فاعتبروا يا أولي الأبصار.

المبادئ الثابتة في السياسة^(١)

مصالح ثابتة أم مبادئ ثابتة؟

لا شك أن انشغالكم بالمسؤوليات العظيمة في هذه الفترة العصيبة من حياة الأمة توجب على الجميع مؤازرتكم ومساعدتكم بحسب ما نحسنه وما يرتبط بوظيفتنا، لذا رأيت من المناسب أن أقدم بين أيديكم هذه الأفكار التي تنجح عملكم بإذن الله تعالى.

اشتهر بين السياسيين قولهم (لا توجد عداوات ثابتة ولا صداقات ثابتة وإنما توجد مصالح ثابتة)، ونحن نقول توجد (مبادئ ثابتة)، والمصالح الحقيقية ليست هي التي نقررّها نحن وإنما التي تنسجم مع هذه المبادئ، وفي الحقيقة فإن الابتعاد عن هذه المبادئ هو الذي أدى بعلمائنا إلى الابتعاد عن العمل السياسي وإنشاء الأحزاب التي تعمل لإقناع الأمة بالإسلام فكراً ومنهج حياة، وإلا فإن مشروع تكوين الأحزاب والجماعات والتنظيمات ورد في القرآن الكريم [أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] (المجادلة: ٢٢) [وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ] (آل عمران: ١٠٤).

وقد أسس أمير المؤمنين عليه السلام أول حزب بالمعنى المتعارف وسمى

(١) تقرير الكلمة التي تحدث بها سماحة آية الله الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) في اجتماع الأمانة العامة لحزب الفضيلة الإسلامي في داره يوم الجمعة ٤ ربيع الثاني ١٤٢٦ المصادف ٢٠٠٥/٥/١٣، وبعثها برسالة إلى رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة ورئيس الجمعية الوطنية ونوابهم والوزراء وأعضاء الجمعية الوطنية المنتخبين.

أعضاءه (شرطة الخميس) وانضم إليه عيون أصحابه وعظماؤهم.
فالمشكلة إذن ليست في أصل تشكيل الأحزاب ولا ممارسة العمل
السياسي بل هي من صميم العمل الإسلامي، وإنما المشكلة في التطبيق
الذي ينحرف عن المبادئ الثابتة للعمل والأطر العامة التي تحدده.

المبادئ التي يراعيها الساسة:

فما هي المبادئ التي يجب أن يراعيها الساسة؟

سمو الهدف:

أولاً: سمو الهدف: بأن يكون هدفه ابتغاء رضوان الله تعالى في كل
جزئيات عمله فلا شيء يستحق أن يعمل من أجله إلا الله تبارك وتعالى، وما
عداه فهو زخرف وسراب لأنه زائل فلا قيمة له حيث تذهب لذته وتبقى
تبعته:

ألا كل شيء ما خلا الله باطلٌ وكل نعيم لا محالة زائلٌ^(١)
وحينما يعيش الإنسان هدفاً كبيراً فإنه تزداد همته وتقوى عزيمته
وتذوب عنده الكثير من الأمراض المعنوية كالحسد والتنافس على شيء
من الأمور الدنيوية وسيترفع عن الكثير من الأفعال التي يتلى بها غيره، وقد
وضع علماء الأخلاق امتحانات للنفس الإنسانية ليروا صدقها ونجاحها،
فمثلاً لكي يختبر الإنسان إخلاصه لينظر انه لو نافسه أحد على موقع وكان
الآخر أولى منه هل يتنازل عنه بكل رحابة صدر؟ وإذا قدّم أعمالاً جبارة

(١) من أشعار لبيد بن المغيرة، أنظر: مستدرک سفينة البحار: ج ٥ ص ٤٩٠.

ولم يذكره أحد وإنما بقي مجهولاً معتمداً عليه لا تذكره وسائل الإعلام فهل يتأذى من ذلك؟

إن المخلص يعلم أن عمله بعين الله تبارك وتعالى فلا يضيره أن يجهله أهل الأرض عكس الذي يستهدف حب الظهور والجاه والثناء والموقع ونحوها فإنه يسعى إليها [لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم] (آل عمران: ١٨٨) [قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا] (الكهف: ١٠٣-١٠٤).

عوامل لإخلاص العمل:

وتوجد عدة عوامل تساهم في تحقيق الإخلاص لله تبارك وتعالى عند الإنسان:

١- قوة القلب والشجاعة والإرادة الصلبة في اتخاذ الموقف وعدم الضعف أمام المغريات؛ لأن كثيراً ممن يطلبون غير الله ويعملون لغير الله يعلمون بعدم جدوى ذلك، إلا أنهم يضعفون أمام أهوائهم ونزواتهم ولو كانوا ذوي عزم لما خيروا بين أمرين إلا اختاروا أرضاهما لله تبارك وتعالى ومن هنا أشار القرآن الكريم إلى العزم في عدة موارد [فأصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل] (الأحقاف: ٣٥) [فَنَسِيَ وَكَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً] (طه: ١١٥).

٢- العلم والمعرفة فإن الإنسان كلما ازداد علماً ومعرفة بمصالح الأفعال -في الدنيا- كان أكثر اندفاعاً للقيام بها، وكلما كان اعرف

بمفاسدها كان أكثر اجتناباً لها وكذا على صعيد الآخرة أي العلم بالثواب والعقاب، فكل من العلمين يساهم في الدفع بالاتجاه الصحيح، فمثلاً نجد أن ملايين في الغرب اجتنبوا الخمر والتدخين اقتناعاً بإضرارهما ومفاسدهما فكيف إذا انضم إليها معرفة المصير في الآخرة.

٣- المستشار الناصح الذي لا يبخل بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة التي تزيد في الهدى وترد عن الردى وتسوق نحو الصلاح والسعادة، فجعل الله تبارك وتعالى أئمة هدية للأخ المؤمن هي النصيحة.

٤- لطف وتوفيق من الله تبارك وتعالى وهذا حاصل ابتداء لكن الإنسان بإخلاصه يستنزل المزيد ومن مظاهر هذا اللطف قوله تعالى [وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ] (الحجرات: ٧)، بعكس الشيطان والنفس الأمارة بالسوء اللذين يزينان المعصية [وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا] (النساء: ٦٠) [أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ] (الجاثية: ٢٣) [إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ] (يوسف: ٥٣).

وبهذه البصيرة التي يكشف بها الله لعبده حقائق الأمور يزداد المؤمنون إيماناً وتسليماً وتثبيتاً فينفر من حب الدنيا لأنه يرى حقيقتها عبارة عن جيفة تتنافس عليها الكلاب، ويرى المرأة التي تدعوا إلى المعصية على صورتها الباطنية الشوهاء فيبتعد عنها بلا تكلف كما حصل لنبي الله يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الغاية لا تبرر الوسيلة:

ثانياً: نظافة الوسائل: فنحن نرفض ما يقال (الغاية تبرر الوسيلة) ولا نكتفي بكون الهدف نبيلاً وإنما يجب أن تكون وسيلة الوصول إلى الهدف نظيفة، ولا قيمة للنتائج التي تحقق بوسائل لا إنسانية كما يفعل السياسيون عدا من التزم بالشريعة الإلهية، ولذا كان رسول الله ﷺ كلما بعث أميراً أو قائداً عسكرياً أو صاه بجملة وصايا رغم أنهم كانوا من الصحابة الذين عايشوه واستمعوا إلى الوحي والتنزيل فيقول لهم: (سيروا باسم الله و بالله و في سبيل الله و على ملة رسول الله و لا تغلوا و لا تمثّلوا و لا تغدروا و لا تقتلوا شيخاً فانياً و لا صبياً و لا امرأة و لا تقطعوا شجرة) ^(١) و نهى النبي ﷺ أن يحرق النخل أو أن يغرق بالماء أو أن يلقى السم في بلادهم أو أن يجهز على جريح لهم و أمر النبي ﷺ أن يعرض عليهم الإسلام أولاً [وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا] (الأنفال: ٦١) وغيرها من الوصايا ^(٢)، و كان يبادر إلى معالجة أي خطأ يقع فيه قاداته و يبرأ إلى الله مما يفعلون، كما تبرأ علناً من فعل أحد أمراء جيشه حينما قتل شخصاً تشهد الشهادتين فاعتقد الأمير أن إسلامه ليس حقيقياً وإنما كان خوفاً من السيف ^(٣).

الزهد في الدنيا:

ثالثاً: الترفع عن حب الدنيا: بكل أشكالها التي جمعتها الآية

(١) الوسائل: ج ١٥ ص ٥٨.

(٢) أنظر الوسائل: ج ١٥ ص ٥٩، ص ٧٣.

(٣) انظر: البحار: ج ٢٢ ص ٢١.

الشريفة [زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالنِّينِ وَالْفَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ] (آل عمران: ١٤) وهي مصاديق ذكرها القرآن ويمكن أن تنطبق العناوين على غيرها، ولعل أشدها فتكاً بدين الإنسان حب الجاه والموقع الذي يدفع بصاحبه إلى ارتكاب أقبح الجرائم من أجل نيله وهو أكثر المظاهر الدنيوية تشبثاً بقلب الإنسان حتى ورد في الحديث (آخر ما ينزع من قلوب الصديقين حب الجاه)، وقد نقل التأريخ جرائم كبرى بحق الإنسانية جمعاء كان دافعها هذا الداء الويل، لذا حذرنا الله تعالى والأنبياء والأئمة والصالحون من حب الدنيا ووصفوه بأنه رأس كل خطيئة ومنشأ كل رذيلة، وطريق معالجة هذا الداء نظرياً بالاستزادة من الموعظة والتذكير بالعاقبة والتعرف على النتائج القبيحة لمن آثر حب الدنيا [وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ] (النازعات: ٤٠-٤١)

وعلاجها عملياً بعدم الانسياق وراء بهرجة الدنيا وزخرفها مهما تجملت وأبدت محاسنها ومفاتها، وشيئاً فشيئاً يستطيع الإنسان أن يبني نفساً قوية لا تميل إلى شيء من هذا كله، يقول أمير المؤمنين عليه السلام (وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر)^(١).

أن لا يعيش الأنانية:

رابعاً: تذويب الأنانيات: سواء كانت الشخصية أي جعل المصلحة الشخصية فوق كل اعتبار أو الحزبية أو الطائفية أو العرقية أو أي شيء

(١) نهج البلاغة: الكتاب: ٤٥.

آخر، ولا يعني هذا أنك لا تعمل لقومك ولجماعتك فهذا مطلوب منك ولكن المرفوض هو التعصب الذي هو من سمات الجاهلية بحيث ترى شر قومك أفضل من خير الآخرين، فيستأثر المتعصب بالأمر له ولعصبته من حزب أو قبيلة أو قومية، ويقرب من ينتمي إليه وإن كان سيئاً فاسداً، ويقصي من لا ينتمي إليه وإن كان كفوءاً مخلصاً.

وهذه الأنانية هي التي توجب التشاجر والتقاطع والتنافس غير المحمود وتؤدي إلى القتال، فلا بد أن يكون الانتماء الذي لا يخلو منه إنسان- للحزب أو المدينة أو الطائفة أو القومية ذا دور بناء من دون الاعتداء على الآخرين أو غمط حقوقهم [ولا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ] (هود: ٨٥).

الرحمة والرفق:

خامساً: حب الناس والرحمة بهم والعمل من أجلهم وإفشاء العدل والسلام بينهم وإيصال حقوقهم، وهو الهدف الأسمى من بعثة الأنبياء وإنزال الشرائع السماوية [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ] (الأنبياء: ١٠٧) وفي عهد الإمام علي عليه السلام إلى مالك الأشر (وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللفظ بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتمم أكلمهم، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق)^(١).

وقد ضمت جوامع الحديث توصيات جمّة بهذا المجال حتى جعلت

(١) نهج البلاغة: الكتاب: ٥٣.

هذه الأعمال الإنسانية من قضاء حوائج الناس وإدخال السرور عليهم ورد لهفتهم والتفريج عن مكروبهم والتخفيف عن آلامهم وتحقيق أمانهم أفضل القربات إلى الله تبارك وتعالى وأكثر أجراً من العبادات الفردية كالصلاة والصوم، وفي بعض الروايات أن امرأة معروفة بالفسق والفجور دخلت الجنة في قطة عطشى سقتها ماءً.

فيجب أن يتحلى السياسي بقلب مملوء بالرحمة والعطف ويفيض بالعواطف الجياشة كما كان قلب رسول الله ﷺ وقادة الإسلام العظماء، أما قاسي القلب فلا نتوقع منه خيراً للرعية فلتجعل ضمن اختبارات الساسة والقادة هذا الحس المرهف والعاطفة الجياشة، كما نقل عن بعض القادة التاريخيين أنه عاقب أحد مساعديه لأنه سحق برجله وردة، والآخر حذرّ ممن لا يحب الموسيقى لأنها تعني أن عواطفه وأحاسيسه جامدة وإن كنا لا نحتاج إلى هذه الأمثلة لأننا في غنى عنها بما ورد في سيرة نبي الإسلام ﷺ والأئمة الهداة، فقد وبخ النبي ﷺ أحد أصحابه لأنه اصطاد عصفوراً لهواً وقال له: استعد للمساءلة يوم القيامة فإن العصفور سيخاصمك ويقول يا رب سل هذا لماذا قتلني وهو غير محتاج للحمي، وغيرها كثير مما لا يسعها هذا البيان المختصر.

الحوار وعدم تهमيش الآخر:

سادساً: الحوار والعمل المشترك مع كل من ترتبط به بقواسم مشتركة سواء أكانت دينية أو وطنية أو إنسانية فإنه ادعى لتحقيق الرفاه والسعادة وتجنب المشاكل والأخطار وحماية الأمة من الكوارث والويلات، والالتزام

بهذا الأسلوب ما وجد إليه سبيلاً فإنه يريح البال ويوفر الدعة والأمان والسلام للرعية ويوفر الفرصة للإعمار والبناء عكس لغة العنف والمواجهة والاحتراب.

الصراحة والشفافية:

سابعاً: الصراحة مع الأمة فقد تعود الساسة التضليل والدجل وخلط الأوراق والتعقيم على الحقيقة والتظاهر بغير ما هو الواقع، وهذا يولد انفصلاً بين القيادة والأمة وينزع الثقة منها، ويؤدي إلى تقاعس الأمة عن التفاعل مع مشاريعها وحركتها، بعكس الصراحة والشفافية فإن لها عدة ثمرات: زيادة الرابطة بين القيادة والأمة، عذر القيادة في حالة قصورها عن تحقيق كل أماني الأمة، زيادة وعي الناس السياسي، مشاركة الأمة في تحمل مسؤولية القرار، وغيرها.

وتجد هذا واضحاً في سيرة قادة الإسلام فإن النبي ﷺ صرح الذين خرجوا معه لاعتراض قافلة قريش أنها قد أفلتت وقد تعين عليهم خوض الحرب معهم، وصرح الحسين عليه السلام للخارجين معه من مكة إلى كربلاء أنه ليس ذاهباً لتسلم ملك أو سلطة بل أنه قادم على الموت، وغيرها من الشواهد.

وقد شهدت جماهيرنا حالة من التعقيم خلال الأشهر الثلاثة التي تلت الانتخابات⁽¹⁾ فتولد لها امتعاض شديد على الذين جازفت بحياتها من أجل

(1) هي المدة التي استغرقتها تقريباً مفاوضات تشكيل الحكومة الانتقالية برئاسة الدكتور الجعفري.

انتخابهم، وهذه حالة سلبية يجب على القادة تجنبها مع الاحتفاظ طبعاً بالأسرار التي لا يمكن إذاعتها.

ثامناً: أن القيمة العليا تعطى للإنسان ولحقوقه المشروعة ولا يجوز انتهاك حرمة لأي مبرر مهما كان مهماً عند أصحابه، قال تعالى [وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً] (الإسراء: ٧٠) وما أنزلت الشرائع وبعث الأنبياء إلا لتنظيم حياة هذا الإنسان وتوفير السعادة له، وعلى هذا فيجب احترام إرادة الإنسان وحقوقه، ولا يجوز سوقه كرهاً باتجاه إشباع نزوات الحاكم وأهوائه وأطماعه الجنونية، لذا اتجهت الدول المتحضرة إلى كتابة الدساتير التي تضمن حقوق الإنسان وتبين صلاحيات السلطة لتحديد من الطموحات غير المشروعة للحكام.

تاسعاً: المصدقية ومطابقة القول للفعل، قال تعالى [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ] (الصف: ٢-٣) فلا بد لكل إنسان وخصوصاً السياسي الذي يتصدى لقيادة الأمة، أن يكون صادقاً مع نفسه وصادقاً مع ربه وصادقاً مع الآخرين، وأسوأ الخيانة خيانة الأمة وأفظع الغش غش الأئمة إلى درجة يقول أمير المؤمنين بعد أربع سنوات قضاها في الكوفة رئيساً لدولة مترامية الأطراف (لو خرجت منكم بغير القطيفة التي جئتكم بها من المدينة لكنت لكم خائناً)^(١).

هذه إشارة مختصرة بمقدار ما تتسع له المناسبة وتوجد تفاصيل كثيرة

(١) أنظر نحوه في: الكامل في التاريخ: ج ٣ ص ٣٩٩.

لهذه النقاط في كتاب (دور الأئمة في الحياة الإسلامية) المطبوع وسلسلة محاضرات (الأسوة الحسنة في بناء الذات وإصلاح المجتمع) وهي دراسة تحليلية في أعظم وأغنى قيادة إنسانية وهي قيادة رسول الله ﷺ.

الأسس النظرية للتنظيمات السياسية الإسلامية الأدوار النظرية الإسلامية في مقابل الفكر الغربي^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد
جاءت رسل ربنا بالحق..

السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أصحاب الحسين
وعلى أنصار الحسين والشهداء بين يديه.

كثرت التساؤلات عن حزب الفضيلة الإسلامي، متى تأسس ولماذا
وما هي أهدافه وبرنامجه وعمله ومدى ارتباطه بالمرجعية، والتزامه بمواقفها
وما هي أسسه النظرية وغيرها مما سيتضح بإذن الله تعالى، وقد وجدت
حفلكم المبارك هذا فرصة مناسبة للإجابة عن هذه التساؤلات بعد التمهيد
بعدة مقدمات مختصرة:

الدعوة إلى تنظيم أمر الأمة:

الأولى: إن تنظيم أمر الأمة في التشكيلات المؤسساتية التي تعتمد
العمل المجموعي لا الفردي ضرورة اجتماعية يملها تشعب الحاجات
الإنسانية وتنوعها واحتياجها إلى التخصص من دون استغناء أحدها عن

(١) كلمة ألقاها جناب السيد كمال الموسوي بالنيابة عن سماحة آية الله الشيخ محمد

اليعقوبي في حفل افتتاح فرع البصرة لحزب الفضيلة الإسلامي بتاريخ ١٥ محرم ١٤٢٥

المصادف ٢٠٠٤/٣/٧.

الآخر، فلا بد من انضمام الجهود بعضها إلى البعض في خلية واحدة ليتكامل العطاء وينضج ويكون فاعلاً ومؤثراً ومثمراً.

وقد حث القرآن الكريم على مثل هذا العمل المنظم ودعا إلى تشكيل الجماعات، قال تعالى [وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ] (آل عمران: ١٠٤) وهذه الأمة التي يراد لها تحمل المسؤولية لها خصوصياتها وشروطها وأهدافها التي تسعى لتحقيقها، وقد بينتها آيات قرآنية عديدة.

وأوصى أمير المؤمنين عليه السلام في بعض كلماته بتقوى الله تبارك وتعالى ونظم أمر الأمة^(١).

وهذه الضرورة تأكدت في المرحلة الراهنة لأن طبيعة العمل تقتضيها.

المعاني الإيجابية من حركة الأحزاب الإسلامية:

الثانية: إن العمل ضمن الإطار الحزبي يكون إيجابياً إذا كان نظيفاً في سلوكه وأهدافه أي من حيث النظرية والتطبيق، بأن ينظر إلى الحزب على أنه قناة أو آلية للعمل البناء في سبيل الوصول إلى الأهداف الصحيحة، لكنه أحياناً يقترن بالأخطاء حينما تنزل النظرية إلى حيز التطبيق، كما أن خلافاً ما قد يحصل في فهم النظرية أو برنامج العمل بسبب القصور أو التقصير في فهم مصادر التشريع وكيفية استفادة الأحكام منها.

وهذا أحد الأسباب التي دعت عدداً من العلماء (قدس الله أسرارهم) إلى اتخاذ مواقف سلبية من الأحزاب، فالاعتراض ليس على أصل التشكيل

(١) نهج البلاغة: ج ٣ ص ٧٦.

وإنما على الانحراف في الفهم والتطبيق.

مشكلة الأنانية:

ثم إن انحرافاً آخر كثيراً ما يقترن بالعمل الحزبي وهو ظهور (الأنا) الحزبية فقبل أن ينتهي من العمل على تذويب الأنا الشخصية لمصلحة المبادئ العليا تراه يسقط في أنانية جديدة هي التعصب للحزب، وقد عرف الإمام السجاد عليه السلام العصبية، فقال: (العصبية التي يأثم عليها صاحبها ان يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه، ولكن من العصبية أن يعين الرجل قومه على الظلم)^(١)، وهذه العصبية هي التي تؤدي إلى التقاطع والتناحر والعداوات وما يستلزم ذلك من محرمات كبيرة كالافتراء والبهتان والكذب والغيبة والإساءة إلى المؤمنين وتشويه سمعتهم فلا يبقى لله تبارك وتعالى أي نصيب في العمل وإن حاول الحزبي المتعصب إقناع نفسه بغير ذلك.

فلنجعل دعاء الإمام الحسين عليه السلام نصب أعيننا دائماً (إلهي خسرت صفقة عبد لم تجعل له فيها من حبك نصيباً)^(٢)، والأحزاب مبتلاة بهذا الداء فإنها تكافح من أجل أن تدفع بعناصرها إلى الواجهة وإن حصل لها العلم بوجود عناصر أفضل وأقدر على تحمل المسؤولية من الآخرين فإذا أردنا أن نلتزم بقوله تعالى [فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ] (هود: ١٢١) فإن الاستقامة تقتضي التجرد عن الأنانية والتعصب مع الاحتفاظ بالقناعة

(١) الوسائل: ج ١٥ ص ٣٧٣.

(٢) أنظر مفاتيح الجنان: دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة.

والأسلوب والنظرية اللتين تطمئن بسلامتها ونظافتها.

نظام الحكم في الإسلام هو ولاية الفقيه:

الثالثة: إن نظام الحكم في الإسلام يبتني على ولاية الفقيه الجامع للشرائط من الاجتهاد والعدالة والكفاءة فهو قمة الهرم في القرار وإليه ترجع السلطات، وله مستشارون يرجع إليهم في التعرف على حقيقة القضايا المعروضة واستنباط الأحكام الشرعية المنطبقة عليها، وتهيئة مقدمات القرار له، ويستمد مشروعيته من نيابته للإمام المنتظر عليه السلام التي لا يستحقها إلا بعد توفر ملكات وخصائص وصفات، وبعد شهادة أهل الخبرة في هذا المجال باجتماع الشروط فيه، وينزع عنه هذا القميص متى ابتعد عن هذه الشروط وزلت أقدامه والعياذ بالله، قال الإمام الصادق عليه السلام: (إذا رأيتم العالم محبباً لديناه فاتهموه على دينكم)^(١). وكذا إذا فقد الأهلية للقيام بمسؤوليات هذا الموقع المشرف.

موانع تطبيق نظام ولاية الفقيه:

وبالرغم من أن الحجة الشرعية قائمة على صحة هذا النظام، إلا أن موانع عديدة تحول الآن عن السعي لتحقيقه على أرض الواقع، ومنها باختصار:

١- ديمغرافية الشعب العراقي وتكوّنه من قوميات وأديان وطوائف بعيدة عن هذا النظام وترفضه.

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٦.

- ٢- شهرة القول بعدم ولاية الفقيه في أروقة الحوزة العلمية في النجف الأشرف وعند مرجعياتها، وسعة قواعد هذه المرجعيات.
- ٣- تشتت مراكز القرار وعدم وجود قيادة دينية يلتف حولها الأكثر. وغيرها من الأسباب.

الخيار الاضطراري في الحكم في الإسلام:

لذا فإن الخيار الأقرب للشرعية هو أن يقوم الشعب بقيادة نفسه بنفسه وفق الآليات الديمقراطية المعمول بها ومنها: إجراء الانتخابات لاختيار ثلثة تقوم بإدارة البلد، على أن يرجعوا في أمورهم الى توجيهات القيادة الدينية الواعية المخلصة.

ومستند هذه الشرعية تفويض الناخبين لهذه الثلثة باعتبار أن الأصل عدم ولاية أحد على أحد إلا إذا فوضه بذلك ولكن مشروعيته تبقى مقيدة بحدود الشريعة الإلهية ولا يحق مخالفتها؛ لأن الحاكمة لله تبارك وتعالى وحده، وهو المصدر الوحيد للتشريع [فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا] (الحجرات: ١٤).

فحينما نطالب بالانتخابات لإدارة العملية السياسية فلا بد أن نلتفت إلى هذه الحقيقة المهمة بأن هذه الطريقة ليست هي القاعدة في حكم الأمة المسلمة، وإنما هي الاستثناء الذي يلجأ إليه عند وجود المانع من إجراء القاعدة، كأكل الميتة الذي يحل عند الضرورة وحليته هذه لا تعني إن حكم الميتة ذلك بالعنوان الأولي بل بالعنوان الثانوي، وإدراك هذه

الحقيقة مهم وضروري نظرياً وعملياً؛ لكي لا تختلط علينا الأمور وتضيع معالم شخصيتنا وهويتنا الإسلامية العظيمة التي شيد أركانها أهل البيت عليهم السلام ونساق وراء الأطروحات الغربية البراقة، وحتى نبقي ملتزمين بأن الأصل في العمل السياسي هو طاعة المرجعية، وليس قرار الحزب.

الأحزاب الإسلامية ضرورة عصرية:

الرابعة: إن هذه النمط من العمل السياسي أعني التداول السلمي للسلطة عن طريق صناديق الاقتراع يتطلب أن يكون لأبناء الشعب واجهات أو عناوين تعبر عن آمالهم، وتطالب بحقوقهم وتسعى لتحقيق طموحاتهم وتدخل نيابة عنهم في كل تفاصيل العملية السياسية ابتداءً من المجالس البلدية إلى البرلمان والحكومة ورئاسة الجمهورية وقد تعدد هذه الواجهات بحسب تعدد الفئات بها.

الحاجة إلى حزب الفضيلة الإسلامي:

الخامسة: مع احترامنا الكبير للجهات السياسية التي تساهم بإخلاص في بناء عراق حر كريم، إلا أنها غير مستوعبة لتوجهات كل الشعب وحائزة على قناعاته فتوجد شرائح أخرى من المجتمع غير منتمية لها ولا يمكن تجاهلها وإهمال دورها في بناء العراق الجديد.

فمن هنا نشأت الحاجة إلى انبثاق حزب من هذه الشريحة يمثلها ويتحدث باسمها، إلا أنه لا ينغلق عليها بل هو منفتح لكل من يؤمن بأهدافه ويقتنع ببرنامجه عمله، ويكون دور هذا الحزب مكماً لفعاليات الجهات

الأخرى وسانداً لها وعاملاً معها لتحقيق الأهداف المشتركة، وليس بديلاً عنها ولا لاغياً لدورها أو مزاحماً لها، ويكون الجميع كالروافد التي تلتقي على نهر واحد، فنحن ننظر إلى الأحزاب والحركات المخلصة على أنها رؤى متعددة وآليات متعددة في العمل إلا إنها تصب في هدف واحد هو رضا الله تبارك وتعالى وصلاح الأمة وبناء البلد وعلى هذا الأساس فستكون العلاقة بينهم جميعاً متصفة بالتآلف والتآزر والتنسيق والتشاور.

هذه هي الحاجة لتشكيل حزب الفضيلة الإسلامي وهذه أسسه النظرية وعلاقته مع الآخرين، وقد سارعنا إلى جمع عدد من النخب المثقفة والكوادر المتخصصة في العمل السياسي والفكري والإداري والاجتماعي بعد سقوط الطاغية بأيام، وهم ممن تعرفنا عليهم وعملوا معنا قبل سقوط الطاغية بسنين، وكنا نعدهم لمثل هذه المرحلة ونأمل منهم وممن التحق بهم الخير.

الخطوط العريضة لعمل الأحزاب الإسلامية:

وقد وضعت لهم الخطوط العريضة لعملهم وأوضحت كل علاقتهم مع المرجعية الشريفة والمعالم العامة لأهدافهم التي لخصتها ما يلي:

١. نشر الفضيلة في المجتمع ومنع الفساد والانحراف.
٢. إيصال العناصر الكفوءة والنزيهة إلى المواقع المسؤولة في إدارة البلد على جميع المستويات.

٣. الارتقاء بمستوى الوعي والثقافة والعلم لدى أبناء المجتمع.

٤. تحقيق العدالة في الأمة واستقرار الأمن وإنعاش الوضع

الاقتصادي.

٥. الحفاظ على وحدة البلد وتركيبته الاجتماعية واستقلاله.

٦. توفير الحقوق والحريات لجميع فئات الشعب وطوائفه وأعراقه بما

لا ينافي الفقرات أعلاه.

٧. وضع دستور للبلد يضمن النقاط أعلاه ولا يتقاطع مع الشريعة.

٨. الحوار مع جميع التيارات الممثلة لفئات الشعب والانفتاح عليها.

٩. تنسيق المواقف تجاه القضايا العامة مع الأحزاب والحركات

الإسلامية.

الفضيلة عنواناً للبديل الحضاري:

إن اختيار (الفضيلة) عنواناً له جاء منسجماً مع أهدافه وطبيعة الصراع الجاري في هذه المرحلة، فإن الحكومات الغربية وعلى رأسها الإدارة الأمريكية جاءت إلى هنا لتنفيذ المشروع الذي وضعته لتغيير المعالم الثقافية والأخلاقية والعقائدية والسلوكية وإلحاقها بالنموذج الغربي الذي نختلف معه في أسسه الحضارية ومنطلقاته الفكرية وأهدافه وغاياته، وقد اعترفوا بأنهم جاءوا ليخوضوا (صراع حضارات) وماذا تعني حضارتهم بغض النظر عن التطور العلمي والتكنولوجي. غير الظلم والفساد والانحراف والرذيلة حتى باتوا يئنون من ويلاتها وآلامها وغرقوا في رعب وخوف من مصيرهم المشؤوم الذي سيحل بهم عن قريب، فمرض الأيدز يفتك بحياة (٨) ملايين سنوياً وعجزوا عن الحد من استفحاله فضلاً عن مقاومته والقضاء عليه.

أما حضارتنا فيمكن تلخيصها بالفضيلة في العقيدة والسلوك والأخلاق.

ولكي لا أطيل عليكم فأني أحيلكم لمعرفة تفاصيل هذه الأفكار وغيرها إلى عدة من إصداراتنا ككتاب (نحن والغرب) الذي يصور الصراع بين الإسلام والغرب وما هو تكليفنا فيه، وكتاب (خطاب المرحلة) بأجزائه لزيادة الوعي باستحقاقات هذه المرحلة.

وقد اشتركت كوادر الحزب مع فضلاء الحوزة العلمية بإشراف المرجعية في تقديم أعمال ناضجة كمشروع الحل السياسي للمرحلة الانتقالية الذي أنجز قبل تأسيس مجلس الحكم، وهو مشروع مفصل يقدم الحل عبر مراحل تضمنت خطوات العمل حتى توقيتات هذه المرحلة، وكان يمكنه لو أخذ به أن يعجل بتصحيح الوضع السياسي القائم إلا أنهم بعد عدة أشهر من المعاناة والخسائر أخذوا ببعضه وافرغوا البعض الآخر من محتواه باتفاق ١٥ تشرين الثاني.

واشتركت هذه النخبة أيضاً في إجراء استطلاع للرأي حول عدد من القضايا السياسية المهمة تضمن (١٩) سؤالاً مع مقدمات تعريفية بالأفكار المستفتى عنها. نسأل الله تعالى أن يزيد بصيرتكم ويسدد خطاكم ويخلص نياتكم ويؤيدكم بنصرة ويؤلف قلوبكم ويجري الخير على أيديكم إنه نعم المولى ونعم النصير.

أمير المؤمنين عليه السلام ومكر طلاب الزعامات^(١)

عالم متهتك:

كان من أقوى الأسلحة التي فتكت بجيش أمير المؤمنين عليه السلام ومجمعه وأوهنت دولته وأضعفتها هو مكر الاعداء وخدعهم حتى عبّر عنه بقاصم الظهر قال عليه السلام: (ما قصم ظهري إلا رجلان: عالم متهتك وجاهل متنسك، هذا ينفر عن حقه بهتكه، وهذا يدعو الى باطله بنسكه)^(٢) ومحل الشاهد هو الاول وهو الذي عنده علم وفكر وفطنة إلا انه يستخدمها في المكر وخداع الناس وإبعادهم عن الحق.

أمير المؤمنين عليه السلام ومواجهته لألوان المكر:

وقد واجه الإمام عليه السلام ألوان المكر والخداع من اول لحظة لتحملّه مسؤولية الإمامة وقيادة الأمة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله عندما نفى زعماء الانقلاب موت رسول الله صلى الله عليه وآله وهددوا بالقتل كل من يقول بذلك حتى لا تتوجه الأمة الى الخليفة الشرعي وليكسبوا الوقت حتى يعدّوا العدة ويهيئوا الأمور لمن يريدون وهذا ما حصل، وقد تناولته في خطاب سابق.

209

والى أيام خلافته وتصديّه لشؤون الأمة حين واجه العتاة والدهاة والماكرين كمعاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة كخدعة رفع

(١) الخطبة الثانية التي ألقاها سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله

الشريف) لصلاة عيد الفطر السعيد يوم الجمعة عام ١٤٣٤ الموافق ٩/آب/٢٠١٣ م.

(٢) غرر الحكم/٩٦٦٥.

المصاحف في معركة صفين التي شقت جيش الإمام عليه السلام فنشأت فرقة الخوارج، وكان عليه السلام يلام على انه ليس بمستوى دهائهم وانه غير مؤهل لقيادة الدولة لان الدهاء والخداع من مقومات السياسة وتدير السلطة، فيتأسف عليه السلام لهذه الانتكاسة في الأمة وانقلاب الموازين في تصوراتها، قال عليه السلام: (ولقد أصبحنا في زمانٍ قد اتخذ أكثر أهله الغدر كَيْساً - أي الفطنة والذكاء -، ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة، ما لهم - قاتلهم الله - قد يرى الحوّل القلْب - وهو البصير بتحوّلات الأمور وتقليبها - وجه الحيلة، ودونها مانع من أمر الله ونهيه، فيدعها رأي عين بعد القدرة عليها، وينتهاز فرصتها من لا حريجة له في الدين)^(١) فيصف نفسه بأنه عارف بالأمور ووجوهها وعواقبها ويعرف كيف يحقق مراده ويصل الى مطلوبة لكن كثيراً من تلك الوسائل مخالفة لأوامر الله تعالى، فيتركها لله تعالى وهو قادر عليها، لكن خصومه لا يتورعون في دينهم وليس عندهم تقوى تحدّد له بوصلة سلوكهم فيقتحمون تلك الوسائل الشيطانية.

سياسة المبادئ وسياسة المكر في نظر أمير المؤمنين عليه السلام:

ومن كلام له عليه السلام في نفس السياق قال عليه السلام: (والله ما معاوية بأدهى منّي، ولكنه يغدرُ ويفجّرُ. ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس. ولكن كلّ غدره فجرة وكلّ فجرة كفره، ولكلّ غادرٍ لواءٌ يُعرف به يوم

(١) نهج البلاغة: ١١٥ الخطبة (٤١).

القيامة . والله ما أُستغفل بالمكيدة ولا أُستغمز بالشديدة^(١) .

فالإمام عليه السلام وإن كان لا يستعمل الدهاء والمكر لأن فيه سخط الله تعالى إلا ان ذلك لا يعني أنه مغفل تنظلي عليه المكائد ولا يلتفت إليها، ولا انه ممن يضغط عليه ويستضعف بالقوة ليغير مبادئه التي يؤمن بها .

ويعلل الإمام عليه السلام في الخطبة السابقة سبب رفضه لتلك السياسات بقوله (ولا يغدر من علم كيف المرجع)^(٢) أي أن من علم أن مآل الأنسان إلى الموت والدنيا إلى الفناء ثم يحشر ليحاسب على أعماله فانه لا يقدم على ما يضره في اخرته.

أساليب من السياسات الماكرة:

وهذا التباين الذي ذكره الإمام عليه السلام بين سياسته وسياسة خصومه يمثل المفارقة الدائمة بين المنهجين ولا يختص بزمان دون زمان حتى زماننا الحاضر، واليكم بعض الأساليب الماكرة التي تدبر اليوم لخداع الشعوب والسيطرة عليها والتحكم فيها وسوقها الى ما يريد الحكام:

١- ما يسمى بالمصطلح (ركوب الموجة) بان يستغل السياسيون مطالب حقيقية ومشروعة للشعب فينادي بها لكسب الجماهير اليه والتقوي بهم للضغط على خصومه لتحصيل مكاسب اكبر سواء كانوا داخل الحكومة او خارجها، كمطلب تحسين الخدمات وإيجاد وظائف للعاطلين

(١) نهج البلاغة : ٤٣٢ الخطبة (١٩٨).

(٢) نهج البلاغة: الخطبة: ٤١.

او معالجة الخروقات الأمنية او الغاء الرواتب التقاعدية الباهظة للبرلمانيين وأمثالهم وهي مطالب مشروعة تؤيدها وندعمها لكن جهات شبابية مجهولة تحاول تحريك الناس تحت عنوان هذه المطالب لأغراض معينة على راسها السيطرة على توجيه المجتمع والتحكم بحركته وانتزاع قيادته لتكون بيد جهات خفية تعمل على مواقع التواصل الاجتماعي وبدعم داخلي وخارجي مالياً واعلامياً وسياسياً وليضغطوا بذلك على الجهات الفاعلة على الارض حتى تسير في ركابهم.

٢- الهاء الشعوب بالألعاب والمتع واللهو والعبث لأشغالهم عما يجري من فساد وظلم وطغيان وتحويل انتباههم الى اللهو واللعب بدلاً من القضايا الحيوية والاهداف الحقيقية والحركة الواعية البناءة الى ترفض ظلم وفساد اولئك الحكام، وهذه السياسة يسمونها (استراتيجية الالهاء)^(١) وتشمل سيلاً لا ينتهي من الالعاب والبطولات والمسابقات والمهرجانات ونحو ذلك.

٣- خلق المشاكل وافتعال الازمات لتمير سياسات معينة تكون مرفوضة في الوضع الطبيعي مثلاً يريدون تخفيض دعم السلع الاساسية او الضمان الاجتماعي او الخدمات العامة كالصحة والتعليم فيخلقون ازمات مالية ليقنعوا الشعب بضرورة اتخاذ هذه الاجراءات.

أو يريدون مثلاً وضع الشعب تحت المراقبة والتجسس عليه وجمع

(١) بعض هذه الكلمات لخصها أحد الاخوة الواعين من كتاب (أسلحة صامته لحروب هادئة) لعالم الاجتماع الأمريكي (افرام نعوم تشومسكي).

المعلومات التفصيلية عنه وتقييد حرياته وحر كته، او اعتقال وتصفية المعارضين، فيفتعلون مشكلة أمنية كتفجيرات مثلاً او اظهار اعترافات شبكة تجسس وهمية وهكذا مما يجعل اتخاذ تلك الاجراءات أمراً مقبولاً وتسمى هذه السياسة (ابتكر المشاكل ثم قدّم الحلول)

٤- استراتيجية التدرّج: باعتماد التدريجية في تطبيق التكتيكات حتى يصلوا الى النتيجة التي يريدونها ولو فعلوها مباشرة لأحدثت ضجة وثورة عارمة كبعض الاجراءات الاقتصادية والاجتماعية، وقد تطول المدة او تقصر بحسب أهمية القضية مثلاً يريدون تقليل الرواتب فيتركون حالة البطالة تزداد ويستقدمون عمالة اجنبية رخيصة فيرضى المواطن بأقل ما يمكن.

٥- استثارة العاطفة بدل الفكر لتعطيل حالة الوعي والتأمل والتحليل وتمييز ما هو عقلائي عن غيره فيفقد الإنسان قدرته على النقد البناء الذي يقود عملية الاصلاح كما ان استعمال المفردات العاطفية يسمح بالمرور الى اللاوعي حتى يتم زرعه بأفكار ورغبات ومخاوف ونزعات او سلوكيات.

٦- إبقاء الشعب في حالة جهل وحمافة بطريقة يكون غير قادر على استيعاب الطرق المستعملة للتحكم به واستعباده بان تكون نوعية التعليم المقدم للطبقات السفلى هي النوعية الافقر حتى تبقى الهوية المعرفية التي تفصل الطبقات السفلى عن العليا غير مفهومة من قبل الطبقات السفلى.

٧- التعويض عن الثورة ورفض الظلم والفساد بالإحساس

بالذنب بجعل الفرد يعتقد انه المسؤول الوحيد عن تعاسته وان سبب مسؤوليته تلك هو نقص في قدراته وقابلياته او تقصير في جهوده فيقوم بامتهان نفسه بدل التحرك للتغيير والاصلاح.

المتلفعين بالدين:

ولا يخفى عليكم سريان بعض هذه الاساليب الى الشعائر الدينية وهو ما نبهنا عليه في خطابات سابقة.

هذه نماذج من وسائلهم لترويض الشعوب وتسييرها في ظل الديمقراطيات الشكلية مستفيدين من ماكنة إعلامية مؤثرة وتمويل ضخم مصدره ما سرقوه من أموال هذه الشعوب المغلوبة على أمرها.

وأما المكر المستخدم لتحصيل المواقع الدينية المقدسة فهو لا يقل دهاءاً عن هذه ويقترّب من جملة منها كالذي ذكرناه من فعل الانقلابيين بعد رسول الله ﷺ أو ما تقوم به بعض الجهات المتنفذة بصناعة الزعامة التي يريدون ويسوّقونها الى الاتباع والمريدين الذين لا يتمكنون من المناقشة والتأمل لطول سياسة التجهيل المتبعة معهم ولأنهم اوهموهم بأن في ذلك خروجاً عن الدين ونحو ذلك فيسلّمون بالنتيجة وهذه أخطر حالات المكر التي تتعرض لها الأمة وهي راضية بحالها مستسلمة للأغلال

التي كبلوها بها ولا تسمع الى العلماء المخلصين العاملين الواعين.

وضع قوانين تنظم أخلاق ممارسة مهنة الإعلام وكل مهنة^(١)

التأصيل للعلم مع الأخلاق:

تسعى الجامعات والمعاهد العلمية والأكاديميات العسكرية لوضع برامج للطلبة تتضمن كل المفردات التي يحتاجها الطالب عندما ينهي دراسته ويبدأ بممارسة مهنته كالتربط أو الهندسة أو التعليم أو الإعلام أو العمل الأمني والعسكري وهي تؤهل بدرجة معتد بها من هذه الناحية. إلا أن هذه البرامج والخطط تفتقد إلى دروس في أخلاقيات ممارسة المهنة التي يتعلمها، وهذا نقص كبير لأن العلم وحده لا يكفي ما لم تنضم إليه آداب وأخلاقيات ممارسة تلك المهنة، لذلك تجد الأخطاء الفاحشة والفضيحة في سلوك هؤلاء عند ممارسة العمل، وقد تصل إلى الكوارث والانتهاكات الخطيرة في حقوق الإنسان والأمة فإن الطبيب لا تكتمل أهليته إذا لم يكن قلبه مفعماً بالرحمة ونفسه نقية من الجشع والكذب والتضليل، والمهندس لا يكون نافعاً إذا لم يتحلى بالنزاهة والإخلاص والدقة والصراحة، والإعلامي يكون ضاراً إذا أصبح مأجوراً يبيع قلمه لمن يدفع ويذبح بذلك شرف مهنته، والعسكري يهلك الحرث والنسل إذا لم يحمل شرف المقاتل ونبل الرجال، والسياسي يكون وبالاً

(١) من حديث سماحة الشيخ يعقوبي رحمته الله مع وفد الأمانة العامة لبيت الصحافة البصري

وعدد من الطلبة المتخرجين للعمل في الحقل الإعلامي يوم ٢٠/رجب/١٤٢٧

على أمته وبلده إذا لم يكن مخلصاً لهما ويعمل بجد لعزتهما وكرامتهما
وازدهارهما.

التربية المعنوية لقادة الإسلام:

وقد علمنا قادة الإسلام العظام وعلى رأسهم رسول الله ﷺ وأمير
المؤمنين عليّ بن أبي طالب أنهم لا يرسلون والياً أو إدارياً أو قائداً عسكرياً إلا وحملوه
سجلاً حافلاً بالوصايا والتعاليم والآداب، رغم أن من يرسلونهم كانوا على
درجة من الإيمان والوعي لمبادئ الإسلام ولكن للتذكير وللتأكيد على
ضرورة التمسك بتلك المبادئ.

لذا فنحن بحاجة إلى أن تتصدى نخبة من الاختصاصيين التربويين
والمفكرين لوضع قوانين لأخلاق كل المهن، وقد وضعنا نحن أسس هذه
العملية حينما سجلنا الخطوط العريضة لآداب وضوابط أغلب المهن
كالأطباء والصيادلة والموظفين و المعلمين والعسكريين والعمال وسائقي
السيارات والخياطين والحلاقين المصورين والصيادين والفلاحين وطلبة
الجامعات وخطباء المنابر والصاغة، حتى كتبنا للعاملين في تجارة العتيق
وهي مطبوعة ومنشورة ويمكن أن تتخذ هذه الكتيبات وثائق أساسية
للمباشرة في هذا المشروع، وستكفل بطبع ونشر ما تجود به قرائح هذه
النخب، ومن الجهود المشكورة في هذا المجال (قانون ذوي المهن
التعليمية) للأستاذ المرّبي محمد جواد جلال وقد نشر قبل أربعين عاماً في
مجلة الإيمان النجفية في المجلد الثالث منها.

آمل أن تجد هذه الدعوة قلباً مفتوحاً من لدن وزارة التعليم العالي وكل الجهات والمؤسسات المسؤولة عن تنظيرها لتبدأ بتشكيل اللجان ووضع المناهج وإدخالها في مفردات الدراسة في الجامعات والمعاهد لنصل إلى اليوم الذي نجد فيه أصحاب كل مهنة ذوي قلوب مفعمة بهذه القيم وعقول واعية لما تقتضيه مسؤولياتهم.

أهمية الإعلام:

إن الإعلام - كمثال - يمارس دوراً خطيراً في حياة الأمة ويستطيع توجيه الرأي العام بالاتجاه الذي يريده أصحاب وسائل الإعلام، وهو في الغالب بعيد عن الإنصاف والموضوعية والضمير الحي، لذا فهو المسؤول الأول عما تعانيه من كوارث، ولو كان هناك جهات تشرف على تربية هؤلاء الإعلاميين وتهذيبهم وتوجيههم نحو الأهداف السامية لخرجنا بخطاب مصلح بناء يعمل من أجل خير الأمة وازدهار البلد.

تأثير الكلمة الصادقة

ولذا نؤكد على أهمية الكلمة الصادقة وتأثيرها الفاعل في الإصلاح والتغيير إذا انطلقت وفق آليات مناسبة، ويمكن لكلمة واحدة أن تغير مجرى حياة الإنسان كما يروي التاريخ عن العارف بشر الحافي الذي كان مولعاً بالشراب واللهو مدة من حياته وفي أحد الأيام مرَّ الإمام الكاظم عليه السلام على داره الفخمة في بغداد حينما كان يُفرج عنه سويعات للترويح فخرجت جارية لبشر وألقت فضلات مجالس الشراب فقال لها الإمام لمن

هذه الدار قالت لسيدي بشر قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: أسيّدك حرٌّ أم عبد؟ فقالت بل حرٌّ فقال الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ: صدقت لو كان عبداً لاستحيى من مولاه، ولما عادت إلى سيدها وسألها عن تأخرها نقلت له الحوار فسألها عن أوصاف الرجل فوصفته فقال ذاك سيدي ومولاي موسى بن جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ ولحقه في الطريق ووقع على يديه ورجليه معلناً توبته الصادقة وغير مجرى حياته، وأصبح العارف الشهير لأن كلمة الإمام وقعت في قلبه وذاكرته بتمرده على سيده وخالفه وخروجه عن وظائف العبودية لله تبارك وتعالى.

موعظة للإعلاميين^(١)

منهومان لا يشبعان:

افتتح الكلام بالحديث الشريف (طالبان منهومان لا يشبعان طالب العلم وطالب المال).

إن الصحفيين نهمون أيضاً في اقتناص الأخبار وتغطية الأحداث وتحقيق السبق الصحفي، فمن أي الفريقين هم؟.

وأجاب سماحته: أنهم يمكن أن يكونوا من الأول ويمكن أن يكونوا من الثاني فإذا عملوا بمهنية وموضوعية وحيادية وإنصاف في كشف الحقائق وإيصال المعلومة الصحيحة كانوا من الأول لان العلم هو انكشاف الحقيقة كما هي في الواقع، وإن خضعوا للإغراءات وباعوا أمانتهم وشرف مهنتهم بثمان بخس فأصبحوا أبواقاً تردد ما تطلبه منهم الجهة التي تدفع لهم كانوا من الثاني، والأول هو الإعلامي الناجح الذي يحظى بالرضا والقبول.

من مصاديق الاهتمام بأمور المسلمين:

وإني أقول بصدق: إنني استفيد كثيراً مما يعرضه المراسلون من خفايا وخبايا عن وضع الناس ومعاناتهم ومشاكلهم مما لا نستطيع الوصول

(١) من لقاء سماحة المرجع اليقوبي رحمته الله بعدد من مراسلي الفضائيات ووكالات الأنباء

بينهم مراسل الحرة والمنار والعراقية والرأي العام ووكالة الصحافة الفرنسية... وكان اللقاء

يوم ٢/ذو الحجة ١٤٢٨ المصادف ٢٠٠٧/١٢/١٣.

إليه، وأتحرك منطلقاً من مسؤوليتي بما أستطيع لحل تلك المشاكل ورفع المعاناة، وأنا مدين لهم بهذه الخدمات التي يؤدونها، وأخصص جزءاً من وقتي لمتابعة نشرات الأخبار واعتبرها جزءاً من الاهتمام بأمور المسلمين التي أمرنا بها.

وفي نفس الوقت فاني أتعجب من الحكومة وعموم المتصددين لإدارة البلاد لهذا الصمم الذي أصيبت به آذانهم والعمى الذي أصيبت به أعينهم والقساوة التي طبعت على قلوبهم، فإننا إن عذرناهم عن النزول إلى الميدان والتجول بين الناس وتفقد أحوالهم، فإننا لا نعذرهم من متابعة ما تظهره وسائل الإعلام ولا نعفيهم من واجب بثّ العيون من الأمناء المخلصين في كل زوايا البلاد لينقلوا لهم كل صغيرة وكبيرة من أحوال الشعب فيكافئوا المحسن ويعاقبوا المسيء ويصلحوا الفساد ويعمروا البلاد ويرفعوا المعاناة.

أنا أعلم أنه ليس بمقدورهم حل كل مشاكل البلاد فإن بعضها خارج عن حدود الطاقة، لكنني أتحدث عما يمكنهم فعله لو توفرت الإرادة الجادة والصادقة، مثلاً حينما قرّرت الحكومة تشجيع العوائل المهجرة في سوريا على العودة إلى العراق بسبب تحسّن الوضع الأمني وقررت توفير وسائل النقل مجاناً ومنح مبلغ لكل عائلة عائدة فإنهم نفذوا فوراً وبدون معوقات وتم تسليم المبالغ نقداً بمجرد وصول العوائل إلى بغداد وهذا شيء جيد ويستحق العائدون أن نعينهم على تجاوز المحنة، ولكن لماذا هذا الروتين القاتل والمماطلة والتسويف في مساعدة العوائل المهجرة بحيث تمرّ الأشهر دون تنفيذ قرار الحكومة بمنح مساعدة مالية

لهم رغم صيحات المحرومين والمنظمات الدولية والإنسانية والكوارث المحيطة بهم. ألا يستحق هؤلاء المبادرة إلى مساعدتهم مباشرة وبنفس الفورية التي تعاملوا بها مع العائدين؟ إن مثل هذه المفارقة تجعلنا نعتقد بعدم الإخلاص والمصادقية في العمل إلا بمقدار ما ينفع مصالحهم الشخصية ويلمّع صورتهم وإبراز قضية عودة المهاجرين كمؤشر على نجاح الحكومة.

والمثال الآخر: امتيازات أعضاء مجلس النواب فانه نال المصادقة بدون تأخير مع ما يتميزون به أصلاً من امتيازات بينما يمر عام ونصف العام على قرار منح الطلبة الجامعيين مساعدات شهرية تعيينهم على مواصلة دراستهم من دون نيل المصادقة.

والأدهى من ذلك أن أربع سنين عجاف مرّت على الشعب وهو يفقد الآلاف من أبنائه وتُخرّب ممتلكاته في حوادث العنف المريعة، وحينما أرادوا إنهاء ذلك بعد عقد صفقات وجني مصالح وأرباح توقفت تلك الأعمال بدرجة كبيرة بجرّة قلم فمن الذي يتحمل مسؤولية تلك الدماء والضحايا الذين خلفوا ملايين الأيتام والأرامل. وعاد الأمن إلى بغداد بنسبة ٦٠-٦٥٪ بحسب التقديرات بعد أن أصبحت مدينة أشباح يعلو فيها أزيز الرصاص والمتفجرات على كل صوت.

إن هذه النتائج تفرحنا لكننا نطالب أن تكون إرادة الخير ومراعاة القيم الإنسانية هي الحاكمة والبوصلة التي توجّه حركة الجميع لا المصالح الشخصية والأنانية.

مسؤولية الكلمة^(١)

أهمية الكلمة ودورها:

(الكلمة) من أوسع القنوات الموصلة إلى رضا الله تبارك وتعالى فمن خلالها تكون النصيحة وبها تتم الموعدة وتجري الهداية ويتحقق الإصلاح وينتشر العلم والمعرفة وتُبنى الحضارة وتتقدم الإنسانية وتتكامل التربية فهي وعاء لهذه الطاعات العظيمة وغيرها.

لذلك جاء رجل إلى الإمام السجاد عليه السلام وسأله: عن الكلام والسكوت أيهما أفضل؟ فقال عليه السلام: (لكل واحد منهما آفات فإذا سلما من الآفات فالكلام أفضل من السكوت، قيل: وكيف ذلك يا بن رسول الله؟ فقال: لأن الله عز وجل ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت، إنما بعثهم بالكلام، ولا استحققت الجنة بالسكوت، ولا استوجبت ولاية الله بالسكوت، ولا وقيت النار بالسكوت، ولا تجنب سخط الله بالسكوت، إنما ذلك كله بالكلام)^(٢). قال تعالى: [لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ] (النساء: ١١٤) حتى عُدَّتْ (الكلمة الطيبة صدقة)^(٣) في بعض الأحاديث.

(١) كلمة سماحة الشيخ محمد يعقوبي التي ألقى نيابة عنه في احتفال أقيم يوم ٤ رجب

١٤٢٦ المصادف ٢٠٠٥/٨/١٠ في وزارة الثقافة بمناسبة مرور عام على افتتاح إذاعة

البلاد وقد أضاف سماحته عليها مقاطع مهمة.

(٢) الوسائل: ج ١٢ ص ١٨٨.

(٣) السابق: ج ٥ ص ٢٣٣.

وفي المقابل فإن الكلمة السيئة لها ضرر بليغ ومدّمّر وإن كثيراً من الكبائر التي وعد الله بها النار مرتبطة بالكلمة كالغيبة والنميمة والبهتان والكذب والافتراء والسب والشتم والإيذاء وإشاعة الفاحشة وغيرها لذا ورد في الحديث عن رسول ﷺ انه قال: (وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم)^(١) وألف العلماء والمربّون والأخلاقيون كتباً في (آفات اللسان).

تهذيب الكلمة:

لذلك خصص المشرع الأقدس حصّة كبيرة من تعاليمه لتهذيب هذه الكلمة وتوجيهها لتكون نافعة ببناءة فرسم ملامح الكلمة الطيبة [كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ، تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا] (إبراهيم: ٢٤-٢٥) وحذر من ضرر الكلمة الخبيثة [وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ] (إبراهيم: ٢٦) وحذر من مغبة الكلمة الضارة.

فمثلاً اعتبر من يقول ولو شطر كلمة في المشرق فقتل بها شخص في المغرب اعتبره قاتلاً، كما يفعل اليوم صناع ثقافة التكفير والقتل والظلم والعدوان فيطيعهم وينخدع بضلالاتهم شخص في المشرق أو المغرب ويقوم بعملية إجرامية يكون وزرها الأول على صانع هذه الثقافة.

ويوجد بهذا الصدد حديث شريف مهم ويشكل ضربة قاضية لهؤلاء الذين يروجون صناعة القتل والرعب لمجرد الاختلاف في الرأي أو

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٥٥.

تضرّر المصالح فقد روى الإمام الصادق عليه السلام عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال (يعذب الله اللسان بعذاب لا يعذب به شيئاً من الجوارح فيقول: أي ربّ عذبتني بعذاب لم تعذب به شيئاً، فيقال له: خرجت عنك كلمة فبلغت مشارق الأرض ومغاربها فسفك بها الدم الحرام وعزّيتي لأعدّبتك بعذاب لا أعدّب به شيئاً من جوارحك) ^(١).

فإذا استشعرنا هذه الأهمية فإن هذا الشعور سينظّم برامج التعامل مع الكلمة وسيراقبها ويتحكم بها، فإن الكلمة في وثاقتك وتحت سيطرتك ما دمت لم تطلقها فإذا أطلقتها فستكون أنت في وثاقها وتحمل تبعاتها ومسؤوليتها، وكم شخص ذهب ضحية الكلمة سواء في الدنيا أو في الآخرة كقاضي القضاة للمعتصم العباسي الذي وشى بالإمام الجواد عليه السلام وهو يعلم أن ذلك سيخلّده في النار كما قال هو نفسه.

استثمار الاتصالات الحديثة لصالح الإسلام:

ونحن اليوم نشهد ثورة معلوماتية هائلة وتكنولوجيا اتصالات عظيمة لم تحلم بها البشرية من قبل، تفتح لنا الأبواب الواسعة لإيصال خطاب السلام والسعادة للبشرية، ولم يعد الطغاة قادرين على حبس الكلمة ومنع وصولها إلى الناس كما كانوا يفعلون عبر التأريخ ولسانهم واحد [مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى] [غافر: ٢٩]، واضطر الإسلام لحمل السيف في وجوه هؤلاء الطغاة ليحرّر شعوبهم من عبادتهم ويترك لهم الخيار في اعتناق العقيدة التي يقتنعون بها تحت شعار [لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ] و[لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ

(١) وسائل الشريعة، مج ٨، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، باب ٤، ح ٤.

عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيٍّ عَنْ بَيِّنَةٍ [(الأنفال: ٤٢)] وَفَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ [(الكهف: ٢٩)] وَإِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا [(الإنسان: ٣)] وَشَجَّعَ الْحَوَارِ وَثِقَافَةَ الرَّأْيِ الْآخَرَ [قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ] (البقرة: ١١١) [وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] (العنكبوت: ٤٦) [ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] (النحل: ١٢٥).

كما أننا نعيش بفضل الله تبارك وتعالى فرصة عظيمة لإيصال الكلمة الطيبة إلى مسامع العالم التواق للسلام والسعادة والخير، بعد أن فشلت أمامه كل الأيديولوجيات وبعد أن فشل غير اتباع أهل البيت عليهم السلام في عرض الإسلام بشكله الصحيح مما اوجب نفوراً وارتداداً لدى معتنقيه، فالعالم كله ينتظر منكم يا اتباع أهل البيت عليهم السلام أن تعكسوا لهم الصورة النقية الناصعة للإسلام المملوءة بالرحمة وحب الخير والسلام والطمأنينة لكل البشر.

عوامل نجاحنا في إيصال كلمة الإسلام:

وقد مرّت علينا عقود من سنيّ الكبت وسلب الحرّيات والحجر على الكلام، وقد أزاله الله تعالى ليلونا أنشكر ونؤدي حق هذه النعمة، أم نكفر والعياذ بالله ونسيء استخدام هذه الحرية.

فهذه عوامل ثلاثة:

١- وسائل الاتصالات المتطورة.

٢- فشل الأيديولوجيات في تحقيق السعادة للبشرية وتوفير الأمن

والسلام والطمأنينة لها.

٣- توفر الحرية الكاملة لممارسة الدعوة إلى الله تبارك وتعالى

والحق والهداية والصلاح.

تضاعف علينا مسؤولية استثمار (الكلمة) في أداء الرسالة التي

ائتمنا الله تبارك وتعالى وقبلنا حملها بعد أن اعتذرت السماوات والأرض

وسائر المخلوقات عن حملها ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا

جَهُولًا﴾ الأحزاب ٧٢.

مبادئ الشفافية ومظاهرها^(١)

معنى الشفافية:

ترد كلمة الشفافية كثيراً على ألسنة السياسيين وعموم المتصددين للعمل الاجتماعي ويطالب الجميع بأن يكون العمل شفافاً، ولكن لم يشرح لنا أحد حقيقة الشفافية وكيف يكون التعامل شفافاً، أي ما هي مظاهر الشفافية؟ وكيف يمكن تدريب النفس عليها أي ما هي المبادئ والخصائص التي يجب توفرها في النفس لتنطلق منها التعاملات الشفافة؟. وبصفتنا عاملين في الحقل الاجتماعي فإن من وظيفتنا تشخيص معوقات العمل ومشاكله ومقومات نجاحه، كما تحدثنا في كلمة سابقة عن عناصر رفع الهمة وخلق الحوافز للاندفاع نحو مزيد من العمل.

وفي ضوء هذه الرؤية فقد وجدنا أن من بين المشاكل الرئيسية التي يعاني منها العمل الاجتماعي. ويعاني منها أكثر العاملين في الحركة الإسلامية - هو عدم التعامل مع الآخرين بشفافية- وهي صفة لا تختص بالعمل فقد يوصف القانون بأنه شفاف أي مرن وقابل للاستيعاب الحالات الاستثنائية ويأخذ الأعداء بنظر الاعتبار وليس جامداً حدياً، فالشفافية إذن من الأسس المهمة لإنجاح العمل ولضمان تطبيق القوانين والاستجابة لها بسلاسة، وهي من أهم مميزات القانون الإسلامي وقادته العظماء.

(١) كلمة سماحة الشيخ (دامت تأييداته) في المؤتمر العام الأول لرابطة بنات المصطفى

بتأريخ ٢١-٢٢ جمادى الثانية ١٤٢٦ الذي تقدمت الإشارة إليه.

أصول الشفافية في الإسلام:

وسنشير في حديثنا إلى مظاهر الشفافية في الإسلام ومبادئها وأصولها النفسية مستنداً إلى مجموعة مباركة من الأحاديث الشريفة وستكون الإشارة مجملتها تاركاً بيانها التفصيلي إلى الفضلاء والمفكرين لاغتناء مصادرنا الإسلامية بهذه الأحاديث المباركة:

١- إنصاف الآخرين من نفسك: فإذا كان رأي الآخر صحيحاً فكن شجاعاً وقل له ذلك وتنازل عن رأيك واعترف بخطئك، لذا قالوا أن الاعتراف بالخطأ فضيلة، وقد وبّخ الله تعالى من يتمسك بموقفه ورأيه رغم اعترافه في داخله بصحة رأي الآخر وحقه فقال تعالى: [وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ] (البقرة: ٢٠٦) وقال تعالى: [وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ] (النمل: ١٤)، ودعا تبارك وتعالى عباده إلى إعطاء الآخرين حقهم من غير غمط ولا بخس، قال تعالى [وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ] (الأعراف: ٨٥).

وهذه الصفة شاقة على النفس ولا يتحلى بها إلا من روض نفسه ودرّبها وملك زمامها؛ لذا جاء في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله): (يا علي ثلاث لا تطيقها هذه الأمة: المواساة للأخ

في ماله وإنصاف الناس من نفسه، وذكر الله على كل حال، وليس هو سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولكن إذا ورد على ما يحرم

خاف الله عز وجل عنده وتركه^(١).

٢- المشاورة وعدم الاستبداد بالرأي وعدم الاستكبار عن

سماع رأي الآخرين ونصيحتهم، فإنها قوة إضافية لك لانضمام عقولهم إلى عقلك فكأنك تفكر بمجموع عقولهم وهو كمال ونضج للرأي؛ لذا جاء فيما أوصى به النبي ﷺ علياً عليه السلام: (لا مظاهرة أوثق من المشاورة ولا عقل كالتدبير)^(٢) وعن أمير المؤمنين عليه السلام: (من استبد برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركها عقولها)^(٣) وعن الصادق عليه السلام: (ما يمنع أحدكم إذا ورد عليه ما لا قبل له به أن يستشير رجلاً عاقلاً له دين وورع، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام أما أنه إذا فعل ذلك لم يخذله الله بل يرفعه الله، ورماه بخير الأمور وأقربها لله)^(٤).

وأعطانا النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام الدروس العملية في ضرورة المشورة وهم أكمل الخلق وسادتهم والمتصلون بالتسديدات الإلهية التزاماً بقوله تعالى [وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ [آل عمران: ١٥٩]، ووصف عباده المفلحين بقوله عز من قائل [وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ] (الشورى: ٣٨)، وعن بعض أصحاب الإمام الصادق عليه السلام: قال: قال لي الصادق عليه السلام: (أشر عليّ برجل له فضل وأمانة، فقلت: أنا أشير عليك، فقال

(١) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٣٤.

(٢) الكافي: ج ٨ ص ٢٠.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ١٠٤.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ١٠٢.

شبهه المغضب: إن رسول الله ﷺ كان يستشير أصحابه ثم يعزم على ما يريد الله^(١).

٣- اعتماد مبدأ الحوار: وعدم فرض الرأي على الآخر مهما كنت مقتنعاً به فإن رسول الله ﷺ كان يعلم أنه على حق ومع ذلك أمره الله تعالى بالحوار مع الآخرين [قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ] [آل عمران: ٦٤]، وقوله سبحانه: [وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] (العنكبوت: ٤٦).

وقد ثقف الإسلام أتباعه على حرية التعبير عن الرأي واختيار العقيدة قال تعالى [لا إكراه في الدين] (البقرة: ٢٥٦)، ويبلغ هذا المبدأ أوفى حالاته وأكملها حينما يأمر الله تبارك وتعالى المسلمين أن يوفروا الأمن والحماية لمن يريد من المعسكر الآخر أن يستمع إلى هذا الدين ثم يعيده إلى بلاده آمناً ليختار بكل حرية [وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ] (التوبة: ٦). فهل يوجد حث على الحوار وهل توجد شفافية أكثر مما في الإسلام.

٤- التواضع: لأن التكبر والنظر إلى الأنا والإعجاب بالنفس

يصد عن سماع الحق ويعمي البصيرة ويذل صاحبه، وعلى العكس منه فإن التواضع يرفع صاحبه ففي الحديث: (من تواضع لله رفعه الله)^(٢)، وفي دعاء

(١) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ١٠١.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٢٢.

مكارم الأخلاق للإمام السجاد عليه السلام: (وَلَا تَرْفَعْنِي فِي النَّاسِ دَرَجَةً إِلَّا مَا حَطَّطْتَنِي عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَهَا، وَلَا تُحَدِّثْ لِي عِزًّا ظَاهِرًا إِلَّا أَحَدَّثْتَ لِي ذِلَّةً بَاطِنَةً عِنْدَ نَفْسِي بِقَدَرِهَا) ^(١) فلا تتكبر على الآخرين وتواضع لأدنى خلق الله فقد يجري الله الكلمة المفيدة النافعة الصالحة على لسان من لا تأبه بهم، ومما روي عن سيرة عيسى روح الله عليه السلام انه قال: (يا معشر الحواريين لي إليكم حاجة اقضوها لي، قالوا: قضيت حاجتك يا روح الله، فقام فغسل أقدامهم، فقالوا: كنا نحن أحق بهذا يا روح الله! فقال: إن أحق الناس بالخدمة العالم إنما تواضعت هكذا لكيما تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم، ثم قال عيسى عليه السلام: بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر، وكذلك في السهل يثبت الزرع لا في الجبل) ^(٢).

٥- سعة الصدر: وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: (آلة الرياسة سعة الصدر) ^(٣) ولا نفهم من الرئاسة أنها المناصب الحكومية الرفيعة فقط، بل كل ولاية أمر لمجموعة هي رئاسة فالمعلم رئيس لطلابه وشيخ العشيرة رئيس لأبناء عشيرته والعالم الديني وإمام الجماعة رئيس لمريديه وأتباعه والأم رئيسة في بيتها فكل واحد محتاج إلى سعة الصدر لكي ينجح في عمله، ولا بد أن تتناسب سعة الصدر مع عظم المسؤولية فكلما كبرت وازداد عدد المرؤوسين وجب أن يتسع الصدر لاستيعابهم جميعاً، ومما

(١) الصحيفة السجادية: ص ٩٢.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٣٧.

(٣) نهج البلاغة: الحكمة: ١٧٦.

أوصى به النبي ﷺ قوله (إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم)^(١) فيمكن للإنسان بسعة صدره أن يكسب الناس من حوله ويزيد ثقتهم بقيادته.

٦- الحب للناس جميعاً: فليس في قلب المؤمن حقد ولا غل

ولا كراهية لذلك جعل الله من نعمه على أهل الجنة انه يزيل ما بقي في صدورهم وقلوبهم من هذا قال تعالى: [وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ] (الحجر: ٤٧)؛ لأن هذا الغل والحقد والكراهية أول ما يؤذي صاحبه فيجعل حياته منكدة ومعذبة وباله مشغولاً بهذه الدوامة من التفكير مما يقعه عن القيام بالكثير من الأعمال الناجحة، أما لو نقي قلبه منه فيكون سعيداً فارغ البال للمسؤوليات المهمة، لكن الناس متفاوتون في تطهير قلوبهم حتى المؤمنين، لذا يوجد من يدخل الجنة وهو لم يكمل تنقية قلبه مما ينكد عليه صفو الحياة في نعيم الجنان فيتم الله نعمته عليه بنزع الغل من قلبه ولكن بعد ألم طويل، فلماذا لا يعمل الإنسان على إزالته من الدنيا لينعم بالسعادة مباشرة ويملاً قلبه بحب الخير للناس جميعاً ولا ينال السعادة الكاملة [إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ] (الشعراء: ٨٩) خصوصاً بين المؤمنين العاملين في مشروع إسلامي واحد حتى لو اختلفوا في الرأي وفي آليات العمل فلا يؤثر ذلك على روح الصفاء، أما ما نراه من تحول المودة إلى تقاطع وانتقاص للآخر وتشويه لصورته وما يتبعه من غيبة ونميمة وسوء ظن وكلها من الكبائر فهذه ليست من أخلاق الإسلام، ولنتأس بالإمام الحسين

(١) الوسائل: ج ١٢ ص ١٦١.

عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي بكى على أعدائه يوم عاشوراء معللاً ذلك بأنهم سيدخلون النار بسببي وهم المحتشدون لقتله واستئصال أهله وخاطب الله نبيه ﷺ [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ] الأنبياء ١٠٧ أي جميع العوالم من المخلوقات وليس للبشر فقط فضلاً عن المسلمين من أتباعه ﷺ، فلنحمل هذا القلب الكبير المملوء بالرحمة والحب وإرادة الخير ولتأس بالنبي وآله الطاهرين (صلى الله عليهم أجمعين).

٧- حسن الخلق مع الناس والتآلف معهم فمن صفات المؤمن انه يآلف ويؤتلف، وهذه من أهم مظاهر الشفافية ويوجد في جوامع الحديث حشد هائل من الأحاديث التي تبني في الإنسان مكارم الأخلاق والخصال الحميدة، قال الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: (ما يقدم المؤمن على الله عز وجل بعمل بعد الفرائض أحب إلى الله تعالى من أن يسع الناس بخلقه)^(١) وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: (إن الخلق الحسن يميث الخطيئة كما تميث الشمس الجليد)^(٢)، وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: (إن الله تبارك وتعالى ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله يغدو عليه ويروح)^(٣). وقال رسول الله ﷺ: (التودد إلى الناس نصف العقل)^(٤). فما أجمل أن تستقبل الناس دائماً بالبشاشة والانفتاح وتتودد لهم والبسمة دائماً على وجهك حتى في أحلك

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٠٠.

(٢) السابق.

(٣) السابق: ج ٢ ص ١٠١.

(٤) السابق: ج ٢ ص ٦٤٢.

الظروف وليس أن تكون عبوساً في وجوه الناس.

٨- حمل الآخرين على الصحة والتماس العذر لهم أن لم

يعجبك شيء من تصرفاتهم، لذا ورد في الحديث: احمل أخاك على سبعين محمل حسن. وهو رقم يضرب للكثرة لا للتحديد فلو احتجت إلى واحد وسبعين تفسيراً فاحمل عليه، فقد وصلت تربية الأئمة لشيعتهم إلى حد أنه يُسأل الإمام الكاظم عليه السلام من قبل أحد أصحابه فيقول له: (جعلت فداك الرجل من إخواني يبلغني عنه الشيء الذي أكرهه، فأساله عنه فينكر ذلك وقد أخبرني عنه قوم ثقات، فقال لي: يا محمد كذب سمعك وبصرك عن أخيك، فإن شهد عندك خمسون قسامة (أي خمسون رجلاً يقسمون عندك) وقال لك قولاً فصدقه وكذبهم، ولا تديعن عليه شيئاً تشينه به، وتهدم به مروته)^(١).

٩- المحافظة على حدود الصداقة التي حدها الأئمة

المعصومون عليهم السلام فعن الإمام الصادق عليه السلام: (لا تكون الصداقة إلا بحدودها، فمن كانت فيه هذه الحدود أو شيء منها فانسبه إلى الصداقة ومن لم يكن فيه شيء منها فلا تنسبه إلى شيء من الصداقة

فأولها: أن تكون سريرته وعلايته لك واحدة.

والثانية: أن يرى زينك زينه وشينك شينه.

والثالثة: أن لا تغيره عليك ولاية ولا مال.

والرابعة: أن لا يمنعك شيئاً تناله مقدرته.

(١) الوسائل: ج ١٢ ص ٢٩٥.

والخامسة: وهي تجمع هذه الخصال: أن لا يسلمك عند النكبات^(١).

١٠- المواساة: بل الإيثار، فعن بعض أصحاب الإمام الباقر عليه السلام قال: قال لي الباقر: (أرأيت من قبلكم إذا كان الرجل ليس عليه رداء وعند بعض إخوانه رداء يطرحه عليه؟ قال: قلت: لا، قال:.... فضرب بيده على فخذه ثم قال: ما هؤلاء بأخوة)^(٢).

ووصف القرآن الكريم علاقة المؤمنين فيما بينهم بأكمل من ذلك فقال: [وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ] (الحشر: ٩).

هذه هي المظاهر الرئيسية للشفافية اختصرتها لكم وهي تتطلب الكثير من الصبر والمصابرة والتربية للاتصاف بها والالتزام بمضمونها وعدم الاكتفاء بإلقاء الكلمات من دون تطبيق لذلك يقول الإمام لشيئته (أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد)^(٣). فالتقوى والورع والصبر وعلو الهمة والإخلاص تساعد على المضي في طريق الكمال قال تعالى: [وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ] (البقرة: ٤٥)، وعلى الله نتوكل ليأخذ بأيدينا وأيديكم لتحقيق هذه الصفات لنستحق شفاعة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام ونفوز بمجاورة الأحبة محمد وآله الطاهرين صلى الله عليهم أجمعين

(١) الكافي: ج ٢ ص ٦٣٩.

(٢) الوسائل: ج ١٢ ص ٢٦.

(٣) نهج البلاغة: الكتاب: ٤٥.

طريق الوصول الى السلطة في نظر أهل البيت عليهم السلام ^(١)

وصول الثلة الصالحة إلى السلطة له أسلوبان:

وهذه الفكرة على صعيد العمل السياسي وسعي الثلة الصالحة لتسلم

السلطة فإنه أمامنا أسلوبان:

الأول: السعي المباشر لتسلم السلطة عبر انقلاب عسكري أو تحالفات أو غيرها.

الثاني: تربية الأمة وزيادة قناعتها بالإسلام حتى تكون القواعد المؤمنة هي الأوسع في المجتمع بحيث أنها تفرز تلقائياً حكومة صالحة تطبق الإسلام في برامج عملها.

ومن الواضح أن الأئمة عليهم السلام ساروا على الطريق الثاني لأنه يمتلك الديمومة والثبات ولأنه يخلق حالة من الانسجام بين الأمة وقيادتها وتصل الأمة إلى كمالها المنشود، أما على الأول فإن القيادة ستعيش عزلة عن الأمة البعيدة عن التربية الإلهية، وستخذل الأمة قيادتها وتتآمر عليها ويحسب الفشل على الإسلام وقياداته.

لذا لم يستجب الإمام الصادق عليه السلام لدعوات أبي مسلم الخراساني

236

(١) من حديث سماحة الشيخ (دام ظله) مع وفد مدرسة أم البنين الثانوية الدينية للنساء من مدينة الشعلة في بغداد يوم ٢١ شوال ١٤٢٦ المصادف ٢٤/١١/٢٠٠٥، وهي واحدة من عدة مدارس أسسها ديوان الوقف الشيعي تضيف إلى المنهج الأكاديمي الرسمي دروساً دينية لتنشئ جيلاً مثقفاً إسلامياً.

وأبي سلمة الخلال، والإمام الرضا عليه السلام لعرض المأمون في ولاية العهد، بل واصلوا المسيرة المضنية الطويلة بالأسلوب الثاني، وتابعها بعدهم العلماء حتى أثمرت هذه الحركة الإسلامية المباركة التي غطت مساحات واسعة من الأمة.

طريقة المرجعية في إيصال الثلثة الصالحة الى الحكم:

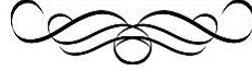
فنحن في نفس الوقت الذي ندفع فيه المؤمنين القادرين على رعاية شؤون الأمة إلى المشاركة في الانتخابات والتنافس الشريف لإيصال الثلثة الصالحة إلى مفاصل الدولة، فإننا نواصل تربية الأمة حتى تصل إلى كمالها المنشود بلطف الله تبارك وتعالى وحينئذٍ ستأهل الأمة لممارسة دور الشهادة والمراقبة على القيادة [وَكذلكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا] (البقرة: ١٤٣)، وستكون هذه التربية رافدة للحالة المعنوية للمتصددين للحكم والسلطة أو مجددة للعطاء الروحي، وإذا كان الإمام المعصوم يقول: (إن لنا في كل ليلة جمعة سروراً ... ولولا ذلك لنفد ما عندنا)^(١) فما أحوج غيرهم لهذه الإمدادات الروحية حتى تبقى شعلة الإيمان والتواصل مع الله تبارك وتعالى والإخلاص له وحب الناس والترفع عن الأنانية وحب الذات.

إن القوى المستكبرة اليوم مصداق للأعور الدجال لأنها تنظر إلى الحياة والبشر بعين واحدة هي عين التفوق المادي والتكنولوجي وتغفل عن

(١) البحار: ج ١٧ ص ١٥١.

الركن الآخر المهم لقيادة البشرية وهو تعزيز ذلك التقدم بالقيم المعنوية السامية فمثلاً صنع القنبلة الذرية شيء عظيم من الناحية العلمية ولكن هذا الانجاز العلمي حينما خلا من المبادئ الإنسانية العليا أصبح وبالأعلى البشرية وفتك بها وما زالت تئن من ويلاتها رغم مرور ستين عاماً على إلقائها وقد جسد قادة الإسلام هذه المثل العليا في حياتهم مما لا يسع المجال لذكره وقد أشرنا إلى تفاصيلها في كتبنا العديدة.

الفصل الخامس



قضايا في النضال السياسي ضد الاحتلال



حكم التعامل مع الأمريكان:

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة الحجة آية الله الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

نحن لفيف من طلبة الكلية التقنية والمعهد التقني في النجف الأشرف، نرجو من سماحتكم التفضل علينا والنظر في قضايانا ومساءل الابتلاء التي نعيشها لحظة بلحظة في مجتمعنا الدراسي لاسيما، وأن مجتمعنا أصبح ثكنة عسكرية للقوات الأمريكية المحتلة، وأنا نتعرض إلى حرب ثقافية وفكرية وعقائدية من قبل المحتلين، مما يستدعي منا حالة طوارئ فكرية وثقافية بين شبابنا وفتياتنا لأننا نواجه صراع الإرادات كأقوى ما يكون عليه الصراع، وعلينا أن نركز وجودنا وخطنا الإسلامي الأصيل في قبال خطوط الكفر والإلحاد الأخرى... هذا ولكم منا وافر الامتنان وأدامكم الله للأمة الإسلامية بركة وعطاءً وجهاداً والله من وراء القصد.

س ١: نرى البعض منهم قد أقام علاقات ودية وحميمة مع جند الاحتلال تصل إلى حد تبادل الأطعمة والأشربة فيما بينهم والبعض يقوم بتدريسهم اللغة العربية لقاء أجر معين، فماذا ترون؟

س ٢: تقوم بعض النساء بالتجوال عصرًا مع أطفالهم في شوارع الحي السكني وعلى مرأى من جند الاحتلال وبصورة غير لائقة، فماذا ترون؟

س ٣: البعض منهم يمارس لعبة كرة القدم في القاعة الرياضية داخل المجمع السكني مع قوات الاحتلال والتقاط الصور الشخصية معهم، وقد

وصلت الحد في شباب الحي إلى أن يقوم بعضهم بمعاينة الجندي الأمريكي المحتل وتقبيله في بعض الأحيان، بماذا تصرحون؟

س ٤: يدعى البعض أن واجبنا تجاه القوات المحتلة هو في إظهار الصورة الحسنة لنا والأخلاق الفاضلة والتعاون معهم على أنهم قوات محررة وليست محتلة تتواجد لحمايتنا ومساعدتنا في إعمار المجتمع الدراسي وأن أي عمل خلاف ذلك يؤدي إلى ضررنا وإخلال الأمن والأمان داخل المجتمع، فما رأيكم؟

س ٥: إن وجود القوات المحتلة بين الدور السكنية أمر يؤدي إلى فقدان الحشمة والعفة بين الأهالي وإن موقعهم يهيئ لهم للإطالة على ما في الحي السكني ككل من خلال ما يمتلكون من مراصد ونواظر، علماً أن هنالك مشروع تعيين بعض هذه الدور السكنية لأخواتنا الطالبات كقسم داخلي، فما رأيكم في ذلك؟

س ٦: يقوم جند الاحتلال بترويج بعض المجالات والأقراص الليزرية الماجنة بين بعض طلبتنا من ذوي النفوس الضعيفة، فما تعليقكم؟

س ٧: نظراً للتواجد المستمر لقوات الاحتلال في داخل الحرم الجامعي، فما توجيهكم لأخواتنا الطالبات والموظفات لمراعاة الحشمة والعفة في زيهن وأسلوب تجمعهن وحركتهن في داخل الحرم؟

س ٨: أخيراً نرجو من سماحتكم أن توضحوا للإخوة والأخوات بعض واجباتهم وتكاليفهم الشرعية في هذه المرحلة تجاه كل القضايا التي تمس عقيدتنا ووجودنا الإسلامي؟.

بِسْمِهِ تَعَالَى

انطلاقتنا في التعامل مع الآخرين:

قال تعالى: [لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ] (الممتحنة: ٨) وقال تعالى: [لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوَلِّيكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوَلِّيكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] (المجادلة: ٢٢).

فهناك شكلاان للتعامل مع غير المسلمين، فإن هم احترموا تعاليم الإسلام وحافظوا على كيان المجتمع المسلم، ولم يعتدوا عليهم، فيأمر الله تعالى المسلمين أن يتعاملوا معهم بالقسط والعدل والبر كعلاقتنا مع الإخوة المسيحيين الذين جاورونا في هذا البلد.

وإن هم انتهكوا حرمة الإسلام، فتجب مقاطعتهم وإظهار الامتناع منهم، والرفض لوجودهم، وإشعارهم بأنهم حالة غير طبيعية وليس لهم موقع بيننا فالحكم متوقف على شكل تصرفهم إزاء كيان الأمة الإسلامية.

الاحتلال وتعويق النهوض الإسلامي:

وبحسب المنقول عن الثقات فإن القوات الأمريكية المتواجدة في هذا البلد صدرت منها تصرفات توحى بأنها اختارت الشكل الثاني من التعامل.

ويمكن أن يكون انتهاكهم هذا بعدة أشكال:

١- إهانة المسلمين وإذلالهم والإساءة إليهم ومن أوضح مصاديقه اعتقالهم بغير حق.

٢- الاعتداء على بيوتهم وأموالهم أو على عرضهم وشرفهم، ومن أشكاله مدهامة البيوت واقتحامها بغير استئذان وتفتيش النساء من قبل الرجال، ومصادرة الممتلكات، والتطلع إلى نساء المسلمين وحریم بيوتهم.

٣- المخالفة العلنية للقيم والمبادئ التي يؤمن بها الشعب ويقدها لأنها مستمدة من شريعة الله تبارك وتعالى وفي ذلك اعتداء على أخلاق الأمة وعقيدتها.

٤- نشر الفساد والرذيلة والانحلال الخلقي كترويج الصور الخلاعية والخمور أو ممارسة الأفعال الجنسية اللامشروعة علناً، أو الظهور بهيئة مخدشة للحياء والعفة.

٥- منع الناس من حقوقهم المشروعة إسلامياً وإنسانياً، وتعويق أي محاولة لتحصيلها، وفرض أمور على غير إرادتهم، كعرقلة تشكيل حكومة وطنية حرة من أشخاص اختارهم الشعب لبعض المواقع كالمحافظ^(١).

مصادق للمحادثة مع الله ورسوله:

هذه بعض أشكال المحادّة مع الله ورسوله التي رتبّ عليها حكماً وهو إظهار الامتعاظ وعدم المودة والمقاطعة والرفض لهم، وجعل كل ذلك علامة لإيمان المسلم وإخلاصه له تبارك وتعالى، أياً كان الذين يقومون

(١) إشارة إلى ما حصل في البصرة من مظاهرات ضخمة لرفض تنصيب حكومة محلية من قبل الاحتلال، وستأتي الإشارة إليه قريباً.

بهذه الأفعال حتى لو كانوا اقرب الناس إليهم كالأب والابن والأخ والعشيرة، وقد جعل جزاءً عظيماً لمن يمتثل هذا الحكم وهو تثبيت الإيمان في القلب والتأييد بروح القدس وجنات النعيم والخلود، وهذه منازل عظيمة لا تنال إلا بالهمة العالية والإخلاص.

وعلى ما قيل من أن الأمور تعرف بأضدادها فنستطيع أن نعرف من مقابلة هذه المراتب العظيمة بأضدادها استحقاق من لم يلتزم بهذا الحكم الشرعي فإنه سيصاب بسلب الإيمان من قلبه، والتوفيق من عمله، والخزي في الدنيا والذل والهوان في الآخرة والحرمان من جنان الله تبارك وتعالى ورضوانه وهو الخسران العظيم.

من أعظم الحرمات الدخول في وولاية الكافر:

فلا يخدعن أحد نفسه بأنه ينبغي أن نفعل كذا لأجل إظهار الصورة الحسنة لنا، فليلتفت إلى هذه العواقب الوخيمة هؤلاء الذين يقيمون العلاقات الودية معهم بكل أشكالها، وعليهم أن يعلموا أن من أعظم المحرمات في الشريعة هو الدخول في ولاية الكافرين، والرضا بتسلطهم رغم محادتهم لله ولرسوله، وقد أكد القرآن الكريم عليها كثيراً وجعلها علامة بارزة لتمييز المؤمنين عن المنافقين ومن الأخلاق الفاضلة، فإن الله تبارك وتعالى كما أنه (غفور رحيم) كذلك هو (شديد العقاب) وكما أنه أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمة كذلك هو أشد المعاقبين في موضع النكال والنقمة، وقد أمر الله تعالى عباده أن يتخلقوا بأخلاقه ووصف أصحاب نبيه ﷺ بأنهم [أشداء على الكفار رُحَمَاء بَيْنَهُمْ] (الفتح: ٢٩)،

فلسنا نحن نحدّد الأخلاق الفاضلة والصورة الحسنة وفق ما تشتهيهِ أهواؤنا
وتقتضيه مصالحنا، بل وفق ما تأمر به الشريعة.

كونوا حريصين على هويتنا الإسلامية:

وعلى أي حال فإن تصرف الإخوة المؤمنين متوقف على سلوك
الطرف الآخر فإن احترم قوانين الإسلام وحافظ على مقدساته ولم ينتهكها
فلا مانع من التعامل معه في ما فيه مصلحة البلاد والعباد، وإلا فالشكل الآخر
وعليهم أن يثبتوا صدقهم في ما يقولون وما يعلنون من أغراض وجودهم
كحفظ الأمن ومساعدة الناس على تحصيل حقوقهم، وعلى المسلمين أن
يكونوا حريصين على هويتهم الإسلامية بكل ما تتضمنه من عناصر العقيدة
والأخلاق والتصرف النظيف، ولا يفرطوا في شيء من ذلك تحت ضغط
أهواء النفس أو الحاجة الاقتصادية أو الانبهار بالحضارة الزائفة التي
تستبطن عوامل الانهيار والفناء وإن بدا وجهها براقاً.

وأشدّ في وصيتي على الشباب والنساء فإنهم الأكثر تعرضاً للانزلاق
وان استهدافهم أكثر من غيرهم فالمسؤولية عليهم مضاعفة لكن عطاءهم
الإلهي أعظم ويؤتيهم الله كفلين من رحمته إن هم تمسّكوا بدينهم
وبقرآنهم العظيم وسيرة النبي ﷺ وآله الطاهرين.

246

وقد كتبت عدة محاضرات طبّعت بكتاب عنوانه (نحن والغرب)
استعداداً لهذه المرحلة وما تتضمنه من تحديات وما تقتضيه من تكاليف،
فيجب الاستفادة منه وقراءته بإمعان وتطبيق ما فيه لنجتاز هذا الامتحان
بنجاح ونتأهل لنصرة الإمام المهدي المنتظر (عجل الله فرجه) في دولته

المباركة التي سيقمها على هذه الأرض الطيبة فلا تحرموا أنفسكم من هذه
الفرصة الثمينة.

وإني أكبر في هؤلاء الإخوة السائلين وعيهم وإخلاصهم وغيرتهم
وأسأل الله تعالى أن يؤجرهم على ذلك ويثبت قلوبهم في هذا الامتحان
الصعب وأن يجعلهم قدوة لغيرهم ويكثر من أمثالهم في صفوف الأمة
ويشملهم بالطف صاحب العصر (عجل الله فرجه) إنه نعم المولى ونعم
النصير.

محمد اليعقوبي

مايس / آيار ٢٠٠٣

تنظيم تظاهرات ضد قرار سلطة الاحتلال بنصب حاكم أجنبي (١)

سماحة الحجة آية الله الشيخ محمد يعقوبي (أدام الله ظله)..

بسبب ما هو حادث من سيطرة وتسلط قوات الاحتلال على بلدنا العزيز عموماً والقوات البريطانية على محافظة البصرة خصوصاً وممارسة تنصيب حاكم عسكري بريطاني لإدارة محافظة البصرة وتسويق قضية الجماهير المطالبة بترشيح محافظ عراقي مخلص قامت الجماهير المؤمنة الغيورة على دينها ووطنها بمظاهرة سلمية قُدِّر عدد المتظاهرين فيها بمائة ألف متظاهر أو يزيدون ولمسافة طويلة وفي حرٍّ شديد حتى قيل إن درجة الحرارة فاقت الخمسين مئوية من أجل تحقيق مطالبها برفض الحاكم البريطاني وترشيح مجلس إداري يمثل الجماهير، شيخنا المفدى هناك عدة أسئلة: ():

- ١- بما أن منبر الجماهير هو المظاهرات السلمية فهل تؤيدون هكذا مظاهرات للضغط على قوات الاحتلال؟
- ٢- لوحظ مشاركة فاعلة ومؤثرة للعشائر فما هو توجيهكم لشيخ العشائر وأبنائها؟
- ٣- لوحظ أن قوات الاحتلال أعادت النظر في خططها عند قيام هكذا مظاهرات، فهل توجهون نحو أقامتها في بقية المناطق عند قيام قوات الاحتلال بمثل هذا الأمر؟

ليف من جماهير محافظة البصرة -- ١٨ ربيع الثاني ١٤٢٤

بسمه تعالى

نحمل حقوقنا على اكتافنا:

١- قال تعالى: [وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا] (النساء: ١٤١)، فلا يجوز تسلط غير المسلم على المسلم فمن حق المؤمنين الملتزمين أن يطالبوا بأن يدير شؤونهم مسلم ملتزم نظيف كفوء لم يتورط بظلم الناس، وهذا مطلب تقره الإنسانية كلها بأن لا يفرض على الناس شخص من غير إرادتها فلماذا المماطلة والرفض؟ وحينئذ فيجب على المؤمنين المطالبة بحقوقهم المشروعة بالوسائل السلمية كالحوار والتفاوض فإن لم يفلح فالمظاهرات السلمية التي ترفع شعارات واضحة وواعية تعبر عن إرادتها وما دام تحصيل الحق ممكناً بالمرتبة الأدنى فلا ينتقل الأسلوب إلى المرتبة الأعلى، وقد تابعتُ من خلال القرص الليزري التظاهرات المباركة التي جرت في مدينة البصرة الحبيبة والقريبة إلى كل المؤمنين الأغيار الموالين لأهل بيت العصمة عليهم السلام لما تتميز به من وعي وإيمان وحماس وغيره على الدين والأمة فوجدتها نظيفة وصادقة ولا تطلب أزيد من حقها فعلى الطرف الآخر الاستجابة للحق وعدم المماطلة والتسويف ولا يقف حجر عثرة في طريق تحصيله فإن هذه الجموع لا ترضى بغير تحقيق ما خرجت من أجله وإن فعل المرجفين والمخذلين والمشككين محرم وفيه إضعاف لعزيمة الأمة وخلخلة لصفوفها وهي جريمة كبيرة وإذا كان في هذا الطريق أذى وألم ومعاناة فما أحلاه في سبيل الله تعالى إذا كان جزاؤه رضاه تبارك وتعالى ومرافقة أوليائه.

الثبات في الموقف:

٢- سررتُ بهذه المشاركة لما شاهدت الأمة بجميع فئاتها تقف صفاً واحداً لانتزاع الحق، وسررتي أكثر وجود شيوخ العشائر وأبنائها برغم الحر الشديد وطول المسافة والظروف العصيبة التي تحيط بالأمة وبرغم المحاولات الكثيرة للالتفاف عليهم وفصلهم عن مرجعيتهم الدينية الشريفة بوسائل المكر والخداع والإغراء إلا أنهم كانوا كما أرادهم الله ورسوله وأمير المؤمنين [وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا] (النساء: ٢٧)، وذكرونا بأولئك الأجداد الأماثل الذين كانوا اليد الضاربة للمرجعية الشريفة، وكم أودُّ أن أكون بينهم لأعيش تلك المشاعر النبيلة، فاثبتوا على دينكم والتزموا حوزتكم الشريفة ولا تتركوا بينكم ثغرة ينفذ منها من لا دين له.

احترام ارادة الجماهير المسلمة:

٣- لا بد لهم أن يحترموا إرادة الجماهير وقد بينا في جواب السؤال الأول أن هذا الوجوب ليس مختصاً بأهل البصرة الشرفاء فقط، وإنما هو حكم شرعي ينتجُ كلما تحقق موضوعه.

أدعو الله تبارك وتعالى أن تنالوا حقوقكم وأن يثبتكم على الصراط المستقيم ويجعل عواقب أموركم إلى خير ويختم لكم بالحسنى إنه نعم المولى ونعم النصير.

هل لأمريكا الفضل في حصول التغيير^(١)

خيانة المستعربين:

تدّعي أمريكا أنها هي صاحبة الفضل على الشعب العراقي في تحريره من ظلم الطاغية وحكمه المشؤوم، ومن المؤسف أن الكثيرين قد وقعوا في هذا الوهم ويشعر البعض انه مدين للولايات المتحدة في ذلك وبعضهم ممن يسمون بالإسلاميين؛ لذا تجدهم موافقين على كل ما تمليه عليهم الولايات المتحدة وإن كان فيه مصادرة لاستقلالهم ولأرادتهم ولحقوق شعبهم.

لذا وجب تصحيح هذا الوهم من خلال عدة نقاط:-

الفضل إنما هو لشعبنا بإسقاط النظام:

١- إن الشعب بجهاده المتواصل ضد النظام وتضحياته الكثيرة ورفضه الشديد للحكام المتسلطين أوجد حالة من الرفض والكرهية والانعزال والمحاصرة للنظام مما أوجب سقوطه وانهاره من دون قتال يذكر، بحيث لم تقع معركة حقيقية طويلة الحرب، وكل الذي حصل هو مناوشات متفرقة وعمليات فردية حتى بغداد التي هي عاصمة النظام وموضع اعتناؤه المكثف لم تقا، وأي حكومة إذا كانت مرفوضة ومعزولة ومقاطعة من قبل الشعب فإنها تسقط لأنها لا تمتلك مصادر القوة والبقاء، ولو كان الشعب

(١) الكلمة التي أُلقيت في أهالي مدينة الكوت وقضاء الحي بتاريخ ٢ جمادي الأولى ١٤٢٤

ملتفاً حول قيادته لكان على الولايات المتحدة أن تدفع ثمناً باهظاً من دون أن تحقق شيئاً.

٢- إن أمريكا وإن كانت أفضل من النظام في بعض الجهات المعلومة لديكم، إلا أنها أضرت علينا من جهات أخرى هي أهم فإن أساليب الطاغية وإن كانت شرسة وهمجية في إيذاء الشعب وحرمانه، إلا أنها واضحة ومكشوفة مما جعل رد الفعل يكون واضحاً، وهو انتشار الالتزام الديني لذا فإنها لم تكن خطراً على الحركة الدينية المتصاعدة، ولم تمنع من نموها وانتشارها ومازلنا نشهد بركاتهما العميمة.

المواجهة الجديدة:

أما المواجهة الجديدة فهي أخلاقية وعقائدية وفكرية واجتماعية مع انفتاح وانفلات ودغدغة لشهوات النفس الأتارة بالسوء وتوسع مادي، فهي أخبث وأخفى وأخطر وقد لا ينجو فيها من نجى في الامتحان السابق؛ لذا فإن المسألة تحتاج إلى همة عالية وجهد إضافي واعتصام مكثف بالله تبارك وتعالى، مثل هذه المحنة عبر عنها أحد أصحاب رسول الله ﷺ إننا نجحنا كلنا في امتحان الشدة والبلاء في عهد رسول الله ﷺ لكن أكثرنا فشل في امتحان النعمة والرخاء التي حصلت بسبب الفتوحات الإسلامية وتوسع الدولة الإسلامية بعد وفاة رسول الله ﷺ، بحيث صار يقاتل بعضهم بعضاً وخرج عدد منهم على أمير المؤمنين ع السلام يقاتله وهو صاحب أوضح حق في إمامة المسلمين بالنص والاختيار والشورى والاستحقاق.

المخطط الحقيقي هو القضاء على منابع الإسلام:

فنحن إذن لم ينته تمحيصنا ولا اختبارنا بزوال النظام، وإنما انتقلنا إلى نمط جديد من التمحيص هو أشد على النفس، وسنة التمحيص المتدرج في الشدة جارية خصوصاً على هذا الشعب الكريم لإعداده لنصرة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) الذي جاء هؤلاء لتطويقه ومحاصرته وسلب القدرات و منابع القوة الموجودة في هذه الأرض، حتى لا يجد الإمام (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ما يعينه على حركته، وإنهاء القواعد المؤمنة به والمستعدة لنصرته بكل أشكال الإنهاء، كما فعل فرعون مع قوم موسى عليه السلام حين علم أن نهايته على يد رجل منهم فأخذ يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم، لكن فرعون كان مهتماً بالقضاء المادي على أعدائه المحتملين، أما هؤلاء فيضيفون إليها القتل المعنوي بمسح القيم الروحية وسلخ الناس عنها وإبعادهم عن مصدر قوتهم الحقيقية وهو الإيمان بالله تعالى.

ورد في تفسير قوله تعالى (ويقتلون النبيين) عن الإمام أن ذلك بتحريف تعاليمهم وتمييع دعوتهم وعزلهم عن مؤيديهم، وتشويه صورتهم في أعين الناس، وهو أسلوب أخطر في القضاء على الدعوات الإصلاحية وعلى المصلحين من القتل الجسدي الذي يصنع من الضحية بطلاً شعبياً تلتف الجماهير حوله وتزداد إعجاباً به وأخذاً بأفكاره وقد رأيتم كلا الشكلين في حياة الشهيد الصدر الثاني عليه السلام فقد كان القتل المعنوي لتشويه سمعته وأنه عميل للدولة وأنه زرع الفتنة والتشكيك في اجتهاده كان أقسى عليه من القتل المادي الذي رفعه مكاناً علياً وأدى إلى التفاف الجميع عليه

عكس الأول، وقد عبّر قُلَيْبٌ عن فترة القتل المعنوي أوائل مرجعيته بأني عشتها بأعصابي، فكونوا واعين لهذه المخاطر فاني أرى أن كثيراً من الناس قد وقعوا في هذا الفخ الخطير.

الغرب المادي:

٣- إن أمريكا وبريطانيا وكل القوى المادية لا تفكر إلا بمصالحها، أما القيم والمبادئ الإنسانية فهي آخر ما تفكر فيه بل لا تفكر فيه إلا بمقدار ما يخدم مصالحها، فلا نصدق أنها جاءت لتحريرنا، نعم قد تلتقي مصالحها مع مصالحتنا فتفعل ما يبدو أنه خدمة لنا، إلا أن الواقع أنها مملوءة أنانية فلا تفكر إلا في نفسها، وهذه الصفة من المراكز الأساسية للشخصية الغربية المبنية على الأسس المادية.

الالتفات إلى العدو الداخلي:

٤- إن الشعب وإن تحرر من شكل من أشكال الظلم إلا أنه بقي مهدداً بالظلم الأكبر، وهو ظلم النفس الأمانة بالسوء التي تدعو إلى معصية الله تبارك وتعالى، وتجرب صاحبها إلى المهالك وتجعله عند الله أهون هالك - كما في الدعاء - هذا العدو الذي نحمله في داخلنا يكون معنا في السر والعلن ويجري في عروقنا مجرى الدم، وقد وصفه الحديث الشريف بأنه (أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك) فنحن لم نتحرر من (الظلم) كل الظلم وإنما تحررنا من (ظلم) أي شكل من أشكال الظلم وبقي الأهم، لذا كان جهاد النفس هو الجهاد الأكبر والفوز فيه هو الفوز الحقيقي، ويؤازره

عدو آخر هو الشيطان الذي لا يفارقنا حتى الموت وقد وصفه الله تبارك وتعالى بالعدو المبين، وهو يزيّن المعصية ويغري الإنسان بها بشتى الأساليب حتى يوقعه بها ولا يهدأ باله إلا بذلك وقد حذرنا القرآن منه أشد تحذير. ينقل عن أحد الواعظين انه قال يوماً لحضار مجلسه إني قد أخبرت عن طريق أحد الثقة أن لصاً بينكم ويريد أن يسرقكم، فاهتم الجالسون بالأمر وحرص كل منهم على ما يحمل واخذ الحيطه والحذر، فقال الواعظ مؤنباً إلا تهتمون بدينكم كاهتمامكم بديناركم ودرهمكم، فتحمون دينكم من سارق لا يغيب لحظة عنكم ولا يرضى بغير إدخالكم في جهنم، وخسارتكم في الحياة الباقية وقد أخبركم عن تربصه بكم الله تبارك وتعالى أصدق القائلين.

التغيير الحاصل هو نتيجة لإصلاح النفس:

٥- إن التغيير وإن حصل ظاهراً على يد الولايات المتحدة وحلفائها وهو صحيح لأن الظالم لا يقدر عليه إلا من هو أظلم منه إلا أن المسبب الحقيقي هو الله تبارك وتعالى وبيده الأمور كلها [لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ] (الأعراف: ٥٤)، وما هذه الأسباب الطبيعية إلا وسائل وأدوات يهيئها الله تبارك وتعالى عند تحقق الشرط، وشرط تغيير الظلم وإزالته هو عودة الأمة إلى ربها ودينها والتزامهم بشريعته قال تعالى: [إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ] (الرعد: ١١).

فعندما حققتم الشرط وبدأت الحياة الدينية تدب في المجتمع وأصبح الإسلام هو خيار الجميع، ووصلوا إلى مستوى التضحية بالنفس في سبيل الله

تعالى أذن الله بالتغيير الذي يستحقونه، ولولا هذا الإذن لما استطاعت أمريكا ولا كل القوى المادية أن تفعله كما ورد في الحديث (إن إزالة جبل من مكانه أهون من زوال ظالم قبل أوانه).

فاعملوا على تحرير أنفسكم من أنفسكم فإنها مرهونة بأعمالكم، فاستبقوا الخيرات وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، وحطموا الأغلال النفسية والفكرية والاجتماعية التي تعيق تكاملكم، وإن ظهوركم ثقيلة بأوزاركم فخففوا عنها بالاستغفار وأكثروا من الطاعات وتنافسوا لنيل رضى الله تبارك وتعالى فإن الله تبارك وتعالى بعث أنبيائه لتحريركم وتخليصكم من هذه الأغلال، قال تعالى [وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ] (الأعراف: ١٥٧).

ويوجد تفصيل لهذا الكلام في كتاب (نحن والغرب) وكتاب (كونوا أحراراً) وهو من حلقات سلسلة (نحو مجتمع نظيف).

أسأل الله تعالى لكم الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة إنه ولي النعم.

رسالة مفتوحة (الرسالة الأولى) إلى مسؤول الإدارة المدنية لقوات الاحتلال في العراق^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

تناقلت الأنباء تصريحات لمسؤول الإدارة المدنية لقوات الاحتلال (بول بريمر) يقول فيها انه سيستعمل حق النقض ضد إقرار الإسلام كمصدر أساسي للتشريع في الدستور العراقي المؤقت أو الدائم. وتصريحه هذا يذكرني بالحديث الشريف (رحم الله امرأاً عرف قدر نفسه حتى لا يوردها موارد الهلكة) فيبدو أنه لم يعرف حدود اللياقة في الحديث فأقحم نفسه في ما ليس له حق فيه، وقد بين الحديث الشريف عاقبة من يفعل ذلك، لذا الفت نظره إلى عدة نقاط:

١- إنه من أعطاه حق النقض حتى يتحدث عن استعماله وان القوانين الدولية تحدد صلاحيات المحتل ومسؤولياته وليس منها هذا التدخل السافر في خصوصيات أهل البلد المحتل التي يقررونها بأنفسهم كما هو شأن كل الشعوب والأمم.

٢- إن مثل هذه الكلمات تكشف عن نواياهم الحقيقية من حربهم على العراق واحتلاله وتزييف ادعاءاتهم بأنهم جاءوا للتحرير، فمن جهة يقولون إن الدستور يجب أن تكتبه أيدي عراقية لأنه شأن عراقي، ومن

(١) أُلقيت على المئات من أبناء مدينة بغداد الذين وفدوا لتهنئة سماحة آية الله الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على سلامة الوصول بعد أداء مناسك الحج لموسم ١٤٢٤ وكان ذلك

في الأول من محرم عام ١٤٢٥ المصادف ٢٠٠٤/٢/٢٢.

جهة أخرى يتحدث عن معارضته لتدوين فقرات تعبر عن إرادة الشعب واختياره، وهذا يعني أن أحد أهدافهم هو تغيير ثقافة هذا الشعب وطريقة حياته ونمط سلوكه وشكل النظام الذي يحكمه وهذا ما ياباه الشعب العراقي الأبى الغيور الملتزم.

٣- إن من حق كل شعب أن يثبت في دستوره معالم حضارته وثقافته وتاريخه وتوجهاته في الحاضر والمستقبل، وتجد ذلك واضحاً في دساتير كل الأمم فإنها ترسخ كل تلك القيم والمبادئ والمعالم، والإسلام هو منبع ثقافة هذه الأمة وأساس حضارتها والصورة المشرفة لتأريخها، فلماذا تمنع هذه الأمة دون غيرها من الأمم من ممارسة هذا الحق المشروع؟ عجباً عجباً.

٤- إن الذي يخيف بريمر والغرب ليس كل الإسلام، فإنهم يعلمون أن هذه الشريعة الإلهية هي نظام حضاري للحياة وفيه مقومات التجدد والإبداع والتكيف ومواكبة المستجدات والانسجام مع تطورات الحياة ونموها وهو يلتقي مع المبادئ الإنسانية التي يتفق جميع البشر على أحقيتها بل إليه ترجع ومنه تصدر، فهو يحترم حرية المعتقد [لا إكراه في الدين] (البقرة: ٢٥٥) ولا يطلب من الآخرين إلا الاستماع إليه، ثم هم أحرار في الاقتناع وعدمه، وهو يكفل لهم أمنهم على كلا التقديرين [وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قومٌ لا يعلمون] (التوبة: ٦)، وهو منفتح على الحوار مع الآخرين [قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم] (آل عمران: ٦٤)، وقيم الحق [وزنوا بالقسطاس المستقيم] (الإسراء: ٣٥)، ويدعو إلى المساواة [أني لا

أُضِيعَ عَمَلٌ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مَّنْ ذَكَرَ أَوْ أُتِيَ] [آل عمران: ١٩٥]، ويحكم بالعدل والإنصاف [إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ] (النحل: ٩٠)، ويرفض الظلم [وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ] (الأعراف: ٨٥) وغيرها كثير، فماذا يريدون أفضل من هذه المبادئ لتسود النظام الإنساني؟

نعم، هم يخافون من الإسلام قدرته على تقديم مشروع حضاري بديل عنهم، ورفضه لأي حكم لا يستند إلى شرعية من دين الله تبارك وتعالى، ومقاومة الظلم والاستكبار والتسلط بغير حق، ومن دون ذلك فهم لا يمانعون من تسليم زمام الحكم للأحزاب الإسلامية، مع إظهار رفضهم لشيئين رئيسيين في الإسلام: وهما نظام الحكم فيه المبتني على ولاية الفقيه، وقانون العقوبات وهذا ناشئ من عدم فهمهم العميق للإسلام، فإن نظام العقوبات لا يكون ناجحاً وفعالاً إلا إذا كانت الجوانب الأخرى للنظام الإسلامي مطبقة، أي أن الاقتصاد إسلامي والمجتمع إسلامي والقضاء إسلامي ونمط السلوك والبيئة الاجتماعية إسلامية، وإلا فلا تقطع يد السارق إذا دفعه إلى ذلك الحرمان والعوز وسوء توزيع الثروة وعدم وجود فرصة العمل، أما إذا كان وضعه الاقتصادي مؤمناً ورزقه مكفولاً ومع ذلك يسرق عناداً أو تمرداً فإن قطع يده يكون مبرراً ومفهوماً.

٥- إن المطلعين على طبيعة الشعب العراقي وتوجهاته وانتمائه العقيدي وتاريخ حركته يعلمون أن هذا الشعب قد يسكت على هضم حقوقه وهدر ثرواته لا ضعفاً وجبناً وإنما انتظاراً وتربصاً، لكنه لا يسكت إذا مس عقيدته ودينه شيء، وهو لم يرفض نظام صدام ويقف في وجهه متحملاً بطشه وقسوته ووحشيته الدموية إلا لأنه حارب شعائر الإسلام

وهتك حرماته وقتل علمائه ومنع هذا المجتمع المؤمن من التعبير عما تقتضيه عقيدته؛ لذا من المحتمل أن ينتفض الشعب ويرفض الظلم والاستبداد ومصادرة الحريات من دون الرجوع إلى أحد أو استئذانه، حتى المرجعية الدينية باعتبار أنه تعلم ذلك من القرآن الكريم ومن سيرة أهل بيت النبي ﷺ قال تعالى: [وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ] (هود: ١١٣) [وَأَلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ] (البقرة: ٢١٧) والفتنة هي الإبعاد عن الدين بالإكراه أو بالتضليل أو بالإفساد، كما فعلت الجماهير في الانتفاضة الشعبانية المباركة عام ١٩٩١ ولم تستأذن أحداً من مراجع الدين فيها.

ويبدو أن المدة التي قضاها بريمر في العراق والمعلومات التي حصل عليها غير كافية لمعرفة هذه الحقائق والالتفات إليها، بل إنه أساء حتى في اختيار الزمن إذ الأمة مقبلة على شهر محرم الحرام الذي تفور فيه شرايين الأمة بدماء التضحية والفداء وتمتلئ القلوب بحب الشهادة في سبيل الله تعالى متأسين بأبي الأحرار الحسين بن علي عليه السلام الذي جاد بكل شيء في سبيل الله وللغوز بكرامته ولم يترك عذراً لكل أحرار العالم في السكوت على الظلم والقهر والحرمان والاعتداء على الإسلام العظيم.

لذا أحببت تسجيل عدد من الحقائق في هذه الرسالة المفتوحة إعداراً وإبراءً للذمة أمام الله تعالى [إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ] (محمد: ٧).

رسالة مفتوحة (الثانية) إلى مسؤول الإدارة المدنية للعراق بول بريمر^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

إن من أولويات المرجعية الدينية حفظ كيان المجتمع وحماية أرواحهم وممتلكاتهم والدفاع عن حقوقهم وإقامة نظام المجتمع المدني بآلياته المتحضرة ولذا كان لها الدور الرئيسي في حفظ البلد من الوقوع في كوارث عديدة كالحرب الأهلية وحماية الممتلكات والمؤسسات العامة من السلب والنهب وغيرها من الأخطار التي كان أعداء الشعب والنظام المقبور قد اعدوا لها.

وقد تصرفت المرجعية الدينية عبر المراحل التاريخية ومنها الحالة الحاضرة بحكمة عالية وضبط نفس كبير كلفها الكثير من التضحيات بالأرواح والكرامة الشخصية أحيانا في سبيل المصلحة العامة، ونتيجة لذلك ولصفات سامية أخرى فيها فإن لها مكانة مقدسة في قلوب أتباعها الذين يرون أن أقل ما يقدمون في سبيلها هي التضحية بالنفس.

(١) أطلقها سماحة الشيخ (دام ظله) يوم زيارة الأربعين العشرين من صفر عام ١٤٢٥ المصادف ٢٠٠٤/٤/١١ بعد تهديد الإدارة الأمريكية باجتياح مدينة النجف وغيرها، وقد وصلت الرسالة إلى مكتب المعني بها لتوجيه النصيحة إليه باعتباره لم يسمع من مستشاريه عراقيين وغيرهم - مثل هذا الكلام، وكان وزير الدفاع الأمريكي رامسفيلد قد أمهل المدن المقدسة إلى انتهاء زيارة الأربعين لاقتحامها فوجهت إليه هذه النصائح قبل اتخاذ مثل هذا القرار، ولم يحصل الاقتحام المذكور.

هذه الحقيقة يجب أن يعلمها بدقة كل من يتعامل مع القضية العراقية لكي تكون قراراته بعيدة عن الأخطاء التي تكون مميتة أحيانا كما في المرحلة الحاضرة حيث تهدد الولايات المتحدة باقتحام مدينة النجف الأشرف لأهداف معلنة وغير معلنة، وهو ما سيجعل الأرض محروقة ليس فقط تحت أرجل الشعب وإنما تحت أرجل قوات الاحتلال أيضاً، وقد بلغتنا أخبار عن وجود تيار واسع لدى العشائر وشباب المحافظات المختلفة للدخول في مواجهة مفتوحة إن تعرضت النجف أو المرجعية الدينية أو العتبات المقدسة للانتهاك والاعتداء بشكل مقصود أو غير مقصود وهذا ما تحاول المرجعية تجنب وقوعه بكل ما تستطيع لكنه إذا وقع فربما سيكون للمراجع رأي آخر.

إن الانفجار الأخير الذي حصل لم يكن وليد أحداث آنية مهما كانت مهمة في ذاتها وإنما جاء كنتيجة طبيعية لخزين من الغضب والرفض بسبب تراكم من تجاهل شرائح واسعة من الشعب والتفريط بحقوقه وعدم العمل الجاد لإصلاح وضع البلد وتحسين أحوال الأمة وتسوية الانتخابات والاستخفاف بقيمة الشعب ومبادئه ورموزه ومقدساته وعدم مراعاة المبادئ الإنسانية في التعامل معه وهي كلها قنابل موقوتة يمكن أن تنفجر في أي لحظة.

إن القمع بقوة الحديد والنار ليس حلاً بل انه يؤدي إلى عنف أشد وهذه حقيقة لا ينكرها أحد خصوصاً في الوسط العراقي الشيعي المحتقن والمتحمس لكل حركة نتيجة بطش الأنظمة السابقة وقسوتها وجرائمها التي لم يشهد لها التاريخ مثيلاً.

لذا فلا بد من الالتزام بمنطق العقل والحكمة في حل القضايا فليلتزم الطرفان أولاً بوقف العمليات العسكرية وانسحاب القوات الأجنبية إلى خارج المدن والمسلحين من شوارعها وعودة الأجهزة الوطنية مدنية وعسكرية لأداء دورها الطبيعي في حفظ الأمن واستتباب النظام، ومن ثم مناقشة القضايا العالقة حتى نصل إلى إجراء تقييم شامل جديد لمجمل العملية السياسية يجري على أساس من الإنصاف والشفافية تشارك فيه جميع الأطراف المعنية بالقضية العراقية ولا يتجاهل فيه دور أي عراقي لأنه مستقبلهم جميعاً.

إننا كما تعتصر قلوبنا ألماً للمشاهد المفجعة التي تحصل في مدن العراق خصوصاً ما حصل في النجف والشعلة ومدينة الصدر والفلوجة، كذلك نتألم لحال الأسر الأمريكية التي تنتظر عودة أبنائها سالمين لتحضنهم بفرح وإذا بها تستقبل جنائزهم.

إن الولايات المتحدة اليوم أمام تحدي كبير في العراق لأنها رمز حضارة الغرب ونموذجها الأول وهذه الحضارة كلها أمانة في أعناق الأمريكيين فإما أن يثبتوا للبشرية مصداقيتهم في حملها وإعطاء صورة مقنعة عنها للشعوب وإما أن تتهاوى هذه الحضارة وسوف لا تقوم لها قائمة وتقابل بالاشمئزاز والكراهية.

إننا نطمح أن تنشأ بين شعبينا علاقة احترام متبادل بعد زوال الاحتلال لأننا نعتقد أن الشعب الأمريكي عنده الكثير مما نريد أن نستفيد منه، كما أن عند شعبنا العريق في الحضارة الكثير مما يمكن انتفاع الشعب الأمريكي منه في ظل حوار ودي بناء. لكن كثرة التصرفات الخاطئة تزيد من الكراهية

والعداوة وان كثيراً ممن رَحَّبوا بقدوم القوات الأمريكية قبل عام تحولوا إلى أعداء.

نذكركم أيضاً أن مدينة النجف الأشرف ستستقبل بعد ثمانية أيام مناسبة دينية ضخمة في ذكرى وفاة نبي الإسلام محمد ﷺ حيث يفتد الملايين من المؤمنين إلى النجف وهي لا تقل أهمية عن ذكرى زيارة الأربعين في مدينة كربلاء المقدسة التي تصادف اليوم. أرجو أن تؤخذ جميع هذه الأمور بنظر الاعتبار بعقل مفتوح ونية مخلصنة لنصل إلى ما يحفظ مصالح شعوبنا.

محمد اليعقوبي - النجف الأشرف

٢٠ صفر ١٤٢٥ - ١١ / ٤ / ٢٠٠٤

لقاء سماحة الشيخ يعقوبي (دام ظله) مع السيد أشرف قاضي رئيس بعثة الأمم المتحدة في العراق

إنكم^(١) تابعتم الحالة العراقية ووجدتم بالتأكيد موقفاً موحداً من قبل المرجعيات الدينية لأن هدفها واحد وهو خدمة الإنسان وبنائه بناءً صالحاً وتوفير أسباب السعادة والسلام له لذا فأني سوف لن أكرر ما سمعتموه من المرجعيات التي قمتم بزيارتها.

أن دور الأمم المتحدة حيوي وضروري ونحن طالبنا من أول يوم بعد سقوط النظام الوحشي بأن يكون لها دور حاسم، لكن الولايات المتحدة يبدو أنها كانت تظن أنها قادرة على أن تدير العملية بمفردها فلذلك لم تصغ كثيراً لهذه الدعوات أو لم تعطِ لها الفرصة المناسبة رغم وجود تمثيل لها في العراق من خلال رئيس بعثتها البرازيلي دوميللو الذي قتل بعملية تفجيرية في أب ٢٠٠٣ لكن هذا الوجود لم يكن فاعلاً وبعد أن ارتكب الأمريكيون سلسلة من الأخطاء والإخفاقات أذعنوا بالحاجة للجهد الدولي

(١) استقبل سماحة آية الله الشيخ يعقوبي (دام ظله) السيد اشرف قاضي رئيس بعثة الأمم المتحدة في العراق وعدداً من معاونيه ضمن زيارتهم لعدد من المرجعيات الدينية في النجف الأشرف، وبعد أن قدم السيد قاضي نبذة مختصرة عن دور بعثة الأمم المتحدة في العراق وتاريخها ونشاطها ونقل تحيات الأمين العام كوفي عنان، تحدّث له سماحة الشيخ (دام ظله) بما هو موجود في المتن. وكان المبعوث قد وعد في ختام اللقاء بإيصال نصائح الشيخ (دام ظله) إلى الإدارتين الأمريكية والبريطانية والأمين العام للأمم المتحدة.

في هذا القضية.

الواقع المازوم رهين إرادة جديدة للحل:

لكننا نعلم أن الأمم المتحدة وكل المنظمات الدولية والإقليمية ليست قادرة لوحدها على حل القضايا ومعالجة المشاكل، إذا لم تكن هناك إرادة جديدة للحل لدى الأطراف المعنية بالقضية، والواقع يشهد بذلك فالحرب الأهلية اللبنانية استمرت خمسة عشر عاماً ولم ينفع في حلها أي تدخل لأن كل طرف كان يريد فرض إرادته على الآخر، ولكن لما اقتنعوا بالجلوس إلى طاولة الحوار اجتمعوا في الطائف وأوقفوا الحرب وكذا الحرب الداخلية في الجزائر والتي استمرت عشر سنين وكلفت الجزائر حوالي مئة وخمسين ألف قتيل.

والذي نأمله أن لا تطول الفترة حتى يقتنع الفرقاء العراقيون بضرورة الحوار ونبذ العنف والاستعمال غير الشرعي للسلاح لأن كل يوم إضافي في عمر الفتنة يعني المزيد من الضحايا والتخلف والخراب وتعطيل الحياة.

لذا فإنني أعتقد أن دوركم ليس في تقديم المساعدات الإنسانية ونحوها من الأعمال الميدانية لأن لكم دوراً أهم من هذا أنه عمل فكري وثقافي بإقناع الفرقاء بثقافة الحوار والتسامح والمصالح المشتركة وتوزيع الاستحقاقات ولا معنى لحمل السلاح مع إمكانية تحقيق المطالب بالحوار.

وإنني متابع لأدائكم شخصياً وأثمن فيكم الكثير من المواقف الإيجابية التي تتميز بالموضوعية والإنصاف والحيادية التي هي كفيلة بإعطائكم ثقة لدى جميع الأطراف مما يجعلكم جهة صالحة لإدارة هذا

الحوار، في حين نجد أطرافاً عديدة متدخلة في الساحة العراقية إلا أنها لا تحظى بقبول جميع الجهات المعنية وهذا يثير الفخر والاعتزاز بشخصكم إلا انه في نفس الوقت يحملكم مسؤولية إضافية لتقوموا بهذا الدور الكبير.

الموقف الحكيم في الحفاظ على السلم الأهلي:

لاشك إنكم تابعتم أداء المرجعية الدينية التي هي الجهة الرئيسية التي تنصاع لها الناس وتطيعها تعاملت بحكمة كبيرة وبضبط نفس عالٍ، فبعد سقوط صدام شعر أهل السنة بالقلق وتركوا منازلهم وعطلوا مساجدهم ظناً منهم أن الشيعة ستنتقم منهم جراء الظلم والاضطهاد الذي لحق بهم من الأنظمة المستبدة المتعاقبة خصوصاً نظام صدام، لكننا أفهمناهم من اليوم الأول إننا وانتم أخوه على دين واحد وأبناء وطن واحد ولا نشعر تجاهكم بأي حزازة، ونحن لم نُظلم منكم بل من عصابة مجرمة لا إنسانية لا تعبا بأي قيم أو مبادئ وقد أصابكم أنتم شيء من ظلمهم، وقد وصف الدكتور محسن عبد الحميد في زيارته لي عندما كان رئيساً لمجلس الحكم إن هذه الحالة تشبه المعجزة، ثم سارت العملية بنفس الهدوء والحكمة منطلقين من ثوابتنا الدينية والأخلاقية والتي عززتها القوانين الدولية التي أجمع عليها العالم المتحضر أنه لا يجوز مؤاخذه البريء بجريمة الجاني وأن [لا تزرُ وازرةٌ وزرٌ أخرى] (الأنعام: ١٦٤) وملتزمين بقول الله تبارك وتعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ] (المائدة: ٨).

ولكن هل قابل الآخرون هذا الموقف النبيل بالحسنى كما أمر الله تبارك وتعالى [هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ] (الرحمن: ٦٠)، كلا، بل قابلوه بالنقيض فاستقدموا القتلة والمجرمين عن طريق الدول المجاورة وتحالفوا معهم ووفروا لهم حواضن الإرهاب، وبدأوا باغتيال الرموز السياسية والدينية من الشيعة كعقيلة الهاشمي عضو مجلس الحكم آنذاك، ثم قاموا بعملية مريعة عند الصحن الحيدري الشريف في النجف في أواخر آب ٢٠٠٣ استشهد فيها سماحة آية الله السيد محمد باقر الحكيم وأكثر من ثمانين من أبناء الإسلام البررة، ثم فجروا موكب الشهيد المفكر الإسلامي عز الدين سليم الذي كان رئيساً لمجلس الحكم، ثم قاموا بالتفجيرات البشعة يوم عاشوراء من عام ٢٠٠٤ في كربلاء والكاظمية وقتلوا المئات من الموالين لأهل البيت عليه السلام المفجوعين بمصائبهم، وصنعوا مثلاً للموت حسبما يتبجحون به في اللطيفية واليوسفية للذبح على الهوية، وهكذا توالى الاغتيالات والتفجيرات فطالت المدارس والأسواق وتجمعات الناس والمساجد والحسينيات، ونحن صابرون محافظون على تعاليم الله تبارك وتعالى ملتزمون بأن الحل هو في بناء قوات مسلحة وطنية تحمي المواطنين جميعاً وتمنع من تعدد الجهات الحاملة للسلاح عدا الدولة لئلا تقع حالة الفوضى والحرب الأهلية.

لكن الذي حصل أن هذا الموقف العقلاني أدى إلى نتيجتين عكسيتين مع الأسف.

الأولى: تمادي هؤلاء المجرمين في غيهم وولوغهم في المزيد من الجرائم حتى بلغ بهم الحال إلى تفجير العتبات المقدسة وتهجير أكثر من

عشرة آلاف عائلة إلى الآن وقتل العشرات من الأبرياء يومياً.

معادلة الابتزاز في أولويات السياسة الأمريكية:

الثانية: أن الولايات المتحدة أيضاً لم تحترم هذه الحكمة وبدأت تخضع لمبدأ الابتزاز الذي يمارسه هؤلاء المجرمون وبدأت تغير استراتيجيتها ومن آليات عملها لتتناغم مع عمل هؤلاء المجرمين، وكأنها تريد أن تقول لهم: إنكم إذا دفعتم شركم عن قواتنا فأعملوا بالعراقيين ما تشاؤون، والمهم أن لا تتعرضوا لنا وكأنها مسؤولة عن أمن الجندي الأمريكي فقط ولا يهتمها أمر المواطن العراقي.

وهذا منطق خطير أي منطق الخضوع للابتزاز بقوة السلاح وأخطر منه أن تخضع له الولايات المتحدة لأنه يؤسس لحالة سلب إرادة الآخر وفرض الموقف عليه بقوة السلاح، ولعلمهم غفلوا أن الشريحة الواسعة المظلومة في العراق تتميز بالشجاعة والحماس والعنفوان، وإذا حملت السلاح فسوف لا يقف في وجهها شيء وإذا قرروا ذلك فسوف يلقون بالمعتدين في الجحيم.

وهذا ما حذرنا منه وقلنا أنها حالة خطيرة أن تصاب الشعوب باليأس وفقدان الأمل لأنها سوف لا تجد أمامها حلاً إلا حمل السلاح كالذين ينتحرون وينهون حياتهم حينما يشعرون بأن لا أمل عندهم يعيشون من أجله.

الحذر من غضب الشعب العراقي:

وحينما يقرر شعب الموت فإنه سيقتل معه الكثيرين فاستمرار هذه الجرائم والعدوان على الشعب العراقي يفقده خياراته ولا يبقى أمامه إلا الموت لأنه لم يبق عنده شيء يعيش من أجله إذا كان الأبرياء رجالاً ونساء وأطفالاً يُقتلون والعتبات المقدسة والمساجد تفجر والعوائل تهجر تاركة ورائها دورها وأموالها وحينئذ تقع الكارثة.

وتستطيعون اللقاء بطبقات من الناس لتلمسوا عندهم بوضوح حالة اليأس، وإذا وصل الإنسان إلى هذه الحالة فسوف لا يستطيع أحد ضبطها والسيطرة عليها حتى المرجعية الدينية.

فالذي نريده منكم أن تعملوا حتى لا يصل العراقيون إلى هذه الدرجة من الشعور لأنه يعني الدمار ليس للعراقيين فحسب لما تعلمون من امتداد تأثير العراق على الدول المجاورة وغيرها روحياً واجتماعياً، ورأيت كيف أن صداعاً يصيب النجف تتداعى له دول العالم بالسهر والحمى.

العقد التي أصابت السياسة الأمريكية:

إن الإدارة الأمريكية تعاني من عدة عقد تسبب لها المزيد من الأخطاء التي تكون مميتة أحياناً ومنها:

- ١- الغطرسة وعدم الاستماع إلى النصائح وإلا فإنه كان يمكنها تجنب الكثير من المطبات لو استمعت إلى النصائح التي تضمنتها بياناتنا وخطاباتها التي وجهناها من أول يوم للتغيير.
- ٢- عدم وجود رؤية صحيحة للحالة العراقية لأن القنوات التي

توصل لها التقييم ليست نزيهة ولا موضوعية ولا خبيرة بالشأن العراقي وإنما توجهها مصالحها ودوافعها الشخصية أو الفئوية ولا يهمهم أن تمرغ سمعة دولتهم بالتراب.

٣- أنها لم تتصرف على الأرض كقوة مساعدة للعراقيين وإنما تصرفت كقوى احتلال، وهذا حولها في أنظار الشعب العراقي إلى عدو وأدخلها في مطبات خطيرة كان يمكن تجنبها، فبعد أن كان القادة الأمريكيان يقولون أن لنا أنصاراً في شرق بغداد عندما دخلوا مدينة الصدر قبل سقوط الصنم واستقبلوهم بحرارة، تغيرت المعادلة بسرعة وأصبحوا يقاتلونهم بعد عام واحد فقط.

وتصرفهم هذا كمحتلين منعنا من الاتصال بهم مباشرة لأن ذلك يعطي مشروعية لوجودهم ولكن متى ما غيروا سياستهم وأصبحوا في نظر الشعب العراقي قوة مساعدة فعلاً فحينئذ ستكون هناك فرصة للاتصال المباشر.

وفي ضوء هذا التقاطع يكون دوركم حيويًا ومهماً في إيصال النصائح لهم ليس فقط لأجلنا وإن كنا نستحق كل مساعدة لأننا تعرضنا للكثير من البطش والقسوة والاضطهاد والحرمان، ولكن أيضاً من أجلهم لكي يتجنبوا المزيد من الخسائر والمزيد من الترددي في سمعتهم لدى شعوب الأرض وأرجو أن تكونوا قناة طيبة.

التفاعل مع قضايا الإنسان:

وعلينا كشعب عراقي وأنا واحد منهم أن نشكر جهودكم لحرصكم

على إخراجهم من محنته ومساعدته لتجاوز أزمته، واهتمامكم بقضايا الشعب العراقي ليس انطلاقاً من وظيفتكم المهنية فقط وإنما لأن واجبكم الإنساني وإيمانكم بالله تعالى يحثكم على هذا، فإن الإنسان خليفة الله في الأرض وخلق كل ما في الكون من أجله وهو أعلى قيمة في الوجود، فلا بد أن يُسخر كل شيء من أجل إبعاده، لكن الثقافة السائدة اليوم مع الأسف هي استرخا ص الإنسان وجعله الضحية الأولى من أجل تحقيق مكاسب شخصية أو مصالح دنيا وهذه ثقافة خاطئة ومجرمة بحق الإنسان.

لقد أكد النبي محمد ﷺ على هذه الأهمية حينما سأل المسلمين عن قدسية الكعبة وعلو منزلتها، ثم قال إن حرمة المؤمن عند الله أشد من الكعبة، فمن الغريب أن يهتز العالم إذا مس بيت المقدس أو سائر المقدسات بسوء -وهو موقف مشكور- ولا يهتز أكثر من ذلك حينما يرى الدماء البريئة الزكية التي حرّمها الله تعالى تراق على أرض العراق يومياً بل أن البعض يبارك هذه الأفعال المنكرة ويشيد بها.

كما وندعو إلى تبني منظمة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة باعتبارها مسؤولة عن الثقافة والعلوم والحضارات الإنسانية أن تعقد مؤتمراً دولياً عن الروضة العسك رية المطهرة وسامراء التي فجرها الإرهابيون لوضع الخطط الكفيلة بإعمارها بالشكل الذي يحفظ قدسيتها وهيبتها، فإن مثل هذه الخطوة تساهم في تخفيف الاحتقان وتشعر المفجوعين بوجود تعاطف مع قضيتهم.

نحن ضد الاحتلال من دون أن نكون مع الإرهاب وضد الإرهاب من دون أن نكون مع الاحتلال^(١)

وقع الكثير من المتعاطين مع القضية العراقية في حالة من عدم التوازن في تعاملهم مع هذه القضية المعقدة ودخلوا في حسابات المصالح على حساب المبادئ، وهو يكون مفهوماً عند غير اتباع أهل البيت عليهم السلام لعدم استنادهم إلى أصول رصينة، أما من انتسب إلى أمير المؤمنين وعرف مبادئه واستقامته وتمسكه بالحق فإن هذه الحالة تُعدّ مخالفة منه لنهج علي بن أبي طالب القويم.

فترى من يزعم انه يرفض الاحتلال ويواجهه يقف مع الإرهابيين القتلة المجرمين من صداميين وتكفيريين ويتبنى مواقفهم ويشترك معهم في المؤتمرات، ويصافح أيديهم المملوطة بدماء الأبرياء من شيعة أهل البيت عليهم السلام الذين ذبحوا على الهوية.

ومن يقف في وجه المجرمين القتلة أعداء نهوض العراق وسعي أهله لاسترداد حقوقهم تجده يتبنى المواقف الأمريكية ويدافع عنها ولا يأبه بتدمير مدينة كاملة لمجرد أن عدداً من المسلحين -مهما كثر عددهم- قد اختطفوها من أهلها بقوة السلاح، ولا يشكّلون نسبة ١٪ منها، والباقيون أبرياء مغلوباً على أمرهم وفيهم النساء والأطفال والشيوخ قد أخذوا بجريرة

(١) وردت هذه الكلمات في حديث سماحة الشيخ مع وفد ضم العشرات من نقابة ذوي المهن الصحية في محافظة ميسان يوم ١٢ رجب ١٤٢٦ ونشرت في الصادقين على صفحتها الأولى من العدد (٣٠) الصادر بتاريخ ٢٦ رجب ١٤٢٦ الموافق ١ أيلول ٢٠٠٥.

غيرهم.

لا أستثني بكلامي هذا الجهات الإسلامية من داخل العراق وخارجه الذين عقدوا المؤتمرات واستضافوا الصداميين وشيوخ التكفيريين^(١) الذين يفتون بقتل شيعة أهل البيت عليهم السلام وولغوا من دمائهم بزعم أنهم مناهضون للاحتلال، وهم ليسوا كذلك وإنما يتخذون هذه الورقة لتضليل المتحجرين ودفعهم إلى القيام بالعمليات الانتحارية لتحقيق أهدافهم الطائفية والاستئثار بالسلطة.

وهذا تفكير خاطئ وسيئ، والموقف الصحيح المتوازن المستفاد من سيرة أهل البيت عليهم السلام أن نكون ضد الاحتلال من دون أن نكون مع الإرهابيين، وأن نكون ضد الإرهابيين من دون أن نكون مع الاحتلال.

(١) أشار سماحته بهذا إلى المؤتمر الذي عقد في بيروت بعنوان المقاومة واشتركت فيه أحزاب إسلامية شيعة لبنانية مع شيوخ التكفير والقتل في العراق وعدد من الصداميين.

القيادة الحكيمة تضع أصابعها على العلة وتصف العلاج

تفضل سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظلّه الشريف) بالإجابة^(١) عن مجموعة أسئلة توجه بها مدير مكتب (صحيفة نيوزويك) الأمريكية في بغداد قدّم خلالها خطوطاً عريضة لكيفية تخليص الوضع في العراق من محنته ووعده بتقديم التفاصيل إن وُجدت إرادة حقيقية لدى الفرقاء والقوى المؤثرة في الساحة لإيجاد حل.

كما تناول سماحته جملة من القضايا المهمة في الشأن العراقي كالفدرالية ونظام الحكم المناسب بعد أن ابتدأ حديثه بموجز لسيرته الذاتية ووجه في ختام حديثه رسالة إلى الشعب الأمريكي وهذا نصّ طلب مدير مكتب المجلة مع جواب سماحته.

سماحة المرجع الديني آية الله الشيخ محمد اليعقوبي..

السلام عليكم:

يود كادر مجلة نيوزويك في بغداد طرح الأسئلة أدناه على سماحتكم لتبينوا فيها آراءكم ولكم الحرية و المجال في بيان وجهة نظركم.

كيفن بيرايو - مدير مكتب نيوزويك - بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

عليكم السلام ورحمة الله وبركاته:-

سأحاول الإجابة باختصار لعدم علمي بالمساحة المخصصة للأجوبة

(١) تاريخ الإجابة: الجمعة: ٢/ذ.ق/١٤٢٧ المصادف ٢٤/٦/٢٠٠٦.

من المجلة و لوجود تفاصيل مهمة لما ترومون معرفته نشرتها في سلسلة (خطاب المرحلة) التي بدأت مع إرهابات إسقاط النظام الصدامي ووصل التسلسل الآن إلى (١٣٢) وهي و غيرها موجودة على موقعنا على الانترنت . (www.yaqoobi.com)

خلاصة السيرة الذاتية لسماحة الشيخ يعقوبي:

نيوزويك: ممكن أن تذكروا للمجلة شيئاً عن سيرتكم الذاتية وأين نشأتم ومن هو مثلكم الأعلى وكيف تأثرتم به؟.

سماحة الشيخ يعقوبي: ولدت في النجف الأشرف عام ١٩٦٠ يوم المولد النبوي الشريف وهي علامة فأل حسن لدى المسلمين، وانتقلت إلى بغداد عام ١٩٦٨ مع والدي الذي كانت له مسؤوليات في العمل الاجتماعي الذي يديره المرحوم الشهيد السيد مهدي نجل المرجع الديني الأعلى السيد محسن الحكيم في الكرادة الشرقية، أكملت دراستي في بغداد حتى حصلت على البكالوريوس في الهندسة المدنية عام ١٩٨٢ ولم ألتحق بالخدمة العسكرية الإجبارية يومئذ لأنني رفضت أن أكون جزءاً من المنظومة الظالمة التي كانت تخوض حرباً عدوانية على إيران وان كان موقعي أميناً ومغربياً ومكثت في البيت متخفياً لا اخرج إلا لضرورة عكفت خلالها على الاستفادة من المكتبة الكبيرة التي تركها لنا والدي المتوفى في نفس السنة.

276

وفي عام ١٩٨٥ أتاحت لي فرصة الاتصال بشكل سري عبر عدة وسائط بالشهيد السيد محمد الصدر □ وبعد انتهاء الحرب العراقية الإيرانية

عام ١٩٨٨ خفت قبضة النظام نسيا وصرت أتحرك بحرية وكذا بدأ السيد الشهيد الصدر الثاني تدريسه وبحثه وصرنا نلتقي مباشرة.

و في أحداث الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١ جعلني رئيسا لإحدى اللجان الخمسة وهي السياسية والإعلامية في اليوم الأخير قبل اقتحام قوات الحرس الجمهوري مدينة النجف و اعتقال السيد الشهيد.

وبعد الانتفاضة ارتدت الزي الديني مطلع عام ١٩٩٢ والتحقث بالدراسة الدينية و قطعت أشواطها بسرعة حتى حضرت الدروس العليا عند كبار العلماء السيد الشهيد الصدر (خمس سنوات) و السيد السيستاني (خمس سنوات) و الشيخ محمد إسحاق الفياض (أربع سنوات) و الشهيد الشيخ ميرزا علي الغروي (سنتان).

وبعد استشهاد السيد الصدر عام ١٩٩٩ و إغلاق مكتبه بحادثة مفتعلة أعدت النشاط الاجتماعي و التدريس و اللقاء بالناس في مسجد الرأس الشريف المجاور للصحن الحيدري حتى أصبح مركز إدارة وقيادة أتباع السيد الشهيد الصدر الثاني والحركة الإسلامية المتصاعدة مما أربك النظام وجعلني تحت المراقبة المكثفة.

ولم أعلن اجتهادي إلا بعد سقوط النظام مباشرة حيث أقمت صلاة

الجمعة في صحن الكاظمين في بغداد في ٢٥/٤/٢٠٠٣ بحضور عشرات الآلاف امتلأ بهم الصحن الشريف و المساحة المجاورة له و دعوت الناس إلى المشاركة في تظاهرة يوم ٢٨/٤/٢٠٠٣ للمطالبة بدور أساسي للمرجعية الدينية و الحوزة العلمية و عراقيي الداخل (كما يسمونهم) في العملية السياسية و كانت من أكبر التظاهرات التي شهدتها العراق الحديث امتدت

عدة كيلومترات ما بين ساحة المسرح الوطني و ساحة الفردوس ، و تجدون تفاصيل أخرى في كتاب (الشهيد الصدر الثاني كما عرفه) و كتاب (محمد اليعقوبي من الذات إلى المجتمع) و كتاب (الشيخ موسى اليعقوبي: حياته - شعره) و كتاب (قناديل العارفين) وغيرها.

ومثلي الأعلى هو قدوة كل البشر الذي جعله الله تعالى لنا أسوة حسنة حين قال تبارك وتعالى: [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ] (الأحزاب: ٢١) وهو محمد رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب أمير المؤمنين و الأئمة المعصومون من ذريتهم، وأراجع باستمرار سيرتهم و كلماتهم الشريفة لأستفيد منها و أتأسى بها و سجلت استفادتي من قيادتهم المباركة في عدة كتب وهي (الأسوة الحسنة للقادة والمصلحين) و (دور الأئمة في الحياة الإسلامية) و (شكوى القرآن).

مشروع حزب الفضيلة كانت بواكيره في زمن صدام:

نيوزويك: ما هي الأهداف الاستراتيجية لحزب الفضيلة الإسلامي؟
 سماحة الشيخ اليعقوبي: كان مشروع تأسيس الحزب في ذهني قبل السقوط لعلمي بانهيار النظام و سقوطه و عرضت أفكارا مجملة على الدكتور نديم الجابري و عدد محدود من الإخوة لقوة بطش النظام وفتكه بأي مشروع من هذا القبيل، وبعد السقوط مباشرة ذهبت إلى بغداد و اجتمعت بعدد من الكوادر و انطلقت مسيرة الحزب و كانت هذه الكوادر (ومنهم الدكتور نديم الجابري) في مقدمة التظاهرة التي أشرت إليها قبل قليل.

وكان الهدف من تشكيله بلورة المشروع السياسي الذي يحقق مطالب الجماهير التي كانت في داخل العراق، وخصوصاً من أتباع المرجع الشهيد السيد محمد الصدر الذين كانوا لا يحسنون الظن بأكثر قيادات الأحزاب القادمة من الخارج، و يرونهم بعيدين عن الواقع و يعيشون حالة انفصال عن تطور الأحداث في العراق خلال عشرين عاماً، ولا حاجة إلى تذويب شخصيتهم في أولئك القادمين من دون أن يكون بديلاً عنهم وإنما هو مكمل لدورهم وخيمة لضم هذه الشريحة لذا فإن المراقب يجد في مسيرة حزب الفضيلة الإسلامي خصوصيات غير موجودة في غيرهم (راجع كتيب بعنوان: خصوصيات حزب الفضيلة الإسلامي كتبه الدكتور جاسم محمد)، وقد أشرت إلى الأهداف من تشكيله و المبادئ التي يستند إليها الحزب في عمله في عدة خطابات من سلسلة خطاب المرحلة ومنها خطاب (الأسس النظرية لحزب الفضيلة الإسلامي) و(العمل السياسي من الواجبات الشرعية) و(المبادئ الثابتة في السياسة) و(مبادئ الشفافية وعناصرها) وغيره، وألف الدكتور نديم الجابري كتاب (نظام الحكم المناسب في العراق) مؤيداً لهذا المشروع، وتستطيع أن تميز خط الحزب باختصار بأنه (عراقي - عربي - إسلامي - أنساني) بكل ما تعنيه هذه الكلمات من برامج واليات عمل وأهداف و مواقف و رؤى.

كيف يمكن تفادي الحرب الأهلية:

نيوزويك: هل يمكن تفادي الحرب الأهلية، وكيف؟

سماحة الشيخ اليعقوبي: نعم يمكن تفادي الحرب الأهلية بالقضاء

على أسبابها ومناشئها وتجفيف منابع إثارتها و تأجيجها وإدامتها و ذلك من خلال عدة خطوات :

أ- توفر القناعة لدى المحرضين عليها و الداعمين لها من الإطراف الداخلية و الخارجية بعدم جدواها و إنها تعود بالضرر عليهم [ولا يحقُّ المَكْرُ السيِّئُ إلا بأَهْلِهِ]، وأن ما يريدون تحقيقه - إن كان حقاً وعدلاً - فإنهم سينالونه بالحوار والعملية السياسية والمطالبة المستندة إلى الحججة والدليل، فإذا توفرت هذه القناعة وحصلت الإرادة الجدية لحل المشكلة فإنها ستحل فوراً، أما الصيحات و الدعوات التي نسمعها هنا وهناك فإنها منافقة وغير صادقة ولا مبنية على أسس صحيحة و إنما يريد كل طرف تكريس مصالحه و التمدد على حساب الآخرين أزيد ما يمكن.

ب- نبذ الخطاب الطائفي و القومي و الأناني و الفتوي و التحول إلى خطاب أنساني يتسامى عن هذه النظرات الضيقة و أن يتقوا الله في هذه الأمة فقد اهلكوا العباد و خربوا البلاد.

ج- قيام الخطباء والعلماء والمثقفين و أئمة المساجد و صانعي الرأي العام من إعلاميين و كتاب بخلق حالة عامة من الوعي ضد التطرف والتشج و التعصب والعنف والطائفية ونحوها من أسباب الفتنة.

د- إنهاء حالة الاحتلال و اقتصار الجهد الدولي على المساعدة بالمقدار الذي يحتاجه العراقيون من دول العالم، فإن العراق بحاجة أكيدة إلى المساعدة لكي يداوي جراحه ويعمر بيته و يبني مؤسساته وينهض من الكارثة التي حلت به منذ عقود ويقف على قدميه من جديد ويجاري

الدول المتحضرة، وهو قادر على الوصول إلى هذه المرحلة بسرعة لتوفر عناصر القوة و الازدهار والتقدم والثروة عنده.

هـ- إجراء إصلاحات سياسية جذرية و إعادة النظر في جملة من القرارات الخاطئة التي اتخذت (ومن) هذه الإصلاحات:-

١- تفكيك الائتلافات^(١) والتحالفات على أسس طائفية أو عرقية و السماح بتحالف الأحزاب و القوى السياسية على أساس البرامج السياسية لإنهاء حالة التخندق الطائفي.

٢- إجراء انتخابات برلمانية تكميلية أو تعديلية كل سنتين في هذه المرحلة الانتقالية من تاريخ العراق لتسارع التغيرات ولتحولات فيكون من الضروري امتصاص احتقان الذين لم تتوفر لهم فرصة المشاركة في

(١) حظيت هذه الفكرة باهتمام واسع من لدن الإعلاميين والمحللين والسياسيين وأثارت جدلاً وحوارات عبر الفضائيات استمرت عدة أسابيع بشكل لم يسبق لحدث أو فكرة أن ينال مثله وترك أثره الكبير حيث وجد حراكاً سياسياً فاعلاً وانفصلت عدة كتل صغيرة من الكتل الكبيرة ومهدت للقضاء على الاقتتال الطائفي الناتج من التخندق الطائفي ، مما فضحت هذه الدعوة التي أعقبها في شهر آذار انسحاب حزب الفضيلة الإسلامي من كتلة الائتلاف زيف المتسترين بلباس الطائفية السنية والشيعة لتحقيق مآربهم الشخصية، حيث كشفت الخطوة أن الصراع سياسي على السلطة والثروة ويتلبس بالدين والطائفة للخداع. وهو ما قلناه في بيان عن وثيقة مكة، واستثمرت القوى المهيمنة على السلطة في العراق هذه الفكرة لتشكيل تحالفاً رباعياً أو خماسياً يتجاوز الانتماء العرقي والطائفي ، وأعلن قيادي في المجلس الأعلى عن تشكيل جبهة تضمهم والحزب الإسلامي السني والتحالف الكرديستاني، وفهم على أنه خطوة لإسقاط حكومة المالكي.

البرلمان لسبب أو لآخر، لأن جزءاً من التوجه لحمل السلاح بسبب هذا الابتعاد الذي كان قسرياً في بعض الأحيان فتستثمر التحولات السياسية لإعادة الفرصة إليهم من جديد.

٣- إعطاء دور للأحزاب و القوى التي تتبنى المعارضة الايجابية البناءة لا يقل عن دور المشاركين في الحكومة من خلال المؤسسات الرقابية كهيئة النزاهة و ديوان التفتيش العام و ديوان الرقابة المالية و نحوها وهي مؤسسات بدرجة وزارة يمكن أن تقنع هذه الأحزاب المعارضة و تسحبها من تبني المواجهة المسلحة، وقد ذكرت جدوى و مبررات هذا المقترح وآلياته التفصيلية في خطاب صدر أخيراً من سلسلة خطاب المرحلة وهو منشور و توجد مقترحات أخرى سأبينها بأذن الله تعالى عندما تتحقق الإرادة الجدية للحل.

أنا أرفض حالة الاحتلال جملة وتفصيلاً:

نيوزويك: هل يساند سماحتكم جدولاً زمنياً لانسحاب القوات الأمريكية من العراق وهل لديكم أية مخاوف من ازدياد إراقة الدماء إذا هم رحلوا؟.

سماحة الشيخ اليعقوبي: أنا أرفض حالة الاحتلال جملة وتفصيلاً،

ويشاركني في هذا الموقف كل حر شريف، ورغم معاناتنا التي لا نظير لها من صدام و جلاوزته حيث كنا في داخل العراق وفي قلب أحداثه بمرافقتنا للسيد الشهيد الصدر الثاني طيلة أربعة عشر عاماً حتى استشهاده حيث كنت على رأس من تسلم جسده الشريف ونجليه من المستشفى و

صليت عليهم و دفنتهم مع ثلة قليلة لا تتجاوز عدد الأصابع وواصلت مشروعه من بعده على مرأى ومسمع أولئك الأشرار.

أقول: رغم كل ذلك فإننا لم نكن نرحب بالقوات الغازية؛ لأننا وإن كنا نكره صداماً ونريد زواله إلا أن القلق يبتابنا من قدوم القوات الأجنبية وتواجدها على أراضينا، وقد بينت في بعض خطاباتي وجوه هذا القلق، وحينما أتت كنا نأمل أن يقتصر دورها على ما أعلنته من مساعدة الشعب العراقي في بناء دولة حرة كريمة مبنية على أسس العدالة و الازدهار، وكنت من المبادرين إلى تقديم مشروع الحكومة الانتقالية في العراق قبل تأسيس مجلس الحكم لإعادة السيادة إلى العراقيين (وهو منشور ضمن سلسلة خطاب المرحلة)^(١)، ولكن أصواتنا لم تكن مسموعة وتراكت أخطاء الاحتلال و المتصدين للعملية السياسية حتى وصلت بنا الحال إلى ما نحن عليه الآن.

ولم أتوقف عن تقديم المشاريع البناءة التي فيها إنقاذ لكل الأطراف المتورطة في القضية العراقية ولكن [يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ] (يس: ٣٠) ويدفع الثمن دائماً الأبرياء المستضعفون فنعم الحكم الله و الخصيم محمد (وعند الله تجتمع الخصوم).

وكنْتُ من المبادرين للمطالبة لتشكيل وزارة الدفاع في صلاة الجمعة التي دعونا إلى إقامتها في ساحة الفردوس وشارك فيها الآلاف في آذار / ٢٠٠٤ عندما تأخر تشكيلها بغية الإسراع في بناء قوات مسلحة عراقية

(١) انظر: خطاب المرحلة: ج ٣ ص ١١٢.

كفاءة ومجهزة لتستطيع حفظ امن البلاد و تنتهي ذرائع وجود الاحتلال.
لكن الخطوات بقيت متعثرة و الآليات غير فعالة و كل الأطراف تفكر
في مصالحها أولا و قبل كل شيء، ولا أحد يفكر بمصير العراق و أهله ولا
زلت أجد أن الحل فيما ذكرت من المطالب و إنهاء حالة الاحتلال بالشكل
المدرّوس الذي ذكرناه و شرحناه في عدة خطابات.

الإرهاب يرسخ حالة الإحتلال ورفض التقسيم:

نيوزويك: ما هو موقفكم تجاه الفدرالية؟ وهل يدعم سماحتكم
القانون الجديد لإنشاء الأقاليم؟

سماحة الشيخ اليعقوبي: أصدرت عدة خطابات لبيان موقفنا من
الفيدرالية كما ورد في صحيفة الصادقين التي تنشر أحاديثي و كلماتي
تفاصيل عن القضية و بيتها لكبار المسؤولين الذين زاروني فراجعوها جميعا
على موقعنا في شبكة الانترنت، و خلاصة الموقف أن الفيدرالية ليست مطلبا
لنا فنحن نريد عراقاً موحداً و حكومة مركزية فاعلة في ممارسة الصلاحيات
الموكولة إليها في الدستور، مع إعطاء إدارة لا مركزية بصلاحيات واضحة
و واسعة في الدستور أيضا للحكومات المحلية في المحافظات، و أن تقدم
الحكومة المركزية كل ما يساهم في إنجاح و تقوية الحكومات المحلية.

و بنفس الوقت اعتقد أن الفيدرالية يمكن أن تكون حلا أخيرا
لمشاكل البلاد إذا استعصت على الحل لا سامح الله، ولا أجد مشاكل البلاد
مستعصية على الحل إلا إذا أوصل أعداء الأمة و الجهلاء و المتحجرون
والانتهازيون و الأنايون الحالة إلى هذه النقطة، لذا فعلى الإرهابيين و القتل

أن يعلموا إنهم بجرائمهم التي يرتكبوها بحق الشعب وعلى رأسها المجزرة التي ارتكبت يوم أمس بحق أبناء مدينة الصدر البطلة المظلومة المحرومة^(١) إنما يحققون عكس أهدافهم التي يزعمونها فأنهم يكرسون الاحتلال الذي يزعمون أنهم يقاومونه؛ لأنهم يوفرون الذرائع له وإنهم يسدون كل باب للتعايش السلمي و التسامح والتواصل فينحصر الخيار بالفيدرالية والتقسيم ونحوها من الخيارات المرة وهم يزعمون إرادة وحدة العراق ومعارضة تقسيمه فليثوبوا إلى رشدهم ولينظروا إلى نتائج أعمالهم ببصيرة.

نظام الحكم الذي ينبغي أن يسود في العراق:

نيوزويك: كيف ينبغي أن يحكم العراق؟ وهل يمكن أن يكون أي بلد كنموذج لهذا الحكم سلباً أم إيجاباً؟.

سماحة الشيخ اليعقوبي: إن نظام الحكم الذي ينبغي أن يسود العراق هو النظام الذي يحترم إرادة الإنسان ويعطيه الحرية الكاملة لاختيار من يحكمه وشكل الدولة التي يريدتها و الدستور الذي ينظم عمل مؤسساته و الحقوق و الواجبات للفرد والدولة، وان تحقق له الفرصة

(١) وقعت عدة انفجارات متزامنة في مدينة الصدر يوم الخميس ١/ ذ. ق/ ١٤٢٧ المصادف

٢٠٠٦/١١/٢٣ بينها ثلاث سيارات مفخخة وقذائف صاروخية في عدة مناطق من المدينة وناهز عدد الضحايا (٢٠٢) والجرحى (٢٥٠) وأدان الجميع هذه العملية واعتبرها إفرازاً طبيعياً للاحتقان السياسي والخطاب الطائفي المتشجج، وأعقبها أعمال انتقامية متبادلة في أحياء مختلفة من بغداد.

الكاملة للتغيير والتبديل لكل ما لا يصلح له في ضوء آليات يكفلها الدستور، وإن كثيراً من الأنظمة السائدة في (الدول الديمقراطية) مناسبة للعراق بعد التعديل في تفاصيلها بالشكل الذي يناسب ثقافة وأخلاق وتقاليد الشعب العراقي وليس من الضروري استنساخ تجربة أي بلد آخر؛ لأننا نمتلك من الأصالة والعمق في التاريخ ومصادر العلم والمعرفة والكفاءات المتميزة ما يغنينا عن التبعية لأحد من دون أن نستغني عن كل تجربة ايجابية فنستفيد منها.

التعديل الحكومي المرتقب إذا كان حقيقياً فسنساهم فيه:

نيوزويك: ما هي المقترحات التي تدعمونها لرئيس الوزراء السيد نوري المالكي وعلى أي منها تعترضون؟.

سماحة الشيخ اليعقوبي: لقد ولدت حكومة الدكتور المالكي بعد مخاض عسير وطويل مما جعلها هزيلة وضعيفة وممزقة، وهذا ما تنبأنا به من خلال العقلية التي أدارت بها الكيانات السياسية مفاوضات تشكيل الحكومة إذ لم يكونوا يتصرفون كإخوة أبناء بلد واحد يريدون أن يساهموا في بناء عراق جديد، وإنما كانوا فرقاء متخاصمين يحاول كل منهم أن ينتزع من الآخر أزيد من حقه لذا أمرت كتلة الفضيلة بالانسحاب من الحكومة إذ لا يشرف أحداً أن يكون جزءاً منها وهي بهذه العقلية، ورغم ذلك فقد دعوت أعضاء كتلة الفضيلة إلى التصويت بـ (نعم) في البرلمان لنيل الثقة بالحكومة من اجل إعطائها فرصة للعمل لعلها تنجح، واستمر موقفنا الساند للدكتور المالكي وهذه كلها مواقف نبيلة لا تشهد لها مثيلاً

في عالم السياسة، وعندما علمنا بسعي الأستاذ المالكي لتغيير وزاري طلبتُ من كتلة الفضيلة لقاءه وزعماء الكتل السياسية ليعلموا له موقف الحزب بأن التغيير إذا كان حقيقياً ولمصلحة البلد والشعب فإن الحزب يشارك في التشكيلة الجديدة، أما إذا كان من باب ذر الرماد في العيون فإن الحزب يحافظ على كرامته وينأى بنفسه عن هذه العملية.

إنشاء حكومة دينية:

نيوزويك: هل تؤيدون إنشاء حكومة دينية - تعتمد على حكم الشريعة - في العراق؟.

سماحة الشيخ اليعقوبي: استند في كلامي إلى قول الإمام الرضا عليه السلام ثامن الأئمة المعصومين عندنا فقد روي قوله (إنما يحتاج الناس من الأمراء عدلهم) فنحن لا نهتم بالتسميات و الشعارات المرفوعة التي أضرت بنا كثيرا عبر التاريخ، وإنما المطلوب لنا إيجاد نظام حكم وفق الأسس التي ذكرناها إجمالاً في جواب السؤال السابق و وضع تفاصيلها أمير المؤمنين □ في عهده الخالد الذي كتبه لصاحبه الوفي مالك الأشر لما ولاه مصر، أما هذه المصطلحات كالحكومة الدينية و نحوها فهي مستحدثة ولا أصل لها ونحن إنما أننا بالدين واتبعناه في حياتنا فلأننا رأيناه يحرر الإنسان من عبودية الإنسان و طاعة الشهوات والنزوات المهلكة ولأنه ينظم حياتنا بالشكل الذي يحقق لنا السعادة والأمن والاطمئنان وإعمار الحياة بكل ما هو مفيد ونحن مع أي نظام يحقق لنا هذه الأهداف بغض النظر عن التسميات.

عوامل نجاح القيادة:

نيوزويك: فيما لو كنت قائدا للعراق هل ستكون حكومة العراق حكومة دينية؟.

سماحة الشيخ يعقوبي: إن القيادة ليست شيئا يُدعى ولا ينال بالقهر والتسلط بالقوة وإنما هي علاقة تنشأ بين القائد والآخرين يحددها عاملان هما حاجة الآخرين إلى الشخص وإحسانه إلى الآخرين، قال أمير المؤمنين عليه السلام (أحسن إلى من شئت تكن أميره، واستغن عن من شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره) وقيل لأحد العلماء ما هو الدليل على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام فقال: (حاجة الناس إليه واستغناؤه عن الناس)^(١)، فكلما كان الإنسان معطاء في حياته ومحسنا إلى الناس كل أشكال الإحسان فإن حاجة الناس إليه ستزداد وستختاره لقيادتها، على أننا تعلمنا من أئمتنا المعصومين عليهم السلام الزهد في المناصب واحتقار الدنيا التي تُنال بالظلم والعدوان والمكر والخديعة، ولا نرى المناصب إلا وسيلة للإحسان إلى الناس ورفع الظلم عنهم وإسعادهم وتوجد كلمات جليلة لأمر المؤمنين عليهم السلام في هذا الصدد في نهج البلاغة لا ينبغي لأحد أن يغفل عنها.

يوجد عتب كبير لدى شعوب العالم على الشعب الأمريكي:

نيوزويك: هل هناك ما يشير إعجابك بأمريكا، وهل هناك من لفت أنظارك من القادة السياسيين الأمريكيين أو غيرهم؟.

سماحة الشيخ يعقوبي: يجب أن افرق في تقييمي بين الإدارة

(١) أنظر: سنن الإمام علي عليه السلام: لجنة الحديث معهد باقر العلوم عليه السلام: ص ١٧٨.

الأمريكية والشعب الأمريكي، فإن الشعب الأمريكي يساهم في بناء حضارة إنسانية راقية تحظي بإعجاب العالم كله ويحمل الكثير من الخصال الطيبة كاحترام الإنسان واعتباره أئمن شيء في هذه الدنيا مما يدعوهم إلى التفاعل مع قضايا الشعوب، ويعجبني فيهم تذويبهم لكل خصوصياتهم وانتماءاتهم الأصلية وتمسكهم بحب وطنهم ومصالحة شعبيهم، كما أسمع كثيراً عن المصادقية في التعامل لدى شعوب الغرب المتحضرة، وهذه كلها وأزيد منها مما تعلمناه من الإسلام على لسان نبينا العظيم محمد ﷺ، لكن الفرق بيننا في المنطلقات والنوايا فإن كثيراً من الغربيين يطلبون الأهداف القريبة العاجلة، ونحن نطلب إضافة إليها الأهداف السامية أعني رضا الله تبارك وتعالى والفوز بالجنة، كما أن حضارة الغرب المادية تستبطن عوامل الفناء والخراب ونهتهم إليها في أكثر من خطاب منها (الأيديز: نذير انهيار الحضارة الغربية) ورسالتي إلى الرئيس الفرنسي جاك شيراك عندما اخذ بنصيحة مجلس حكمائه في منع الحجاب في المدارس الرسمية وغيرها.

ولا زلت أتذكر حين مطالعتي لكتاب (كيف تكسب الأصدقاء) لـ(دليل كارنيجي) الذي أحترمه كثيراً، أتذكر التطابق الكبير بين ما ورد فيه و التعاليم التي نقلتها أحاديث أهل البيت عليهم السلام ولا اعتقد أن ما توصل إليه نتيجة خبرة إنسانية متراكمة وإنما استفاده بشكل مباشر أو غير مباشر من التعاليم الإلهية للأنبياء والرسل والأئمة عليهم صلوات الله فإن الإنسان عاجز لوحده عن الوصول إلى ابسط التصرفات الحياتية كدفن جسد الميت حتى بعث الله غرباً يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه في قضية قتل أحد ولدي نبي الله آدم للأخر فتعلم من الغراب ودفن جثة أخيه

المقتول بحسب ما حكاه القران الكريم.

أما الإدارة الأمريكية فإن الكراهية لها تزداد لدى شعوب العالم بسبب ما ترتكبه من سياسات ظالمة وجرائم بحق الشعوب وكيها بمكيالين و يوجد عتب كبير لدى هذه الشعوب على الشعب الأمريكي انه لا يؤثر بشكل فاعل على سياسة إدارته المفروض انه انتخبها بكل حرية وهي تدعي تمثيله.

في الختام آمل أن تُقرأ أجوبتي بعمق وتأمل لأن فيها خيراً كثيراً للجميع وبمقدار نجاحكم في إيصالها فإنها ستكون مثار فخر و اعتزاز ونبيل لكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أعداء الشعب ثلاثة: الاحتلال، الإرهاب، فساد الحكومة^(١)

فساد الحكومة والإرهاب: يد واحدة:

قبل أيام قام المجرمون المتواطئون مع أجهزة متنفذة في الحكومة بتفجير ما تبقى من الروضة العسكرية الشريفة في سامراء وقد استنكر الجميع هذا الفعل الآثم، واكتفى بهذا الاستنكار العجزة المشلولون القابعون في سجونهم الاختيارية التي حاصروا بها أنفسهم وانزلوا عن الشعب المظلوم.

فما قيمة هذا الاستنكار وقد مرّت سنة وأربعة أشهر على تفجير القبة الشريفة ولم تفلح الحكومة حتى في تشكيل لواء العسكريين^(٢) لتأمين الطريق إلى سامراء وحماية الزائرين والروضة العسكرية الشريفة علماً بأن وسائل الإعلام المحلية تنقل لنا باستمرار طيلة هذه المدة عن تشكيل ألوية وأفواج وتجهيزها وتخريج دفعات من الضباط وعودة الآلاف من الضباط السابقين فلماذا لم يتشكل لواء العسكريين؟! مع إعلان آلاف الشباب الرسالي المتحمسين للدفاع عن مقدساتهم والتطوع في مثل هذا اللواء ومع

(١) المقطع الثاني من الخطاب الذي ألقاه سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على عشرات الآلاف من المؤمنين الذين تجمّعوا لإحياء ذكرى استشهاد الزهراء عليها السلام في النجف الأشرف يوم ٣/٣/١٤٢٨ هـ وأفرزناه لأهمية القضية التي يتناولها.

(٢) شكّل اللواء لاحقاً وساهم في بسط الأمن من بغداد حتى سامراء مما أتاح للمؤمنين التوجه إلى زيارة الإمامين العسكريين تدريجياً.

تعاون أهالي سامراء الكرام أول المفجوعين بهذا المصاب الجلل حين انطلقوا في مظاهرات استنكارية حاشدة.

وكيف لا نتوقع منهم هذا الاستخفاف بحماية العتبات المقدسة ونحن نرى انتهاك أقدس المقدسات وهو الإنسان الذي كرمه الله تبارك وتعالى فجعله خليفته على أرضه [وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا] (الإسراء: ٧٠).

حيث جعلوا دم الإنسان العراقي المضطهد المحروم وورزقه وتاريخه وحضارته وعزته وكرامته ثمناً لصفقاتهم ولصرايحهم على الغنائم وعلى المصالح وتقاسم النفوذ والهيمنة. وإن كل واحد من المشاركين في ظلم الشعب العراقي بأي درجة من الدرجات سيلاقي عاقبة بغيه فإن ظلم العباد بعضهم لبعض من الذنوب التي لا يتركها الله سبحانه، ولو بغى جبل على جبل لتدكدك.

المواقف المتهرئة للحكومة:

ففي كل يوم تسفك دماء بريئة من التي وصفها الحديث الشريف (إن دم المؤمن أشد حرمة عند الله من الكعبة)، وفي كل يوم يُضاف عدد جديد إلى الملايين الأربعة من المهجرين في داخل العراق وخارجه الذين أُجبروا على التخلي عن وطنهم ومساكنهم وحصيلة جهود السنين المتطاولة، وفي كل يوم تنضم أعداد جديدة إلى جيوش العاطلين عن العمل حيث تتعطل المصانع وتتوقف الزراعة والتجارة والأعمال.

وكم رأينا وسمعنا عن جسر يُدمّر أو بناية تُخرّب أو مشروع خدمي يتعطل من دون أن تقوم الحكومة بإصلاح شيء منها فهذا هي أنقاض تفجير الروضة العسكرية لم ترفع منذ سنة وأربعة أشهر فضلاً عن إعمارها، وها هو جسر الصرافية^(١) على حاله يحكي قصة القطيعة التي يريدون فرضها على أبناء الشعب، وها هو شارع المتنبي^(٢) يندب الثقافة والأدب والعلم والفكر، وفي كل مرة نسمع بتشكيل لجان تحقيقية من دون أن نعرف نتيجة واحد منها رغم وضوح أسباب بعض الجرائم كاستشهاد ألف من المؤمنين المعزين بذكرى استشهاد الإمام الكاظم عليه السلام على جسر الأئمة قبل سنتين ولم تظهر النتائج إلى الآن.

نعم كل الذي نسمعه فضائح سرقة أموال الشعب حتى تصدر العراق بلد الحضارة والأئمة والعلماء قائمة الدول التي استشرى فيها الفساد في تقرير منظمة الشفافية العالمية، وها هي سنة ٢٠٠٧ ينتهي نصفها ولم نر من ميزانيتها الانفجارية البالغة (٤١) مليار دولار شيئاً على أرض الواقع ولا من الأحد عشر مليار دولار التي خصصت للمشاريع الاستثمارية لتشغيل

(١) كان جسر الصرافية هو المنفذ للتنقل بين الكرخ والرصافة خصوصاً لمحبي أهل البيت عليهم السلام الذين يتوجهون من شرق بغداد لزيارة الإمامين الكاظمين بعد تعذر المرور عبر الجسور الأخرى بسبب اشتداد الفتنة الطائفية، فكان تفجيره وسقوط قطعة كبيرة منه في نهر دجلة ذا بعد معنوي إن قطع هذا التواصل بين طرفي بغداد ورسخ القطيعة إضافة إلى ما يختزن من ذكريات لأهل بغداد حيث ناهز عمره (٦٠) عاماً.

(٢) استهدف تفجير شارع المتنبي في بغداد الذي يمثل نافذة بغداد الثقافية والتاريخية وأحرقت العديد من المكتبات والمعالم الأثرية وأزهقت الأرواح.

العاطلين، بلى وجدنا العكس حيث رأى العالم كله على شاشات التلفزيون تلکم النسوة والأطفال الذين يبحثون في حاويات القمامة عن طعام يسدّ رمقهم من دون أن يرفّ لهؤلاء جفن أو تحركوا لإنقاذ هؤلاء البائسين المحرومين، وبين أيديهم نهج البلاغة وفيه يقول أمير المؤمنين عليه السلام عقب غارة لجند معاوية على الأنبار فقاموا بسلب النساء المسلمات وغير المسلمات ما تمتع منهم إلا بالاسترجاع والاسترحام فقال عليه السلام (فلو أن امرأ مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً بل كان به عندي جديراً)^(١).

خطر الاحتلال:

أيها الشعب العراقي النيل: إن الاحتلال والإرهاب خطران عظيمان يواجهان العراق وشعبه وسببان للمصائب والويلات التي حلّت بهما لكنهما لا يفسران كل ما حصل في العراق من كوارث؛ لأن الأخطر منهما حاضراً ومستقبلاً والذي يوفر لهما عناصر البقاء والنمو هو العنف السياسي الناشئ من الصراع على السلطة، والاستئثار بثروات الشعب، والاستبداد بالقرار، ونظر الكتل السياسية بعضها إلى بعضها على أنهم خصوم وليسوا شركاء في بلد واحد وركاب سفينة واحدة، والتسابق إلى حيازة المغنم على حساب حرمان الشعب من أبسط حقوقه، واعتبار السلطة على أنها وسيلة للإثراء غير المشروع وليست وسيلة لخدمة المواطن وإعمار البلد، وتوزيع المناصب على أساس الولاء للكيان لا على أساس الكفاءة والنزاهة والإخلاص للوطن

(١) نهج البلاغة: ج ١ الخطبة ٢٧ ص ٥٨.

والشعب، وهذا هو الذي مزّق الشعب وخرّب الدولة وجعل الكتل السياسية منشغلة عن الشعب وهمومه بعقد الصفقات والتسابق على قضم اكبر مقدار ممكن مما يسمونه بالكعكة وسحق الخصوم حتى لو احتاج الأمر إلى التواطؤ مع الجهات الخارجية.

إن الشرعية المكتسبة من صناديق الاقتراع مشروطةٌ بالوفاء بالبرامج السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي وعدوا بها الناخبين فإذا لم يفوا بها ويخدموا الشعب ويوفروا له حقوق الحياة الحرة الكريمة فعليهم التنحي طوعاً أو كرهاً [وإن تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ] (محمد: ٣٨).

أيها الأحبة: إن أبا ذر (رضوان الله عليه) من القلة الذين تشرفوا بتشييع الطاهرة الزهراء مع أمير المؤمنين عليه السلام ليلاً، كان يقول وقد رأى اقل مما رأيتم (عجبت لمن لا يجد القوت في بيته كيف لا يخرج شاهراً سيفه) وهو نداءٌ إليكم وإلى كل المحرومين عبر الأجيال.

الاتفاقية الأمنية:

حولت الانسحاب المحتوم إلى نصر استراتيجي^(١)

نعبّر عن خيبة أملنا لإصرار عدد من الكتل البرلمانية على المضيّ قدماً حتى التوقيع على المعاهدة الإستراتيجية والاتفاقية الأمنية مع الولايات المتحدة الأمريكية دون الأخذ بنظر الاعتبار وجهات النظر الوطنية المخلصة التي قدّمت لهم، ولم تلتزم بكل الشروط التي وضعتها المرجعية الدينية في النجف الأشرف للتوقيع عليها وهي:

أولاً: عدم الإخلال بالسيادة العراقية والتفريط بمصالح أجياله. فقد تضمنت الاتفاقية انتهاكات خطيرة للسيادة من حيث إقامة القواعد وحصانة الجنود الأجانب وعدم ولاية القضاء العراقي على الجرائم التي ترتكب على أرضه و ضد شعبه، وعدم تفتيش الخارج والداخل إلى القوات الأجنبية والسيطرة على الأجواء العراقية، والإذن بالقيام بما يلزمه الدفاع عن النفس وهو عنوان مطاط يمكن أن يبرر الكثير من الجرائم. بل قد يدخلنا في مشاكل مع دول الجوار بضرب عمقها تحت هذا العنوان.

ثانياً: تحقق الإجماع الوطني، وهو ما لم يتحقق في جلسة التصويت إذ لم يوافق إلا أكثر من نصف أعضاء البرلمان بقليل وهي أغلبية لا تحقق

(١) صدر هذا البيان تعليقاً على مصادقة البرلمان على الاتفاقية الأمنية مع الولايات المتحدة يوم الخميس ٢٨ ذ ق ١٤٢٩هـ المصادف ٢٧/١١/٢٠٠٨ وكانت كتلة (الفضيلة) من الرافضين للمصادقة على الاتفاقية رغم الترغيب والترهيب الذي مارسه السفير الأمريكي والمسؤولون الذين كانوا يزورون البلد.

توافقاً وطنياً في مثل هذه القضايا المصيرية التي ترهن مستقبل الأجيال، وأود هنا تصحيح معنى الإجماع الوطني، فإنه لا يكفي في تحقيقه توافق عدد من الكتل الكبيرة التي تنتسب إلى مكونات الشعب العراقي الرئيسية، بل لا بد لتحقيق معنى الإجماع الوطني أن يكون هذا التوافق مستندا إلى المصالح الوطنية العليا وليس إلى الصفقات المتبادلة والمصالح الحزبية والفئوية. وقد اتضح للقاصي والداني أن التوافق بُني على مثل هذه الصفقات قبل التصويت.

ثالثاً: الشفافية، وقد كانت غائبة عن مجريات المفاوضات حيث لم يعلم أعضاء البرلمان فضلاً عن الشعب بنص الاتفاقية إلا قبل التصويت بأيام وأعلموا بأن النص نهائي ولا يمكن التغيير فيه، ولقد أخفيت النسخة الانكليزية التي قال عنها خبراء أمريكيون إن فقراتها تفرغ الأجزاء المهمة من الاتفاقية من محتواها وأظهروها مباشرة بعد مصادقة البرلمان وقالوا في سبب الإخفاء (لأنها تعقد حوار الكتل السياسية).

رابعاً: تهيئة الظروف الموضوعية والمناخات السياسية الملائمة للدخول في مثل هذه المفاوضات المعقدة مع دولة كبرى مثل الولايات المتحدة، بأن تتوفر عملية سياسية رصينة مستندة إلى قاعدة شعبية واسعة ليكون المفاوض العراقي في وضع قوي يمكنه من تضمين الاتفاقية كل ما ينسجم مع مصالحه، لكن الذي حصل أن الأيام التي سبقت التصويت على الاتفاقية شهدت تشظياً وتشتتاً بين أطراف العملية السياسية بلغ الذروة، ووصلت الاتهامات المتبادلة بين الأحزاب الحاكمة إلى حد الجرائم

الكبرى كاتخاذ مكاتب الأحزاب مقرات للقتل والتعذيب وانتهاك الدستور ومقاتلة قوات الحكومة وتشكيل الميلشيات والدكتاتورية وصرف المال العام للدعاية الانتخابية ووصلت إلى التهديد بالانقلاب وانقسمت المؤسسات الدستورية على نفسها حيث وصل التخندق إلى ما بين مجلس رئاسة الجمهورية ورئاسة الحكومة.

وقد استغل الطرف الآخر هذه الانقسامات ليرمي إليهم النسخة التي يريد ويغلق باب التعديل ويطلب منهم المصادقة وإلا فالتهديد بالويل والثبور.

لقد أصرّ البعض على توقيع الاتفاقية لا لقناعة بها وإنما لحرصه على التمسك بالمغانم التي حصل عليها ولم يستطيعوا إقناع المواطن بايجابيات فيها إلا قضية جدولة الانسحاب، وهو كما يعلم الجميع مطلب أمريكي قبل أن يكون عراقياً للضغط الداخلي الذي يواجهونه بسبب الصعوبات والخسائر التي أصابتهم ولحاجتهم لنقل القوات المقاتلة إلى منطقة أخرى ، وبذلك فقد حولت الاتفاقية انسحاب المهزوم والمضغوط عليه إلى نصر استراتيجي. وقد منحتهم الاتفاقية مدة (٣٦) شهراً وهي أطول مما وعد به الرئيس الأمريكي الجديد^(١)، مضافاً إلى عدم كون هذه المدة ملزمة لهم لان قادتهم السياسيين والعسكريين صرحوا بأن الانسحاب مرهون بالوضع على الأرض.

(١) وعد الرئيس الأمريكي أوباما شعبه في حملته الانتخابية لعام ٢٠٠٨ التي فاز بها أنه

سيسحب قوات بلاده من العراق في غضون (١٦) شهراً.

ومع ذلك فقد حاول هذا البعض تسويقها بخلط الأوراق وإخفاء الحقائق وأجروا تعديلات لذر الرماد في العيون كتبديل اسمها من (الاتفاقية الأمنية) إلى (اتفاقية الانسحاب) وهو ليس انسحاباً بل إعادة انتشار وتحول من الاحتلال العسكري الظاهر إلى الهيمنة على مقدرات الأمور، وإن الانسحاب لا يحتاج إلى اتفاقية بل يحصل تلقائياً بمجرد انتهاء التفويض الأممي نهاية هذا العام⁽¹⁾ وحينئذ يفترض حصول الانسحاب فيه بلا قيد ولا شرط سوى ما تتطلبه العملية لوجستياً ويمكن حينئذ أي بعد الانسحاب قيام حكومة وطنية حرة بتوقيع أي اتفاقية تراعي مصالح الدولتين.

ومما حاولوه ضمن عملية التسويق حصر الكتل السياسية بين خيارين: أما توقيع الاتفاقية أو تمديد الاحتلال ولا أحد شريف حر يرضى بوجود الاحتلال فيكون ملزماً بالخيار الأول.

لكن هذا الانحصار شيء فعلوه هم بتضييق الوقت وتضييعه وقد أفهمناهم بوجود خيار ثالث وهو تصحيح العملية السياسية وتحقيق شراكة حقيقية لتقف الكتل السياسية صفاً واحداً ومن خلفهم المرجعية الدينية والشعب كافة أمام الطرف الآخر - أي الأمريكان - وتقول بلسان واحد هذه مطالبنا وهذه شروطنا وسوف لا يجد الطرف الآخر بُدأً من الإذعان.

لكنهم لم يصغوا لهذه النصائح ومضوا منفردين فاستضعفهم الآخر.

ثم هددوا بان البرلمان إذا لم يوافق فإنهم سوف لا يطلبون تمديد وجود القوات الأمريكية وسيتوجه العراق نحو المجهول وهو خيار خطير

(1) لذلك كانت الولايات المتحدة تضغط لانجاز المصادقة عليها قبل نهاية العام.

وهذا الكلام منهم فيه تضليل كبير لأن القوات الأمريكية تحتاج لوجستياً إلى ما لا يقل عن (١٦) شهراً لكي تنسحب لو طلب منها الانسحاب فوراً، فقد احتاجت سنة للانسحاب عام ١٩٩١ مع أنها كانت تحتفظ بأقل مما تمتلكه اليوم على أرض العراق بكثير.

على السياسيين أن يتذكروا أنهم لم يتبوؤوا هذه المواقع إلا بدعم المرجعية الدينية للانتخابات ومجمل العملية السياسية وان الشعب لم ينتخبهم بأشخاصهم لان القوائم كانت مغلقة وإنما أعطى صوته لقضية ائتمهم عليها فإذا لم يفوا للمرجعية وللشعب فإنهم يصبحون فاقدين للشرعية، وليتظروا الانتخابات المقبلة لينتخبهم الشعب بأسمائهم في قوائم مفتوحة.

إن كلمتنا هذه سواء أدت إلى نتيجة ايجابية أو لم تؤد فإنها شهادة ندلي بها أمام الله تبارك وتعالى وأمام شعبنا الكريم وأمام التاريخ. وان الفرصة لم تفت إذ يمكن للكتل السياسية أن تصحح المسيرة وتطالب بصوت واحد بتعديل الاتفاقية بما ينسجم مع المصالح الوطنية العليا.

المشاريع الشيطانية التي أعدت للمنطقة الإسلامية والعربية^(١)

وسائل الالتفاف على مكاسب الأمة:

يوماً بعد يوم تنكشف وتُضح الخطة الشيطانية التي أُعدت للمنطقة الإسلامية والعربية ضمن مشروع شرق الأوسط الكبير، والتي تستهدف تمزيق وحدتها ونسيجها الاجتماعي وتفتيت دولها إلى دويلات وأقاليم ضعيفة ويبقى فقط الكيان الصهيوني^(٢) القوة المهيمنة في المنطقة لاستمرار السيطرة عليها بعد ان احترقت ورقة ترقيع الشعوب والتحكم بثوراتها من خلال أنظمة ديكتاتورية تعتمد سياسة البطش والقسوة والتسلط بالحديد والنار.

وقد استخدموا لتنفيذ هذه الخطة وسائل عديدة على رأسها القوة العسكرية وأموال دول البترودولار والالتفاف على حركة الشعوب ومصادرة ثوراته التي سُميت بالربيع العربي حتى أخضعوها لإرادتهم وبدأوا يتحكمون بها من خلال الأنظمة العميلة في المنطقة.

(١) البيان الذي وجّهه سماحة المرجع العنقوبي (دام ظلّه) يوم ٢٣/٢/١٤٣٤ الموافق ٢٠١٣/٥/٤ من خلال عدد كبير من الفضائيات إلى شعوب المنطقة بعد لقائه بعدد من القيادات الدينية والسياسية في عدّة دول.

(٢) قامت طائرات الكيان الصهيوني مساء نفس اليوم الذي أُعد فيه البيان بغارة جويّة على معسكرات ومخازن سلاح قرب دمشق بقنابل فراغية أحدثت زلزالاً في العاصمة.

الحرب الطائفية:

ومن أقدر الوسائل وأخبثها وأخطرها إشعال الحرب الطائفية وإثارة الفتن بين المسلمين وتغذية التعصب واستفزاز المشاعر والعواطف الدينية بالأفعال الدينية التي لا يقوم بها حتى أشد الوحوش ضراوة وبطشاً، وكان آخرها نبش قبر الصحابي الجليل الشهيد حُجر بن عدي الكندي في ريف دمشق يوم الخميس (٢٠١٣/٥/٢) ومحاولة نقل رفاته إلى جهة مجهولة، لكنهم لم يفلحوا حتى أدركهم الموالون.

دور المراجع الدينية والسياسية:

إنّ المواقف الضعيفة المنهزمة التي تتخذها القيادات الدينية والسياسية لا قيمة لها وهي لوحدها لا تقيم حقاً ولا تزهق باطلاً، بل لا بد من تحرك المراجع الدينية والسياسية العليا للتأثير على منظمة المؤتمر الإسلامي والأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي حتى تضغط على الدول الراعية والساندة لتلك الجماعات الضالة المفسدة والتي تتحكم في حركتها حتى تلزمها بمعايير النبل والقيم الإنسانية، وإذا أرادت القتال فلتقاتل بشرف وشهامة.

فضح الدور الغربي بإذكاء مشكلات الشرق الأوسط:

ولابد من فضح هذه الجرائم وتعريف الدول الغربية التي تدعمهم إعلامياً وسياسياً ومالياً وتنوي تسليحهم بأنهم يتعاملون مع من لا يعرف للموتى حرمة ونبش القبور فكيف يحفظ حقوق الأحياء ويحترم تنوعهم،

كيف يطمئنون إلى مستقبل العلاقة مع مثل هذه العصابات؟، ومن الذي يضبط حركة هذه القنابل الموقوتة التي ليس لها كابح ولا ناظم ولا بوصلة أمينة، وإذا اعتقدت تلك الدول الغربية إنّ دعم هؤلاء يصبّ في مصالحها، فإنّ ذلك وهم وعمره قصير حتّى ينقلب السحر على الساحر، ولا يعرفون حينئذٍ كيف الخلاص، فلترجع هذه الدول سياستها الداعمة لهؤلاء قبل أن تتورّط في المزيد.

حزمة المشاريع الاستراتيجية للمنطقة:

إنّ هذه الأحداث المؤلمة والمقلقة لا يصح أن نتعامل معها كمفردات جزئية غير مترابطة، بل علينا أن نضع كلاً منها في مكانها من منظومة المشاريع الإستراتيجية والخطط التكتيكية، وهذا ما يجب أن تنتبه إليه شعوب المنطقة وخصوصاً الشعب العراقي الممتحن الصابر الذي يراد له أن يكون وقود هذه الخطة الشيطانية، منذ حلّ الاحتلال الغاشم أرضه عام ٢٠٠٣ مروراً بتفجير الروضة العسكرية عام ٢٠٠٦ والحرب الطائفية الشرسة التي تلتها، والصراعات السياسية على السلطة والمغانم التي تلبس ثوب الطائفتين زوراً وبهتاناً حتّى الأحداث التي شهدتها محافظاتنا الحبيبة خلال الأشهر الماضية.

واجبات الشعوب الإسلامية:

على شعوبنا:

١- أن تكون واعية وتحلّي بالصبر وضبط النفس وأن تبتعد عن

الانفعالات والاستفزازات وردود الفعل العاطفية.

٢- وأن تراجع في كل أفعالها إلى القيادات الحكيمة الرشيدة العارفة بملايسات الزمان والمكان.

٣- وعليها أيضاً أن تتمسك بالروح الوطنية التي تؤلف بين أبناء الوطن الواحد وتتجنب التعصب بكل اتجاهاته، وترفض مشاريع التقسيم والتجزئة والدويلات الضعيفة المتناحرة.

٤- وأن تعتمد الحوار لتحصيل حقوقها، وعلى الحكومات أن تحترم شعوبها وتعمل بصدق وإخلاص لإسعاد شعوبها وتعاملهم جميعاً على أساس واحد وهي المواطنة وأن تصغي بصدق وشفافية للمطالب المشروعة لشعوبها.

٥- وبنفس الوقت عليها أن تكون مستعدة لكل الاحتمالات، لأن أغلب اللاعبين على الساحة ليسوا من العقلاء فيحتمل منهم كل سيء.
أجارنا الله تعالى وإياكم من مظلات الفتن ومن شرّ شياطين الجنّ والإنس وأعاد كيدهم إلى نحورهم.

الفهرس:

الفصل الأول:

- مناوشات حضارية بين الغرب والأمة الإسلاميةص ٧
- الغرب والإمام المهدي عجل الله فرجهص ٩
- الدين الإسلامي طريق السلام والسعادة.....ص ١٣
- دروس وعبر في اليوم العالمي لمكافحة الأيدز.....ص ٢١
- كيف نفهم الإساءة إلى أشرف الخلق محمد صلى الله عليه وآلهص ٣٢
- الرد العملي على الإساءة لرسول الله صلى الله عليه وآلهص ٣٨
- حاجة البشرية إلى علي بن أبي طالب: صوت العدالة الإنسانية.....ص ٤٧
- رسالة إلى رئيس الجمهورية الفرنسية (السيد جاك شيراك) قبل توقيعه على قرار منع الحجاب في المدارس الرسمية.....ص ٥١
- ليعتبر الغرب من الاضطرابات في فرنسا.....ص ٥٤
- تهنئة العالم المسيحي بذكرى عيد ميلاد السيد المسيح عليه السلامص ٥٥
- النموذج الأمريكي آخر ما تقدمه البشرية قبل يوم الظهور.....ص ٥٨
- اعتراف الغرب بعظمة التشريع الإسلامي.....ص ٦٠

التعددية الدينية في أفق حوار الحضارات.....ص ٦٥

القوى الناعمة والمنبر الحسيني.....ص ٧١

الوضع الأمني السيئ مصداق لقوله تعالى: (وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ).....ص ٧٨

الفصل الثاني

حضارة القيم والأخلاق في مواجهة الانسلاخ القيمي.....ص ٨٥

جهاز الستلايت أول هدية بعد سقوط النظام.....ص ٨٧

طوبى لمن أدى دوره في المواجهات الحضارية الجارية في

العراق.....ص ١٠١

الحل والعلاج في العودة إلى الله تبارك وتعالى.....ص ١٠٧

الفصل الثالث

الحماسة الدينية في مواجهة مشاريع الاستعمار.....ص ١١٧

تكاليفنا ازاء المشكلات الحاضرة: الاحتلال والتحديات السياسية و

الدينية.....ص ١١٩

شبابنا والتحديات الراهنة.....ص ١٢٨

وظائف طلبة الجامعات في هذه المرحلة.....ص ١٣٨

لن يستطيعوا هزيمة شبابنا بإذن الله تعالى.....ص ١٤٦

الفصل الرابع

إلتباسات مفهومية: مناكفات حضارية بين عدّة

مفاهيم.....ص ١٥١

المرأة المسلمة في الغرب بين الاندماج والذوبان حوار مع آية الله الشيخ

محمد اليعقوبي.....ص ١٥٣

التنمية البشرية في روايات أهل البيت عليهم السلام مقارنة بالفكر

الغربي.....ص ١٧٢

تنمية النسل بين الفكر الإسلام والغرب: الإمام الكاظم عليه السلام

نموذجاً.....ص ١٧٨

المبادئ الثابتة في السياسة.....ص ١٨٩

الأسس النظرية للتنظيمات السياسية الإسلامية: الأدوار النظيفة الإسلامية في

مقابل الفكر الغربي.....ص ٢٠٠

أمير المؤمنين عليه السلام ومكر طلاب الزعامات.....ص ٢٠٩

وضع قوانين تنظّم أخلاق ممارسة مهنة الإعلام وكل

مهنة.....ص ٢١٥

موعظة للإعلاميين.....ص ٢١٧

مسؤولية الكلمة.....ص ٢٢٢

مبادئ الشفافية ومظاهرها.....ص ٢٢٧

طريق الوصول الى السلطة في نظر أهل البيت عليه السلام.....ص ٢٣٦

الفصل الخامس

قضايا في النضال السياسي ضد الاحتلالص ٢٣٩

حكم التعامل مع الأمريكان:.....ص ٢٤١

تنظيم تظاهرات ضد قرار سلطة الاحتلال بنصب حاكم

أجنبي.....ص ٢٤٨

هل لأمريكا الفضل في حصول التغيير.....ص ٢٥١

رسالة مفتوحة (الرسالة الأولى) إلى مسؤول الإدارة المدنية لقوات

الاحتلال في العراق.....ص ٢٥٧

رسالة مفتوحة (الثانية) إلى مسؤول الإدارة المدنية للعراق بول

بريمر.....ص ٢٦١

لقاء سماحة الشيخ يعقوبي (دام ظله) مع السيد أشرف قاضي رئيس بعثة

الأمم المتحدة في العراق.....ص ٢٦٥

نحن ضد الاحتلال من دون أن نكون مع الإرهاب وضد الإرهاب من دون

أن نكون مع

الاحتلال.....ص ٢٧٣

القيادة الحكيمة تضع أصابعها على العلة وتصف العلاج.....ص ٢٧٥

أعداء الشعب ثلاثة: الاحتلال ، الإرهاب ، فساد

الحكومة.....	ص ٢٩١
الاتفاقية الأمنية : حولت الانسحاب المحتوم إلى نصرٍ	
استراتيجي.....	ص ٢٩٦
المشاريع الشيطانية التي أعدت للمنطقة الإسلامية	
والعربية.....	ص ٣٠١

